

غير غصن للبحر

الفصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد 237 - ربيع الأول 1417 هـ - يوليو / أغسطس 1996 م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 237 - JUL./AUG. 1996

Mingool

هدية العدد

الوزير الثقافي
في الدار البيضاء



عبد الوهاب الراجحي

الزواجر

تراث يروي قصة الإنسان والأرض

الطبية الرائحة

في تفسير

سورة الفاتحة

اعلي بن محمد بن سعد، ابن
خطيب الناصرية، المتوفى سنة
843هـ/1440م.

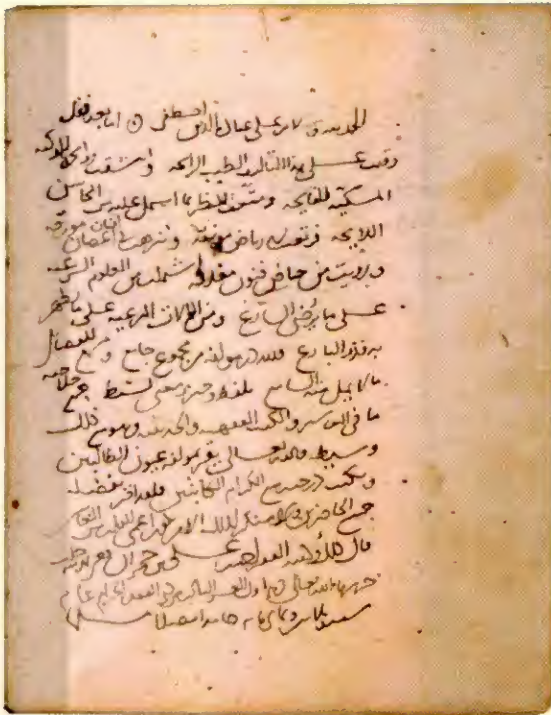
نسخة تامة ضمن مجموع كتبها بخط التعليق المؤلف
نفسه حيث فرغ من نسخها سنة 833هـ/1429م.
في ورقة 33 ب تقرظ للكتاب بخط شيخ الإسلام
الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة
852هـ/1449م. دونه ابن حجر في أوائل شهر ذي
القعدة سنة 839هـ.

وفي صفحة العنوان العديد من التملكات أقدمها
مؤرخ سنة 892هـ لمحمد بن عمر النصيبي، الشافعي
المتوفى سنة 916هـ.
يقع المخطوط في 33 ورقة ومسطرته 21 سطراً
ومقاسه 24,5×17 سم.

والخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية بدمشق
2048.



إعداد: د. عابد المشوخي



- في العدد القادم :
- المسرح الشعري في الأدب العربي
- سموم فكرية غير مراقبة !
- اضطرابات الكلام عند الأطفال

شباب هذا العصر يحتاج إلى تنوير يزيل العتمة

المجلات الثقافية التي تتناولها «الفصل» وتمس الواقع لها تأثير كبير في التربية وخاصة علينا - نحن الأجيال الصاعدة - فهي تساعد على فهم الكثير من القضايا مما كان يطرح بشكل مُشوَّه أو مبتور أو سطحي، أو منحاز وغير موضوعي. ففي هذا العصر الذي برزت فيه قضية الصراع بين الحضارات بصورة واضحة، يحتاج الجيل الجديد إلى تنوير يزيل من عيون أبنائه العتمة وليواكب ما يُطرح وهو على دراية.

شيء آخر.. باب «دائرة المعارف» في مجلة «الفصل» يغطي حاجة معرفية مهمة، وأشير - على وجه الخصوص - إلى موضوع الباب في العدد 233: مصطلحات الصحة النفسية التي قدمها د. عبدالرحمن العيسوي، فقد وجدت فيه ضالتي المعرفية، وما كنت بصدد البحث عنه. لذلك فإنني أستزيد وأطلب من د. العيسوي أو من غيره أن يتناول تلك المصطلحات بشرح معمق ويعرض أسبابها وعلاجها، ولاسيما مصطلحي فصام الشخصية والصراع، فتناول مثل هذه الموضوعات في المجلة يُبسِّطها أكثر مما هي في الكتب العلمية المتخصصة.

محمد سالم بن الشيخ
نواكشوط ص.ب 3748
موريتانيا

الرسالة أمانة

لا شك في أن «الفصل» رمت من تخصيص زاوية «بين القارئ والقارئ» إلى خدمة القراء، من طريق تبادل المنفعة الثقافية، ولكن يؤسفني أن أكتب هذه السطور عاتياً على بعض الإخوة الذين يعرضون خدماتهم عبر هذه الزاوية، ويتعهدون بتزويد من يرسلهم ببعض الكتب والمجلات والصحف، وعند الكتابة إلى بعض من هؤلاء تجد أنه «لا حياة لمن تنادي»، فلا يجيبون، فقد كتبت إلى كثيرين، وكنت أحسن الظن بهم، ولم أجد جواباً ولا إشعاراً بالسلب، وتجذونني أخاطب هؤلاء عبر بريد «الفصل»: الالتزام بالالتزام، والجد الجدد، وإلا فاتركوا المساحات الغالية من الزاوية لغيركم، فالرسالة أمانة.

بياز عبد الرازق
17200 عين وسارة، ص.ب 407
الجزائر

تخصيص باب لتفسير القرآن الكريم

أحييكم على ما تبذلونه من جهد في إصدار «الفصل» بما تشتمل عليه من جرعة ثقافية متكاملة العناصر، وإخراج بالغ الأناقة. لدي اقتراح أرجو أن تبحثوا إمكان تحقيقه تلبية لرغبة قطاع عريض من القراء، وخاصة الشباب، والاقتراح هو: تخصيص بضع صفحات لتفسير القرآن الكريم، فكثير من الشباب في البلاد التي تنتشر فيها «الفصل» لا يستطيعون اقتناء كتب التفسير لارتفاع أسعار الكتب، كما أن المكتبات العامة لا تسمح بالاستعارة الخارجية للمجلات والكتب الكبيرة.

محمد مبروك محمد بركات
ص.ب 33619 الصافية، دسوق، كفر الشيخ
مصر

لماذا سوء التجليد؟

أحرص كثيراً على اقتناء مجلة «الفصل» التي أعدها كتاباً ذاخراً بالعلوم وشتى صنوف المعرفة، إضافة إلى تميزها بجودة التجليد والطباعة، ولكنني لاحظت أن العدد الأخير لم يكن جيد التجليد، إذ فوجئت بتناثر أوراقه، مما حال دون احتفاظي بالمجلة في مكتبي؛ لذا أرجو أن تعود المجلة إلى سابق عهدها وتهتم بجودة التجليد، لتكون سرفاً يحرص على الاطلاع عليه أبنائي وأمثالهم في المستقبل، بحسبانها درة تستحق الصون.

نورة عبدالملك محمد المطلق
المنذ، القصيم

بين الفصل وقرائها

أطرح فكرة إنشاء ناد لأصدقاء مجلة «الفصل» وقرائها، يتم من خلاله توثيق علاقة القراء من أرجاء العالم، بعضهم ببعض، من حيث تبادل الآراء والأفكار والأعداد وتبادل الكتب والمطبوعات المختلفة.

خليل النقاش
ص.ب (1-أ) القرام
ولاية ميلة 43100، الجزائر

«البريد» زاوية تستقبل فيها المجلة رسائل القراء، ويمكن أن ترد على بعضها، وتترك الرد على بعضها الآخر للقراء يمكن أن تقوم المجلة بتحرير بعض الرسائل من أجل مساحة الصفحة، أو لزيادة الإيضاح فقط الرسائل التي ترد بعنوانين وأسماء ترسل باسم المحرر (زاوية بريد المجلة) ص.ب (3) الرياض ١١٤١١



شاع

مفهوم «الغزو الإعلامي والثقافي» شريعاً عظيماً، ولا سيما في مجتمعات ما يعرف بالعالم الثالث، مع التطور التقني الهائل الذي شهده حفل الاتصال، وتعاطف استخدام الأقمار الصناعية في البث المباشر. ويعكس ذلك مخاوف تلك الدول من أن يصبح تقدم تقنيات الاتصال وسيلة لممارسة الهيمنة الثقافية عليها من قبل الدول المسيطرة تقنياً، والتي تمتلك تلك الوسائل بما لديها من خبرة فنية وقوة اقتصادية. بل إن هناك دولاً ذات تقدم تقني أضحى تخشى على ثقافتها وهويتها من تأثير وسائل إعلام دول أخرى تشاركها ذلك التقدم، إلى حد أن فرنسا اتهمت الولايات المتحدة الأمريكية مراراً بأنها تريد غزو غيرها من الدول ثقافياً، وقد وصفت فرنسا - في دفاعها - تلك الثقافة الغازية بأنها ثقافة «الكوكاكولا».

وتسوّغ الإحصاءات مخاوف الدول النامية من التأثيرات الإعلامية في هويتها وثقافتها، لما يوجد من اختلال بين في تدفق المعلومات بينها وبين الدول المتقدمة التي تحتكر خمس من وكالات أنبائها أكثر من 80٪ من حجم الأنباء المتداولة، وهذه الدول تسيطر على نحو 90٪ من الترددات الإذاعية، كما تضم ما يقارب 90٪ من العلماء والفنيين المتخصصين في تقنيات الاتصال، مما يجعل لها اليد الطولى في تطوير تقنيات الاتصالات الفضائية. وتصب كل الإحصاءات التي تتعلق بصناعة الإعلام في هذا المصّب، ولا يعدّ الاختلال في تدفق المعلومات مقتصرًا على الناحية الكمية فحسب، وإنما يمتد إلى أساليب السرد وطرائق العرض وفنون التغطية الإعلامية والموازنة، مما يوضح بجلاء أن عشر سكان العالم يسيطرون على هذه الصناعة، ويتحكمون في توجيهها بما ينفع من مصالحهم.

وإذا كان اتباع المغلوب للغالب ومحاكاته في زيه وعوانده وكل شؤون حياته من الظواهر الطبيعية التي تشهدها حركة التاريخ كما يفهم من تحذير ابن خلدون في مقدمته من هذه النتيجة لسلبية المغلوب؛ فإن من المفترض أن يكون الإعلام أداة للحيلولة دون الوقوع في أسر التقليد والحاكاة، وبخاصة في ظل

هذا الرزخ الإعلامي الموجه من الآخرين الذي يخاطب المشاعر والعواطف أكثر من مخاطبته للعقول، مستخدماً وسائله وتقنياته العالية، في محاولة لترسيخ التبعية وفقدان الثقة بالنفس وانعدام روح المغامرة والمبادرة.

وتبدو آثار الغزو الإعلامي والثقافي في الدول النامية - ومن بينها الدول العربية الإسلامية - في صور شتى، فهناك في الدواخل، يسكن بعض النفوس إحساس عميق بالنقص والدونية، يدفعها إلى إنكار تراثها الحضاري، والنظر إليه على أنه من أسباب التخلف، في حين تنظر - هذه النفوس - إلى الحضارة الغربية بإجلال وإكبار، مغية ما في هذه الحضارة من سلبات. وأصحاب هذه النفوس المسكونة بالشعور بالنقص لا يرون طريقاً للتقدم والرفق، إلا ما سلكته حضارة الغرب، فهم يرون في قيمها وكراماتها معايير القبول والرفض التي يتم وفقاً لها النظر إلى الموراث الثقافية والفكرية، ويحكمون نظرتها في رؤيتهم للإنسان والكون والحياة. وأدى هذا الولع بحضارة الغرب - من غير تمحيص لإدراك إيجابياتها وسلبياتها - إلى أشكال ساحرة من التقليد الأعمى، التي تبرز جوانب من الاستلاب الثقافي الناتج من الغزو الإعلامي، إذ يحاول بعض أبناء الأمة العربية والإسلامية تقمص صفات وخصائص الإنسان الغربي، فهناك أغاظ متعددة من السلوك التي توضح ترسخ الشعور بالنقص في نفوس أولئك الذين فقدوا انتماءهم إلى ثقافتهم، وارتضوا تبعيةهم للثقافة الغربية، فلا يأخذون منها إلا القشور التي تمسخ هوياتهم، وتجعلهم موضع التهمك والسخرية. فهؤلاء أقفستهم وسائل الإعلام الغربية عن واقعهم، ودفعتهم إلى قتل تقاليد الحياة الغربية، ومحاوله محاكاتها، حتى غدوا يعرفون عنها أكثر مما يعرفون عن تراثهم، فهم في يومهم لا يجدون الوقت الكافي للبحث عن ذواتهم وأصالتهم، بعد أن أغرقهم طوفان الإعلام الغربي بكل وسائله وأساليبه الجذابة. وتكمن الخطورة في أن يغترب الإنسان عن البيئة التي نبت فيها؛ لأن ذلك يعني أن أجيالاً ستأتي من صلبه لن تعرف أصولها وجذورها، وتعيش في واقعها حالة من الانقصام التام.

وانعكست تأثيرات الغزو الإعلامي بوضوح في المفاهيم والقيم الاجتماعية في كثير من الدول النامية؛ فقد تفشت النزعة الفردية، بدعوى حرية الفرد واستقلالته، وأصبح ميل الفرد إلى تحقيق طموحاته وتطلعاته من غير مراعاة لأداب المجتمع وقيمه وتقاليد، مما يتعارض مع مبدأ الحرية في إطاره الصحيح، وحل التفكك الأسري محل الترابط الأسري في مجتمعات كانت ترى في ذلك الترابط ما يميزها من غيرها، وانقطعت قنوات الحوار داخل الأسرة الواحدة، فأصبح الحوار بين الفرد والتلفاز، الذي تضخم برامجه إحساس «الأناء» في النفوس، وتغذي الميول نحو العنف واستخدام القوة. وقد أوضحت الإحصاءات أن 65٪ من مادة الإعلام اليرمي في عالمنا معادية للتدين، مما يشكل خطراً كبيراً على المعتقدات الدينية، ومن ثم على هوية المجتمع، وبخاصة إذا أدر كنا أن

معدل مشاهدة الأطفال - الذين تتراوح أعمارهم من 9 - 10 سنوات - للتلفاز يصل إلى 3 ساعات يومياً، وأن هؤلاء الأطفال يفضلون البرامج الترفيهية على البرامج التعليمية لما تتضمنه من عناصر جذب وإثارة وتشويق، في حين تسم البرامج التعليمية بالمباشرة والجمود والرتابة، وهذا الوضع في حقيقته يمثل مأساة كبيرة وينذر - في الوقت نفسه - بمستقبل بائس لأي مجتمع لا يدرك خطورة وسائل الإعلام، وخاصة التلفاز، في تشكيل عقول الناشئة وتوجيه أدواقها، مما يقتضي ضرورة الاهتمام بما يُبث من خلاله. ولما يدعو إلى الأسى أن هناك محطات تلفاز عربية تصل نسبة البرامج الأجنبية فيها إلى أكثر من 50٪، وذلك يعني أن ضعف الإنتاج التلفازي في تلك المحطات بلغ حداً كبيراً، فتأتي البرامج الأجنبية ملء تلك الساعات، ويكون وقوع الإنسان العربي تحت تأثير الإعلام الغربي من خلال أخطات العربية التي كان عليها أن تكون وسيلته لدفع ذلك التأثير عنه.

وقد رسّخت وسائل الإعلام الثقافة الاستهلاكية في العقول، وخاصة في المجتمعات التي تقل فيها نسبة الوعي، وترتفع فيها نسبة الأمية الهجائية والأمية الثقافية، ففي هذه المجتمعات التي تسودها روح التقليد والحاكاة، يسهل كثيراً أن تحقق الرسالة الإعلامية مراميها، مستخدمة أساليب فنية عالية في الإيهار، وفنون العرض في الإعلانات وصولاً إلى إقناع المستقبل بمحتواها، مما أدى إلى انقلاب في المفاهيم والأولويات، فأصبح ينظر إلى الكماليات على أنها ضروريات، واستغلت المؤسسات التجارية والمصارف ذلك النهج الاستهلاكي، وغذته باتاحة فرص التقسيط والائتمان في التسهيلات، حتى كبلت الفرد، فصار أسيراً لها، يظل يعمل لكي يسد لها فوائدها التي تتراكم مع الأيام، فقد يقضي في دفع ما تراكم حياته كلها من دون أن يسدأ بتسديد أصل الدين PRINCIPLE. وتقوم الشركات المتعددة الجنسيات بحملات إعلانية ضخمة ترمي إلى ترويج منتجاتها بين أبناء الدول النامية، معوّقة بذلك خطط التنمية في هذه الدول، إذ تشدني فيها - من جراء تأثير تلك الإعلانات - قيم الادخار وترشيد الاستهلاك، ويقل الإقبال على المنتجات الوطنية. وتشير الدراسات إلى أن نسبة الإعلانات في محطات التلفاز العربية تتراوح ما بين 20 - 40٪ من ساعات إرسالها، وهي بذلك تسهم في الترويج لقيم الحياة الغربية وعاداتها.

وقدمت الحركة الصهيونية نموذجاً فريداً في استغلال وسائل الإعلام في تحقيق مآربها الاقتصادية والسياسية، فقد فطن الصهاينة - مبكراً - إلى خطورة الإعلام وشدة تأثيره في تشكيل الاتجاهات وتكوين الآراء والقناعات حيال القضايا والأشخاص، فبنت الحركة الصهيونية خطتها (استراتيجيتها) الإعلامية بما يحقق لها مقاصدها، فعمدت إلى التغلغل في المؤسسات الصحفية، وشت فيها عملاءها، وكان تركيزها في البداية على تغيير الاتجاهات السلبية التي استقرت في الذهنية الغربية عن اليهود، بسبب ممارساتهم وأفعالهم التي تقوم على

بالإعلام وأثره

تعد المصدر الرئيس لتمويل عملها. وفي الوقت نفسه، واجه كل من عارض التوجهات الصهيونية ضغوطاً شديدة، أدت في بعض الأحيان إلى إفلاس هؤلاء المعارضين، وإخضاعهم لحصار إعلامي يؤدي بهم إلى الانزواء بعيداً عن الأضواء، كما حدث لناشر كتاب «الملف السري لإسرائيل» الذي ألفه فينست مونتيه، والذي أوضح فيه اغتيال الصهاينة لندوب الأمم المتحدة الكونت بيرنادوت في بيت المقدس لتعاطفه مع الفلسطينيين؛ بل إن الهيمنة الصهيونية قد تطول أعمالاً أدبية، لأدباء تعد أعمالهم إرثاً إنسانياً، لتجاوزها نطاق الخلية إلى رحاب إنسانية واسعة. وذلك حين يرون في تلك الأعمال ما يسيء إلى الصورة التي يريدونها لأنفسهم في عيون الآخرين. فقد حوّصرت مسرحية شكسبير «تاجر البندقية» ومنعت من العرض على المسارح، لأنها رسمت صورة سيئة لشخصية اليهودي (شيلوك) تماثل تلك الصورة التي بذلوا جهدهم لإزالتها من الأذهان.

وإن كان الصهاينة قد بلغوا ما بلغوه من نجاح في تحقيق مآربهم، بوسائل غير مشروعة في أغلبها، مستخدمين تزييف الواقع وتغيب الحقائق، ودغدغة المشاعر، فإن الأولي أن يكون للعرب خطتهم الإعلامية التي تقوم على الصدق والموضوعية، مادامت الحقائق سنداً لحقوقهم، مع الاستفادة مما تتيحه التقنيات الحديثة من إمكانات التأثير؛ فليس معقولاً أن تستقي كل دولة عربية أخبار دولة عربية أخرى من وكالات الأنباء التي يحكمها الهوى في صياغة الخبر وإيراد الرأي، ولا يكفي أن يقوم الإعلام العربي بدور الوسيط، فيعيد صياغة الخبر من دون أن يغامر بالحضور اليقظ في مواطن الأحداث، ولا يتسق مع منطق العقل أن يكون الجرمود والرتابة صفتين للبرامج العربية، وأن تتخلل وسائل الإعلام العربية في أساليب الحوار والجدل والإقناع.

إن واقع الإعلام العربي يقتضي نظرة فاحصة، وموازنة موضوعية مع الآخرين، لعرف أين نقف وإلى أين نحن سائرون. وأهم ما ينبغي أن يقوم عليه هذا الإعلام المنهج المؤصل لهويته. فالمنهج هو الذي يحدد دور الإعلام، ويوجه خطواته نحو المقاصد، لأنه مجموع الضوابط التي تحكم أي عمل، ولا ضوابط في أي مجال من مجالات الحياة في ظل الإسلام إلا ما تفره المرجعية الإسلامية، فهي التي تستند إليها لإدراك مواطن الصواب والخطأ. وعلى هذا الأساس، فإن الإعلام العربي مطالب ألا يكون وسيلة لأسر العقول، وإنما ينبغي أن يكون أداة لاعتناقها من كل قيد يتنافى مع إنسانية الإنسان، لأن عليه دوراً في بناء الإنسان المتسامي القادر على مقاومة نزعات الشر في داخله، ذلك الإنسان الذي يقرأ ويسمع ويشاهد، ويستطيع أن يصل إلى التحليل الدقيق، والاستنتاج السليم ما يعرض عليه، فلا يخضع لثمن القول، ولا لإغراء الصورة، وإنما يحكم مرجعيته ويؤسس عليها أحكامه وقعااته، متحدياً أي تأثير مهما كان مصدره.

د. زيد بن عبد المحسن الحسيني

التلفاز والقنوات الفضائية ومراكز صنع المعلومات، واحتكروا ما يعرف بصناعة النجوم، ويعنون بها إبراز شخصيات من العاملين في حقول الإعلام المختلفة، وفي مجالات العمل السياسي والاجتماعي، إذ يجعلون منهم قدوة يتطلع إليها الشباب، فيقلدونهم في حر كاتهم وسكناتهم، ويصبح لآرائهم ووجهات نظرهم تأثير كبير في النفوس، ومن ذلك، ما أدلت به المسئلة الأمريكية حين فوندا بعد أن شاركت في فيلم يبنني وجهة نظر الصهيونية، إذ تقول: «إن أكبر خطر يواجه أمريكا اليوم هو خطر العرب ببتروهم ودولاراتهم، وقد أنتجت هذا الفيلم لأثبت ذلك للعالم كله». وقد لا تعني مثل هذه المسئلة ما تقول، ولكن ما يربطها باليهود المتحكمين في صناعة السينما من مصالح يدفعها إلى تبني وجهات نظرهم، وخاصة إذا لم تشعر بأن لآرائها ردود فعل سلبية في الجانب العربي، فماذا يضيرها أن تقول ما يشاؤون، فبرغم كل ما قالته ظلت أفلامها تعرض في كثير من البلدان العربية والإسلامية. وامتد التأثير الصهيوني ليشمل علماء ومفكرين لهم مكانتهم في مجتمعاتهم، حتى اقتنعوا بتزاعم الصهيونية وتبنوها على أنها حقائق مسلم بها، فعلى سبيل المثال، يشير الكاتب الفرنسي بليزيه إلى أن «اليهود في الشرق الأوسط رواد الحضارة الغربية، وإقامتهم في تلك المنطقة لازمة وضرورية ودائمة، وهي لازمة للمجتمع الإنساني، وضرورية لحفظ الحضارة الغربية من الخطر العربي والوحشية العربية، وهي دائمة لأنها تعبر عن الحقيقة التاريخية». وتبين من هذا الرأي أن الصهيونية بلغت مآربها في إقناع كثيرين من قادة الرأي في العالم العربي بادعاءاتها، لدرجة أن اليهود غدوا لديهم حملة مشاعل الحضارة الغربية إلى الشرق المتخلف، مع أنهم كانوا موضع احتقار طوال مدة وجودهم في الغرب؛ ولأن أصبحوا يحتاجون إلى كل دعم ومساندة للعيش وسط من يترصون بهم من العرب المشوحنين. ويزر نجاح الصهاينة في السيطرة الإعلامية فيما تجده أنشطتهم من تغطية واسعة تجعلها دائماً موضع اهتمام ومركز جذب للأنظار، مع أنها قد تكون أقل شأنًا من أحداث أخرى تترامم معها، ويذكر مناحم بيجن بفخر شديد هذه الحقيقة في كتابه «الثورة» قائلاً: «من المسلم به أن أية جماعة أخرى لم تكن لها الشهرة والدعاية لكفاحها في جميع أنحاء العالم، مثل الشهرة والدعاية اللتين كانتا لكفاحنا، فينما كانت ثورتنا تأخذ مجراها، كانت هنالك عدة معارك في جبال اليونان، ولكن التحقيقات الصحفية في عملياتنا كانت تغطي بعنايتها الصارخة الصفحات الأولى من صحف العالم، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية».

وهذا الاهتمام الذي أولته وتوليه وسائل الإعلام للحركة الصهيونية لم يأت من فراغ، وإنما جاء نتيجة خطة إعلامية منظمة تحددت منطلقاتها ومراميها ووسائلها بدقة وبعد دراسة مستفيضة تناولت المناخ المحيط بالعمل الإعلامي، والجساهير المستهدفة، والأساليب المناسبة لخطبتها، مع العمل على تحقيق السيطرة المادية على تلك الوسائل، ولأسيما الإعلانات التي

لاستغلال والأمانية، وإشاعة الفساد بكل صوره في المجتمع، وجعلت تحقيق هذا القصد منطلقاً لها للسيطرة على العالم، فالخامخام راشوران يقول في عام 1869م في مدينة براغ الألمانية: «إذا كان الذهب هو قوتنا الأولى للسيطرة على العالم، فإن الصحافة ينبغي أن تكون قوتنا الثانية»، ولامتلاك هذه القوة، فقد اتخذت الحركة الصهيونية وسائل متعددة، منها ملكية المؤسسات الصحفية والتحكم في مصادر تمويلها، إلى جانب احتكار المدخلات التي تقوم عليها صناعة الإعلام، من ورق وأفلام وجبر ومعدات وآلات طباعة وغيرها.

واستطاع الصهاينة تحقيق غرضهم الأول، إذ حوّلوا مشاعر الكراهية والاحتقار تجاههم في الغرب إلى إحساس عميق بالذنب، ولكن على الرغم من المحاولات المستمرة لليهود لتغيير صورتهم، فإن كلمة «يهودي» ظلت مرتبطة في الأذهان بمعنى سلبي يتجاوز الدلالة اللغوية؛ لتشير إلى مجموعة صفات غير مرغوب فيها، تتصف بها تلك الجماعة. وأثار هذا الواقع حفظة الصهاينة، فعملوا على تغييره، وكان نشاطهم واضحاً في الأوساط العلمية. فالقاموس الصادر في عام 1989م عن زمالة الإدارة المتعددة الثقافات في كلية الصحافة بجامعة ميزوري THE DICTIONARY OF CAUTIONARY WORDS AND PHRASES. يورد أن كلمة «يهودي» JEW تفسر بوصفها سبة. فهي - حسب إيضاحه - عدائية OFFENSIVE، وتلفاذي هذا المعنى السلبي للكلمة، ولتغيير الصورة الذهنية المرتبطة بها، فإن قاموس THE OFFICIAL POLITICALLY CORRECT يقترح استعمال تعبير «الشخص اليهودي» JEWISH PERSON للدلالة على أتباع الديانة اليهودية، أو الشعب الذي ينحدر من السلالة اليهودية، بدلاً لكلمة يهودي JEW. وتزامن مع سعي اليهود إلى تحسين صورتهم، سعيهم الآخر لتشويه صورة الإنسان العربي المسلم، مستغلين موارث العداء بين الإسلام والنصرانية التي تجسدت في الحروب الصليبية، وفي الاستعمار الغربي لكثير من بلدان العالم الإسلامي في الشرق والغرب بعد ذلك، ورسموا صورة (كاركاتيرية) ساهرة للمسلمين في أذهان الغرب. وإذا كانت الصحافة المقررة مرحلة أسهمت في رسم صورتين متضادتين لليهودي والمسلم في ذهن الغربي، فإن صناعة السينما كانت ترسيخاً لها تين الصورتين؛ إذ تحكم فيها اليهود منذ بداياتها، حتى إن هناك إحصاءات تشير إلى أن 90٪ من السينمائيين العاملين في المجالات المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية هم من اليهود، ومن هنا، فلا غرابة أن تكون هذه الصناعة وسيلة فاعلة لهدم القيم الإنسانية ونشر مظاهر الفساد في المجتمعات المختلفة، فهم في ذلك ينطلقون من موروث ممارساتهم القديمة في حارات اليهود التي عرفت بوصفها بؤر فساد في جميع المجتمعات التي عاشوا فيها، ولعل هذا ما يفسر المعنى السلبي لكلمة «يهودي» التي تجاوزت دلالتها اللغوية إلى دلالة عاطفية، كما أشير سابقاً.

ولا يألو الصهاينة جهداً في توظيف كل تقنية جديدة في مجال الإعلام، فقد هيمنوا على محطات الإذاعة وشبكات

أدب ونكر

- 19 موسى - عليه السلام - في التلمود د. حسن ظاظا
- 24 الرسم بالكلمات.. نظرات في الصورة الفنية في القرآن الكريم ناديا مظفر سلطان
- 30 الفن القصصي الإماراتي.. واقعية تلوذ بالماضي د. عبدالفتاح عثمان
- 35 المعيار الإسلامي في النقد الأدبي.. تصور وسطي للقارئ والناقد د. عبدالرحيم الرحموني
- 43 من ملامح التأثير الصهيوني في الفكر البريطاني د. عاصم حمدان علي
- 44 القصة الإسلامية في المغرب: تفاعل الذات مع الواقع أم سلمى
- 54 الشاعر والمدينة.. علاقة حنين ورتاء، ثم مأساة! سعيد بوعطة
- 57 العالم الإسلامي ومشروع النظام العالمي الجديد (قراءة في كتاب) عبدالسلام محمد طويل
- 62 علي بن محمد السنوسي بين عهدين (من أدب الجزيرة) د. عبدالله أبو داهش
- 72 قيمة الكتاب في الحضارة الإسلامية إبراهيم نويري
- 100 أهمية التجديد الفكري الحضاري مصطفى بلمشري
- 103 جدلية الفكر سعد البواردي
- 109 ميراث البخيل حمد الزيد

لغة

- دراسة في فكر زكي نجيب محمود: إذا كان الجميل هو النافع، فلا عيب أن يولع العرب بموسيقا الكلمة محمد جمال طحان
- 48 دلالة «أو» (صداع العقول) الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري

قضايا اجتماعية

- 61 المرأة والإشاعة (أقوال وخواطر) د. نوره الشملان
- مشكلة المهور في شبه القارة الهندية تعكس طبقية المجتمع وعنصريته حسن بن حسين المهنا

تراث وتاريخ

- عبرية السلوك الإنساني (قصة قصيدة) د. محمود جبر الريدادي
- 67 الألغاز الشعبية في تونس خليفة الخيازي

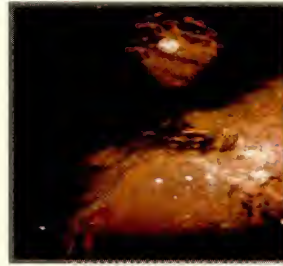
النواعير.. أوابد قديمة أضحت رمزا للجمال



عندما يقترب المرء في مدينة حماة السورية من نهر العاصي، وتطالع عيناه النواعير الضخمة المنصوبة على مياهه؛ فإنه يتساءل: كيف تصنع هذه النواعير؟ وم تكون؟ وكيف يتم نصبها وهي بهذه الضخامة، ولا سيما إذا علم أن وزن بعضها يصل إلى واحد وثلاثين طنا وهي فارغة؟

لقد اشتهرت حماة بأنها «مدينة النواعير»، وارتبطت حكاياتها وحكايات نواعيرها بنهر العاصي الذي ولد قباز يصحبنا في رحلة شائقة يعرض فيها نشأة النواعير، وكيفية صناعتها، وأشهر النواعير في مدينة حماة.

طالع ص 11



أسرار غمامة الجوزاء

محاولات الإنسان لسير أغوار الكون، وحل أسرار ومعرفة ما يحتويه لا تتوقف، وطموحاته في هذا المجال تتسع باستمرار. ووسيلة الإنسان إلى ذلك هي: سلطان العلم، وما تيسر الكشوفات والاكتشافات من وسائل تختزن المسافات والأزمنة، فيأخذ العلماء والباحثون بناصية الحقيقة، ويدحضون الاستنتاجات التي كانت قد أسست على التخيل.

عدنان عضيمة عرض الاكتشافات الفلكية المهمة التي حققها العلماء بوساطة مقراب (تلسكوب) هابل، والنظرة العلمية التي استحدثت بعد حل الألغاز الخيرة بشأن برج الجوزاء والغمامة التي تحيط به.

طالع ص 83

المذكرات ونصف الحقيقة

تعد كتابة المذكرات أسلوباً لتسجيل أحداث التاريخ ووقائعه، وإعادة قراءتها بطريقة معمقة تكشف أبعاد الأحداث ودلالاتها من حيث توقيتها والظروف التي لازمتها، والأسلوب الذي عرّجت به، كذلك تفسير صاحب المذكرات للمتغيرات والثوابت، بوصفه أحد المشاركين في صنع القرار، وأحد الشهود على مرحلة تاريخية معينة.

وإن كان عدد من المؤرخين يرى أن المذكرات لا تصرح بالحقيقة كاملة. كتاب «سبع سنوات حرجة في وزارة الدفاع الأمريكية» المتضمن مذكرات كاسبر واينبرجر وزير الدفاع الأمريكي الأسبق، تناوله د. محمد عبدالعليم مرسى، فعرض الأفكار التي حوّاها، وسلط الضوء على تحليل المؤلف لكثير من الأحداث التي شهدتها تلك الحقبة.

طالع ص 93





د. عاصم حمدان علي حمدان

- من مواليد المدينة المنورة 1373هـ.
- حاصل على بكالوريوس اللغة العربية وآدابها من جامعة أم القرى بمكة المكرمة 1396هـ، ثم درس في جامعة لانكستر بالمملكة المتحدة، وحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة مانشستر في عام 1406هـ.
- يعمل أستاذًا مشاركًا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة الملك عبدالعزيز في جدة، وعضو هيئة الإشراف بمجلة كلية الآداب المحكمة، وعضو هيئة الإشراف بمجلة الحج الصادرة عن وزارة الحج، حيث يعمل مستشارًا غير متفرغ بمكتب معالي الوزير.
- من مؤلفاته: التأمر الصهيوني الصليبي على الإسلام، سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي 1409هـ، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ، نادي المدينة المنورة الأدبي 1412هـ، حارة الأغوات صورة أدبية للمدينة المنورة في القرن الرابع عشر، دار القبة 1413هـ، حارة المناخة، دار القبة 1414هـ، نحن والآخر، نادي المدينة الأدبي 1415هـ، أشجان الشامية صورة أدبية لمكة المكرمة في العصر الحديث، دار جدة 1417هـ.

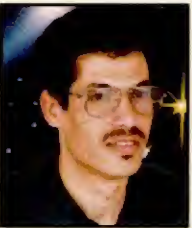
نادية مظفر سلطان الأتاسي

- مهندسة معمارية، تخرجت في كلية الهندسة في حلب عام 1977م.
- لها عدد من المعارض الفنية، منها معرض بعنوان «حلب هبة الله»، ضم لوحات بالألوان المائية، ثم معرض آخر بالألوان الزيتية والمائية. وآخر معارضها كان في تورنتو بكندا.
- نشرت بعض كتاباتها في صحف ومجلات محلية وعربية.



خليفة الحيارى

- من مواليد مدينة سلطنة، تونس 1968م.
- يعمل بالتدريس في المعاهد الثانوية، في مجال الأدب والحضارة العربية.
- كاتب صحفي، وعضو هيئة التحرير بمجلة «الانحاف» الثقافية.
- له مقالات أدبية ودراسات نقدية في مجالي الفكر والحضارة في كثير من الصحف والمجلات المحلية والعربية، كما يكتب القصة القصيرة والشعر.



عبد السلام طويل

- متخصص بالعلوم السياسية.
- عضو الجمعية المغربية للفكر الإسلامي والعلوم الإنسانية.
- له مجموعة من المقالات والدراسات الأدبية المنشورة في الصحف المحلية والعربية، وله كتاب تحت الطبع بعنوان «نهاية التاريخ والبديل الحضاري الممكن».



سعيد بو عطة

- من مواليد ورزازات، المغرب 1964م.
- حاصل على دبلوم الدراسات العليا في الأدب الحديث.
- يعمل مدرّسًا للغة العربية في المدارس الثانوية.
- شارك في عدد من المؤتمرات والندوات المحلية والدولية.
- نشر عددا من المقالات في صحف ومجلات محلية وعربية، كما أن له عددا من الأعمال المخطوطة.

تاريخنا المقتري عليه بين الجمود والتطرف د. محمد عبدالستار نصار 75

من نواذر التصنيف: منازل الأحباب ومنازه الألباب 91

شخصيات

الأديب فراج الطيب: مجامع اللغة العربية

هاجعة، والعامية لا تغني اللغة (حوار مع) أجراه: حسين حسن حسين 51

كيف يمتلك القاص أدواته الفنية؟ (من تجاربهم) عبداللطيف الأرناؤوط 78

الأديب الإسباني خوان جويتسولو: من

المهم أن يسكن الكاتب في مدينة عربية محمود قاسم 101

طب وعلوم

الأسنان: لها حكايات د. صلاح يحيوي 120

شعر وقصة

حي المعلم (قصيدة) بدر عبد الحميد إبراهيم 65

هواجس في أعماق شاعر (قصيدة) جاك صبري شماس 106

صدق الهوى (قصيدة) يس قطب الفيل 107

تألم ولكن (قصة قصيرة) د. طه وادي 108

الأبواب والزوايا الشابتة

العالم قريتي 8

الطريق إلى الله: حذيفة والتحول الثالث 64

طريق الهدى فضيلة الشيخ عبدالله الجبرين 66

المكتبة السعودية 80

دائرة المعارف: الحلبي في التراث

العربي والإسلامي إعداد: عبد الحميد حسانين حسن 104

الإجراءات الجنائية في التشريع الإسلامي

(آفاق اجتماعية) د. تماضر حسون 97

الحركة الثقافية في شهر 110

كتب وردت 123

المسابقة 124

الاستراحة 126

تباشير: إخوة الإسلام (قصيدة) عبدالله هادي العلفي

ردود خاصة تعليق: د. محمد أحمد إدريس 128

مناقشات وتعليقات 130

على موعد: مجازفة النشر 132

نور الدين بليل 138



الشمبانزي مكتشفاً للعقاقير الطبية

قد يتوصل الإنسان إلى اكتشافات مفيدة من طريق مراقبة سلوك الحيوان، وإذا كان ذلك الاكتشاف طبيعياً فإن فوائده تشمل البشر والحيوان معاً. في متنزه جبال ماهيل بتنزانيا راقب الباحثون، بدهشة، إحدى إناث الشمبانزي المريضة وهي تجر نفسها نحو نبتة



تسمى «الفرنونيا أميغداalina»، وتآكل من جذورها الطرية، ومن سيقانها، ولأن الباحثين يعلمون أن الشمبانزي نادراً ما يأكل من تلك النبتة أمعنوا في مراقبة الأنثى المريضة، ولشدة دهشتهم وجدوها قد تعافت في اليوم التالي، واستأنفت نشاطاتها، من دون الحاجة إلى طبيب بيطري يداويها.

وللشمبانزي، مع الباحثين، تجارب أخرى ناجحة، فقد أرشدتهم إلى نبات يسمى «أبيليا» يشتمل على نسبة كبيرة من الزيت الأحمر المسمى «الثياروبرين» الذي له قدرة كبيرة في قتل الطفيليات والفطريات، والفيروسات أيضاً، ولما أجرى علماء الكيمياء الحيوية التجارب على تلك المادة وجدوا أنها تقتل الخلايا السرطانية في الأورام الصلبة، مثل الأورام التي تصيب الرئة والثدي.

ملاذات أمنة لغسل الأموال القذرة

هؤلاء ملاذات أمنة لأموالهم في دول أخرى.. الولايات المتحدة - مثلاً - تضع اشتراطات قانونية تمنع ضخ أموال الخدرات في جهازها المصرفي. فالقانون الأمريكي يقضي بأن يرسل كل مصرف إلى إدارة خدمات الموارد الداخلية معلومات مفصلة عن أصل جميع الإيداعات النقدية، ابتداء من مبلغ عشرة آلاف دولار فما فوق، وكذلك معلومات عن المودعين؛ أي مالكي تلك الأموال. وبالرغم من ذلك تروج تجارة الخدرات في الولايات المتحدة لأن «بارونات» هذه التجارة وزعماءها، يجدون في المكسيك - جارة الولايات المتحدة - أوكاراً وملاذات آمنة لأموالهم التي يقومون بتهريرها وإيداعها بعض المصارف المكسيكية التي لا تجد غضاضة في قبول تلك الأموال، ولا تتحرى مصادرها. ولقد

أصبح «غسل الأموال» مصطلحاً متداولاً على نطاق واسع، للإشارة إلى ممارسات أولئك الضالعين في الأنواع المختلفة من التجارة الخمرية، وأساليبهم في التحايل على القانون، لإكساب المشروعات لأموالهم التي جمعوها بطرائق غير مشروعة، أو مشبوهة، وذلك لتمويل مشروعات أخرى لا يجيزها القانون. من تلك الممارسات التي التصق بها مصطلح «غسل الأموال»؛ الاتجار بالخدرات، وتمويل زراعتها وتصنيعها، وتهريبها، وترويجها. ويعد السماح بغسل أموال الخدرات، وعدم معاقبة ممارسيه، عوامل تساعد على استفحال هذه التجارة الخطرة.

ففي الوقت الذي تتخذ فيه دول عديدة إجراءات مشددة لخاصرة تجار الخدرات، ووقف نشاطاتهم، يجد

إعادة توطين الصقر الأمريكي لحمايته من الانقراض



تصحيح اختلال التوازن البيئي، مقصد تسعى إليه الدول والمنظمات العالمية، لذلك كثرت في الآونة الأخيرة الجهات والمؤسسات والهيئات التي تُعنى بحماية البيئة، وتنمية مكوناتها، وأسفرت تلك الجهود عن نتائج مشجعة، وخاصة فيما يتصل بإعادة توطين حيوانات كثيرة في بيئاتها، بعدما تعرضت لخطر الانقراض.. ومن هذه النتائج ما أنجزته وكالة الأسماك والأحياء الفطرية الأمريكية بإعادة توطين الصقر الأمريكي الذي كاد أن يفنى بسبب انتشار مادة (DDT) السامة القاتلة، في الجو. فقد أقامت الوكالة 1300 عش لتفريخ الصقر الأمريكي وإنقاذه من الانقراض. ومما ساعد الوكالة في أداء مهمتها البيئية القرار الذي اتخذته السلطات الأمريكية بمنع استخدام مادة (DDT)، فعاد الصقر الأمريكي يرفرف بجناحية في الهواء الطلق، في البيئة نفسها التي اعتاد العيش فيها.

الخدرات، فقد وجد بارونات هذه التجارة في التسهيلات التي تقدمها الاتفاقية، منفذاً لممارسة غسل أموالهم القدرة بطريقة أكثر سهولة، فأحدث خطط غسل الأموال وأكثرها خداعاً، تلك الخدمات المصرفية السرية التي يطلق عليها «حساب قابل للدفع بوساطة»، فوسع عملاء المصارف في المكسيك أن يضعوا أموالهم في حسابات بالدولار بضمن مصرف أمريكي. لقد ابتكرت المصارف هذه الخدمة، أساساً، لصالح المستوردين والمصدرين الذين يريدون توسيع أعمالهم في ظل «نافتا»، ولكنها أصبحت الطريقة المفضلة لغسل الأموال القدرة، وخاصة أن هذه الطريقة تمنح التعامل بها جميع مزايا النظام المصرفي في الولايات المتحدة، من دون تحمل عبء مخاطر غسل الأموال.

الولايات المتحدة من الكوكابين، عبر الحدود الجنوبية، أي إنها تعمل بالوكالة. ويقول عملاء في إدارة مكافحة الخدرات: إن المكسيكيين يعقدون صفقات بالجملة في أمريكا الجنوبية لبيع الكوكابين، وينبئون محطات التقنية الخاصة بهم، وينسجون شبكات التوزيع. ويعتقد أن هذه العصابات تتحكم في كثير من تجارة الكوكابين في كاليفورنيا، وفي الأجزاء الجنوبية الغربية، إضافة إلى تحكمها في ما يعرف بسوق حزام الشمس التي تروج فيها أنواع متعددة من الخدرات، منها: الماريجوانا، والهيروين، والميتافيامين. ما يقلق السلطات الأمريكية الآن، أن اتفاقية التجارة الحرة لأمريكا الشمالية، المعروفة بـ «نافتا» أصبحت، من دون قصد، وسيلة ومطية لتجارة

يسبب إرباكاً للولايات المتحدة في مجال التهديد المباشر أكثر من المكسيك التي تقض مضجع السلطات الأمريكية بتجارة الخدرات. والواقع أن تهريب الأموال، وكذلك الخدرات، لا يتطلب غير مجازفات قليلة، وما يُعقد الأمر أن بوسع كل شخص يقود شاحنة أن يدخل في هذه اللعبة.

ويرى المختصون في شبكة مراقبة الجرائم المالية، أن تدفق الأموال الناجمة من تجارة الخدرات سيزيد، مع تزايد دور العصابات المكسيكية، واتساع نفوذها، نتيجة لفقدان العصابات الكولمبية بعض مراكزها، بعد أن قُيّدت أجهزة الأمن حركتها وحاصرت نشاطاتها. فالعصابات المكسيكية، إلى جانب نشاطاتها الخاصة بها، تتلقى أموالاً من رصيفاتها الكولومبية، من أجل تهريب ثلاثة أرباع إمدادات

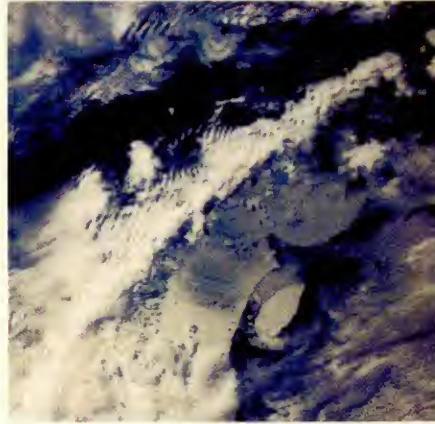
كشفت بعض الجهات المتابعة أن المكسيك تستقبل سنوياً نحو عشرة بلايين دولار، أي ما يعادل نسبة تتراوح بين 75-90% من أموال مهربي الخدرات في أمريكا اللاتينية، ولذلك أصبح يطلق على المكسيك: بنما التسعينات، و«الحفرة السوداء» الجديدة لدولارات مهربي الخدرات.

حالما تصل أموال الخدرات إلى المكسيك، تكون قد بلغت مأماتها، فلا أحد يستطيع اقتفاء أثرها، ومن هناك يقوم بارونات التجارة المخرمة بتحويل الأموال إلى جهات مختلفة لتحويل صفقات جديدة، أو إيداعها في مصارف أخرى.. وبذلك تكون عملية غسل الأموال القدرة قد تمت من دون الخشية من الوقوع تحت طائلة القانون.

يؤكد تقرير صادر من وزارة الخارجية الأمريكية: أنه ليس هنالك بلد



جبال الجليد تزحف شمالاً!



ازدادت درجة حرارة الأرض بمقدار درجة فهرنهايت واحدة منذ بداية هذا القرن، ولكن، لأسباب غير واضحة تماماً، ازدادت حرارة شبه جزيرة أنتاركتيكا، الواقعة في القطب الجنوبي، وهي امتداد أرضي يصل إلى أمريكا الجنوبية، بمقدار أربع درجات ونصف الدرجة في الخمسين سنة الماضية فقط. وفي عام ١٩٩٥م ظهرت هذه الزيادة بطريقة مشيرة كما توضح هذه الصورة التي التقطها أحد الأقمار الصناعية. وتبين الصورة في وسط الجزء السفلي كتلة جليدية ضخمة مساحتها ألف ميل مربع انفصلت عن طبقة لارسن الجليدية الضخمة في وقت ما من شهر كانون ثاني/ يناير أو شباط/ فبراير. وفي الوقت نفسه تقريباً تجزأت قطعة كبيرة من طبقة لارسن إلى أجزاء كثيرة أصغر. والأكثر من ذلك أن هذا الأمر حدث في طبقتين جليديتين أصغر حجماً على تلك الجزيرة.

يقول عالم الجليد ديفيد فوغان من مركز دراسات أنتاركتيكا البريطاني أن كتلا جليدية ضخمة تتشعب من أنتاركتيكا ربما كل ثلاث أو أربع سنوات. والمثير أن ثلاث طبقات جليدية كان يُظن أنها ثابتة قد تجزأت، ولم يلاحظ هذا التفكك بتلك السرعة من قبل، ويوحى هذا التفكك أن بنية الطبقات الجليدية قد ضعفت نتيجة ارتفاع درجات الحرارة. وفي وقت لاحق من العام تحرك الجبل الجليدي العملاق بضع مئات من الأميال نحو الشمال، ويقول فوغان إن الجبل الجليدي ربما يبقى متماسكاً لسنوات عديدة.

عدوى المستشفيات : يؤتى الحذر من مأمته !

السالفة الذكر كانت أول دراسة أوروبية للعدوى في وحدات العناية المركزة. وقد كشفت الدراسة أن 45% من المرضى في وحدات العناية المركزة قد أصيبوا بالعدوى، وأن نصفهم تقريباً أصيب بالعدوى في وحدات العناية المركزة وأن 20% منهم قد أصيبوا بها في مكان ما في المستشفى. وتقول الدراسة: إن نسبة إصابة المرضى الذين يقيمون في وحدات العناية المركزة مدة واحد وعشرين يوماً تتضاعف 33 مرة عن المرضى الذين يقيمون ليوم واحد فقط. وكانت معظم إصابات العدوى في الجهاز التنفسي. وأكثر الحالات التي تعرض بها المرضى للعدوى هي التهوية وعمليات القسطرة والأدوية ضد التقرح. كما أن معظم العدوى كانت بكتيرية. ومما يثير الدهشة أكثر - كما يقول فينسنت - أن 20% من الإصابات كانت بسبب



يموت مئات الأوروبيين سنوياً نتيجة إصابتهم بالعدوى من غرف العناية المركزة. وفي أول دراسة أوروبية على نطاق واسع لهذه الوحدات تبين أن نصف المرضى الذين تمت معالجتهم قد أصيبوا بالعدوى، وأن نصف المصابين قد انتقلت إليهم العدوى في وحدات العناية المركزة.

كان جان لويس فينسنت من مستشفى جامعة أراسموس في يروسلز هو المنظم للدراسة الأوروبية عن انتشار العدوى في وحدات العناية المركزة. وقد قامت مجموعات طبية من سبع عشرة دولة بتسجيل المعلومات عن ثمانية وثلاثين وعشرة آلاف (10038) مريض كانوا في وحدات العناية المركزة في يوم واحد بتاريخ 1992/4/29م. وقد شملت هذه الدراسة نصف وحدات العناية المركزة في أوروبا تقريباً، كما خضعت لهذه الدراسة نسبة 70% من وحدات العناية المركزة في بريطانيا.

يقول فينسنت إنه يوجد برنامج مراقبة قومي في الولايات المتحدة قد حفز الجهود بشكل كبير لتخفيض مستوى العدوى في المستشفيات. إلا أن أوروبا لا تملك مثل هذا البرنامج رسمياً. والدراسة

الفطريات. ولم تسجل أي حالة فيروسية تقريباً، ومما يثير القلق أن 80% من إصابات العدوى كانت بكتيريا المكونات العنقودية أو البكتيريا الكاذبة التي تقاوم واحداً أو اثنين من المضادات الحيوية.

النواعير

الرمز. وقصة التصنيع

وليد قنبار



.. وتشرق الشمس على مدينة حماة، وتنساب

أشعتها من خلال النواعير وأضلاعها المغتسلة

بمياه نهر العاصي صباح مساء.. وتُعانق الحياة

السرمدية، وتُبرز السحر، وترسم هالة الحسن

والفتنة والألق والإبداع.

ويتابع نهر العاصي انسيابه الهادئ المطمئن في

مدينة النواعير موزعاً في أرجائها لوحاته الخالدة

بأموائها وضافها وشلاّلاتها ونواعيرها التي

وهبت اسمها مدينة حماة فامتزجتاً معاً، وأصبحت

رمزاً للجمال والفتنة..

عندها إلى القرن الخامس الميلادي - في حين رأى بعض الدارسين أنها تعود إلى القرن الثاني الميلادي، وهو القرن الذي شق فيه وبني شارع الأعمدة ذاته -، وشكل الناعورة - كما يبدو في اللوحة - مطابقاً تماماً لشكلها الحالي، وهذا

أقدم أثر عن الناعورة

ولعل أقدم أثر تاريخي وصلنا عن النواعير.. هو لوحة فسيفسائية للناعورة تُفسّسها عُثُرٌ عليها في شارع الأعمدة في مدينة أفامية الأثرية، وهي موجودة الآن في حديقة متحف دمشق، ويرجع

مدينة حماة، ونقّرت ظلّاتها؛ صافحت عينيك لوحاتٍ طبيعية نادرة في العالم كله.. وفي مقدمتها لوحة النواعير الأربع، وساحة العاصي، وجسر بيت الشيخ، وتحت القلعة، وباب النهر.. وغيرها، وغيرها.

حقاً .. إن النواعير عنوان الطابع اللازمي.. إنها منذ فجر التاريخ تدور، ومازالت تدور حتى يومنا الحاضر، وهي دائماً وأبداً: تبغي مصافحة السماء إذا علّتْ قيردُها شوقاً إليه غديرٌ ولهذا فأنت إذا جسّست خلال



الشيخ عبدالرحمن السلق التجار أقدم مصنعي النواعير في حماة، وهو يجهز الرادين يدويا (عمره قارب المئة عام)

يعني أن هناك مراحل زمنية طويلة مرت بها الناعورة حتى اتخذت شكلها النهائي، ويعني كذلك أنها منذ نحو 1800 عام أو تنقص قليلاً لم تتبدل ولم تتغير.

الناعورة في اللغة

للتواعير في تراثنا العربي ثلاثة مسميات، فهي الدولا ب - وهذا نابع من شكلها -، وهي الساقية - وهذا نابع من عملها -، وهي الناعورة والناعور - وهذا نابع من صوتها -.

يقال: نمرت الريح إذا هبت مع صوت، والتعير: صوت في أقصى الأنف، وامرأة نَعَارَة: صَخَّابة.. والناعور: واحد النواعير التي يُستقى بها يديرها الماء ولها صوت، وتُجمع الكلمة أيضا على نواعير وناعورات. وقد شاعت كلمة ناعورة ونواعير بشكل كبير على هذه الآلات الخشبية الكبيرة المنصوبة على نهر العاصي، وخاصة في مدينة حماة وضواحيها، في حين يُطلق عليها في مصر اسم الساقية ويجمع على سواق، وأبرزها سواقي (نواعير) مدينة الفيوم.

صناعة النواعير

ومادة النواعير الأساسية هي الأخشاب، وأهمها الحور والجوز والتوت والكيما والمشمش والأكاسيا والسنديان.. وغيرها، ومن الطبيعي أن هذه الأخشاب تؤخذ من الأشجار غير المثمرة أو التي غدت هرمّة عديمة النفع في بسايتين محافظة حماة وسواها من المحافظات.

وتبدأ العملية بقطع الأشجار بالطريقتين اليدوية والآلية، وبعد القطع يجري حملها وأخذها إلى المحورة - قسم النواعير التابع لمجلس مدينة حماة -، وفي قسم النواعير

هذا تبدأ عملية تصنيع أجزاء الناعورة بمختلف أشكالها وأنواعها وأبعادها، في حين تكون فرقة (ورشة) الحدادة البلدية تقوم بتصنيع المسامير الحديدية الخاصة بالناعورة بسرعة وخبرة واضحتين.. وكان في حماة وضواحيها فرق (ورش) عديدة خاصة لتصنيع النواعير لم يبق منها واحدة في أيامنا.

سدود وأبراج

وفي الوقت نفسه الذي يجري فيه تصنيع أجزاء الناعورة تقوم جماعة العمال بترميم برج الناعورة الحجري والسدّ المقام على نهر العاصي في المكان نفسه - وما لاشك فيه أن إقامة السدّ الحجري أو الخشبي تسبق تصنيع أجزاء الناعورة الخشبية -، وهذا السدّ يحجز المياه خلفه ويجعلها ترتفع في المنسوب شيئا فشيئا، ثم يُقام

على أحد أطراف السدّ البرج الحجري بالارتفاع المطلوب، وفي أسفل البرج يُترك بين جزئيه فتحة في السد تسمح بتدفق المياه بحيث يجري نهر العاصي كاملاً من خلالها ومن خلال الفتحات الأخرى الموجودة في السد؛ سواء أكانت لناعورة أو ناعورتين أخريين أو للطواحين (الأرحية) المائية(1). ولعل أبرز أقسام البرج: المثانة وموقعا القلب والبب ثم النقيير والساقية التي تستقبل المياه وتسير بها، وهي محمولة على قناطر، وكانت تتخلل مدينة حماة وتقوم بإيصال المياه إلى البيوت والخانات والحوانيت والحدائق والبساتين وغيرها..

قياس دقيق

ويبدأ العمل في انطلاقته الأولى من برج الناعورة، حيث يقوم عاملان بقياس دائرة الناعورة

الكبرى مع توابعها وارتفاعها بواسطة قطعة من القصب طويلة على مرحلتين: الأولى من موقع قلب الناعورة إلى قعر مجرى الماء (البب) والثانية من موقع قلب الناعورة إلى أعلى البرج (النقيير)، ويرافق قطعة القصب جبل متين. وعلى الأرض المجاورة للناعورة يُدقّ في منطقة وسطى مسمارٌ كبير يدلّ على مركز الناعورة (قلبها)، ويربط بهذا المسمار جبل القياس المتين، ثم يشرع أحد العمال برسم دائرتين على الأرض: صغرى وكبرى بواسطة مسمار حديدي آخر مربوط بنهاية الحبل، وبهذا يكون قُطرًا الناعورة الأكبر والأصغر قد رُسمًا على الأرض، وعلى أساسهما وتبعًا لقياسهما يجري تصنيع الأجزاء الخشبية وخاصة الوشاحات (الأضلاع) والدائرتان الكبرى والصغرى.

الوشاحات

والوشاحات جمع كلمة وشاح، وتكون من خشب الحور الطويل، وقد يصل طول بعض الوشاحات إلى اثني عشر متراً، والوشاحات أضلاع النواعير، وعددها لكل ناعورة - مهما يكن حجمها - ثمانية وأربعون وشاحاً، ويكون كل وشاحين متقابلين تفصل بينهما الأعتاب والدوائر، وتُدقُّ رؤوس الوشاحات السفلى في الأعتاب، ورؤوسها العليا في الدائرة العليا.

الدوائر

والدوائر جمع لكلمة دائرة، وهي دائرتان - كما أسلفنا - صغرى (وسطى) وكبرى (عليا)، ولكل ناعورة أربع وعشرون قطعة

سيحمل الناعورة بكل أجزائها - والتي يصل وزن بعضها إلى ما يربو على خمسين طناً، وهذا الوزن - إن لم يكن القلب من خشب الجوز - كسفيل بدهس القلب وتمزيقه، ويكفي أن نذكر أن قلب ناعورة المأمورية بطول أربعة أمتار وتربيع 80 سم²، ووزنه 3800 كج!

الأعتاب

والأعتاب جمع لكلمة عتبة، وعددها ست عشرة عتبة لكل ناعورة، صغيرة كانت أو كبيرة، وخشبها من أشجار الجوز فقط، وهي ترتبط بالقلب مباشرة على شكل إطار وتحيط به من جهاته الأربع المصنعة. وهي التي ستدقُّ بها رؤوس الوشاحات. ومن هنا فعملها ومكانها ودقتها على غاية من الأهمية.

حماة - إلى طول مترين ونصف المتر وتربيع 70 سم².

القلب

وقلب الناعورة هو مركزها أو محورها، وعليه تدور، ويجري تصنيعه بالطريقة اليدوية بقياس دقيق للغاية، وخشبها من أشجار الجوز حصراً لثباته وتماسكه، ولا يمكن أن يكون من سواها لأنه

الكفت

والكفت قطعتان كبيرتان من خشب الجوز حصراً، ويقوم العمال بتصنيعه يدوياً، ويجري تقوير (تفريغ) جزئه العلوي على شكل هلال، لأن القطعتين ستكونان كالوسادة تحت طرفي قلب الناعورة، ويصل كفت بعض النواعير - كناعورة المأمورية في



ميازيب الماء الجديدة المعدة للناعورة



ناعورة «كازو»

تركيب الوشاحات الشمانية
والأربعين، وترتبط بدقة وإحكام مع
الدائرتين العليا والسفلى، وتُستعمل
بعض بوساطة المسامير الحديدية
البلدية.
بعد ذلك يشرع العمال في



المسامير الحديدية البلدية المستعملة في جسم الناعورة بأحجامها المختلفة

جسم البرج الحجري (الحجرية) هو
قطعتا الكفت، ثم تجري عملية
حمل القلب وسحبه على درج
المثلثة بوساطة الحبال وبجهود عدد
كبير من العمال، ليأخذ مكانه
مستريحاً على وسادتي الكفت.
وما إن تصل الأعتاب المنقولة
على أكتاف العمال حتى يجري
تثبيتها حول القلب بشكل فني
دقيق، وبوساطة أسافين (قطع
خشبية مدببة الأطراف) تدعى
أسافين الصر بحيث تدخل فيما بين
الأعتاب وجسم القلب، في حين
يجري تثبيت الأعتاب بعضها

من خشب الجوز أو التوت يتصل
بعضها ببعض فتشكل الدائرة،
وفائدة هاتين الدائرتين ربط
الوشاحات.

ومع انتهاء ربط الوشاحات
بالدوائر ينتهي القسم الأول من
تصنيع الناعورة، والذي يجري
على الأرض، وتصبح الناعورة في
شكلها العام جاهزة.. ويقوم
العمال بتزقيم أجزائها لتعرفها بعد
فكها إلى قطع ليتمكنوا من حملها
وتركيها على البرج الحجري.

عملية الإنشاء

إن أول قطعة تُوضع على



الناعورة مجهزة على الأرض بجانب البرج

جوار بعض بأخشاب معترضة فتشكل صفحة واسعة، ويتم تركيبها خلف صندوق الناعورة ويُدق رأسها فوق الريشة لتضمن قوة دوران الناعورة، ويجري تسميرها بأخشاب للتقوية تدعى العضاض (جمع كلمة عضضة)، وهي التي تربط الجامقات بالرادين. وسابعها: الأبواب: جمع كلمة باب، وخشبها من الحور أو الشوح على شكل خشبات مستطيلة قريبة في شكلها من الجامقات، وتتميز بعرضها، ويوضع كل باب فوق كل وشاحين متقابلين وطرفاه زائدان عنهما، وفائدته كالريش والجامقات تقوية دوران الناعورة حين تصطدم به المياه المتدفقة في مجرى مياه البرج (البب).

وثامنها: البيكار: وهو من خشب الشوح، على شكل إطار سماكته سنتيمتر واحد وعرضه ما يقارب أربعة سنتيمترات، ويُدق على الرادين جميعها ويربطها بعضها ببعض.

ولعل ما ذكرنا كان أبرز أقسام الناعورة وأجزائها، على أن هناك أجزاء وأقساماً أخرى تأتي على ذكرها سراعاً وهي:

- القيود: الأخشاب العريضة القصيرة التي تصل بين الشاحين المتقابلين لربطهما الواحد بالآخر، ومفردها: قيد.

- الأطابع: مسامير خشبية من السنديان بطول 40 سم وسماكة خمسة سنتيمترات لربط الشاحات بالدائرتين العليا والوسطى، ومفردها: إطبيع.

- المسامير البلدية الحديدية وهي سبعة أنواع: مسامير سكة

الرفيعة السفلى في فتحات في الدائرة العليا، ويجري تثبيتها بواسطة (ورشة) أسافين..

وثانيها: القبون: جمع لكلمة قَبُونَة، وهي بداية تكوين صناديق الماء، وتكون من خشب الجوز وغيره، وتوضع بين الرادين والرادين الذي يليه على شكل طبقتين متوازيتين متقابلتين بينهما فارغ، وتثبت بأخشاب دقيقة الرأس تسمى القراعات - جمع كلمة قرآعة -..

وثالثها: الطبق: جمع لكلمة طبقة، وتأتي الطبقة هذه بعد انتهاء تركيب صفحات القبون جميعاً وخشبها من الجوز، ويطبّق بها كل القبون من الخلف، ومن الأمام يطبق به نصفه ليس غير، فيشكل صندوق الماء أو بيت الماء كما يسميه صانعو النواعير.

رابعها: المقدّات: جمع لكلمة مقدّ، وتكون من خشب الجوز أو التوت أو الصفصاف، وهي على شكل ممر بحافتين، وتوضع في مقدمة نصف القبون الذي لم يغلق بالطبق لتشكل الميازيب التي ينصب منها الماء (حينما تدور الناعورة) في الحوض الأعلى من البرج الذي أسميناه التقير..

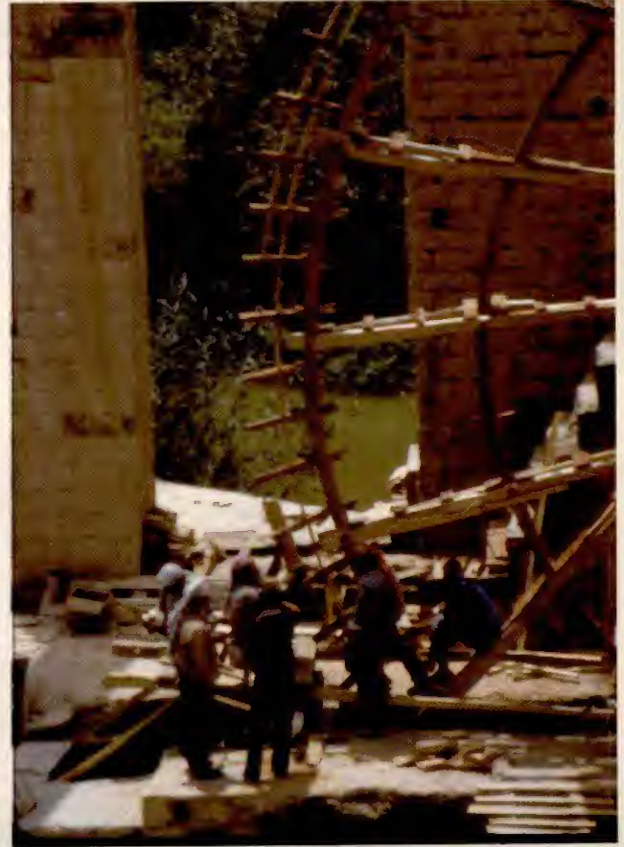
وخامسها: الريش: جمع لكلمة ريشة، وخشبها من الجوز، وهي قطعة خشبية شبه مستطيلة تُدق كل واحدة منها على رأس كل رادينة، وطرفاها زائدان على رأس الرادينة من الأمام والخلف.. وفائدة الريش إعطاء قوة دوران للناعورة حين يصطدم الماء الدافق بها.

وسادسها: الجامقات جمع كلمة جامقة، وهي من خشب الشوح أو الجوز على شكل خشبات مستطيلة تُدق بعضها إلى

فكّها ونقلها من قبلُ تبدأ عمليات تركيب الأجزاء الأخرى المصنعة والتي تأخذ دورها ومكانها تبعاً على هيكل الناعورة. وأولها: الرادين: جمع لكلمة رادينة، وخشبها من الجوز أو التوت، وهي ذات رأس رفيع ومن الجانب الآخر ذات صفحة منبسطة، ويجري إدخال رؤوسها

المسامير الحديدية البلدية في تركيب قطع الدوائر.. وقد تحتاج بعض الشاحات إثر تصنيعها وعند موعد تركيبها إلى تشقيف لكي تأخذ مكانها الطبيعي بين الأعتاب فيجري ذلك يدوياً بمهارة فائقة.

أجزاء أخرى من الناعورة
بعد تركيب أجزاء الناعورة التي كانت على الأرض وجري



الناعورة وهي تكاد تكتمل في مكانها



مياه ناعورة المؤدية، وهي تساقط في الحوض الأعلى من البرج



ناعورة «الدهشة»

للأعتاب، مسامير وصل للدوائر،
مسامير قرخ للوشاحات، مسامير
توشيح للأعتاب والوشاحات معاً
لربطها بعضها ببعض، مسامير
كوري للطبق، مسامير ريشي
للريش والجامقات لربطهما
بعضهما ببعض، مسامير فطّي
للمعدات.

- المسامير الإفرنجية: وتستعمل
للجامقات والأبواب في حالة
انفراجها، وللمعدات ليس غير.
وهكذا..

يتم إنشاء الناعورة التي يبلغ
وزن الكبيرة منها فارغة ما يقارب
الواحد والثلاثين طناً قبل أن تحمل
الماء وقبل أن تغرق أجزاءها
بفيضه، وقبل أن يثبت على
أقسامها جميعها ذاك الحشيش
الأسود الذي يميزها بلونها
المعروف، وحينذاك يربو وزنها



أبراج النواير الحجرية جاهزة لاستقبال النواير

عشرة ناعورة وهي على التوالي:
النواعير الأربع (البشرية - الكبرى - البشرية الصغرى - العثمانيتان) - الجسرية - المأمورية - المؤيدية (وتدعى أيضًا الخانقاه والأرامل) - العثمانية - الجسرية - الوسطانية - الصاهونية - الباز - الكيلانية - الخضر - الدوالك - الدهشة - المحمدية - القامد.
ولعل من الجدير ذكره أن هناك ناعورتين أخريين من نواعير مدينة حماة مازالتان مندثرتين، والاثنتان في موقع باب النهر وما بعده، الأولى تقع قرب طاحون العونية (غربي ثانوية أبي الفداء) وبقايا برجها الحجري ومجرى مائها ما تزال واضحة للعيان، والثانية في

والبساتين والأزوار والبيوت، وفي ذلك يقول الشاعر عبدالغني النابلسي:
عَصَى، فَلَمْ يَسْقِ أَرْضًا مِنْ حَدَائِقِهِمْ
إِلَّا بِحِيلَةٍ وَسَوَاسِ النَّوَاعِيرِ
ومن هذا المنطلق فإن عدد النواعير قبل مدينة حماة وبعدها يصل إلى ثمان وتسعين ناعورة، لم يبق منها دائرًا حتى يومنا هذا سوى سبع نواعير ليس غير، وفي مدينة حماة نفسها ست عشرة ناعورة ما تزال تدور بفضل مجلس مدينة حماة والقائمين على قسم النواعير في هذا المجلس، ولقد تمكن العاملون في قسم النواعير من إرجاع ناعورة قرب جسر بيت الشيخ (شرقي مطعم السلطان) لا يعرفها جيلنا والجيلان السابقان لنا فصار عدد نواعير المدينة سبع

هناك مصدر للماء يأتي من آلة يتفوق على هذا العطاء من دون نفط أو زيت أو كهرباء أو جهد بشري...!؟

اختصاص بالنواعير

ولعل من الملاحظ أن حماة وما قبلها وما بعدها قد اقتصت بالنواعير من دون غيرها، والسبب في ذلك أن نهر العاصي بعد خروجه من مدينة الرستن باتجاه مدينة حماة يجري في خنادق صخري عميق حتى مدينة شيزر (شمالي شرقي حماة بـ 26 كم)، وهذا جعل ضفاف العاصي عالية سامقة في غالبية مجراه، وكان لابد من حيلة لذلك، فكانت النواعير التي احتالت على نهر العاصي وجعلته طائعا في تقديم مياهه إلى السهول والسهوب

على خمسين طناً، ولاسيما إذا علمنا أن عدد صناديق الماء في ناعورة المأمورية هو 120 صندوقاً، وكانت سعة الصندوق قبل عام 1949م (حينما كانت حماة بمن فيها وما فيها تستقي من مياه العاصي بوساطة النواعير) ما يقارب الـ 20 لتراً دفعة واحدة.. فإذا علمنا أن الناعورة تدور في الحالة الطبيعية دورة كاملة كل 20 ثانية، فمعنى هذا أنها تعطي في خلال هذه الثواني العشرين ما يربو على ألفي لتر من الماء، وفي خلال دقيقة واحدة ما يزيد على ستة آلاف لتر من الماء، ويوجد دائماً فوق حوض الناعورة الأعلى (النقيير) ثمانية عشر صندوقاً تقذف قرابة 300 لتر من الماء في كل لحظة.. ولنا أن نتساءل هل



منظر عام لناعورة «الجسرية» وناعورة «المأمورية» وانسياب مياه نهر العاصي

سفع البرناوي (البرماوي) ولقد أضحى برجها تحت الطريق الترابي المار في المنطقة باتجاه بلدتي كازو والظاهرية - أي إلى يسار نهر العاصي وذلك بسبب تحول النهر إلى الضفة اليمنى وانحساره عن اليسرى على مدى الأيام -، وتدعى الناعورة الأولى ناعورة العونية، والناعورة الثانية ناعورة البركة، ونحن على يقين بأن قسم النواعير في مجلس مدينة حماة سيعيدهما إلى الحياة مثلما أعاد غيرهما، وما

الجسرية، وتلك ناعورة الباز الكيلانية، وهذه ناعورة الجعبرية، وتلك ناعورة الدوالك...

ونحيب بأن النواعير تسمى باسم المنطقة التي تسقيها، أو لوجود معلّم أثري أو شخصية تراثية إلى جوارها، فالبشرية دُعيت هكذا بسبب وجود ضريح إلى شماليها يدعى ضريح الشيخ بشر، والمأمورية كان اسمها الناعورة الكبيرة، ولكن العثمانيين خصصوا لها موظفًا خاصًا (مأمورًا)

الكيلاني، والجعبرية لسقايتها حي الجعابرة في حماة بشكل خاص، والدوالك لسقايتها بستان الدوالك الشهير ببنية الرائع... وهكذا.

وبعد...

إن النواعير أوابد قديمة وجديدة في آن واحد، وبما أنها تعمل ليلاً ونهاراً بلا كلل ولا ملل؛ فإنها تحتاج باستمرار إلى الترميم الجزئي لأخشابها التالفة كلّ عام، وأحياناً إلى الترميم شبه الكلي كلّ ثلاثة أعوام، ولذا فهي



مجرى مياه نهر العاصي الخجوز في البرج الحجري



مياه نهر العاصي تنساب في جداولها

ذلك على الله، ثم على الغيرة والمرورة والشهامة، بعزيز.

سؤال أخير ومهم...

ويعترضنا سؤال أخير ومهم عن مبعث تسميات النواعير، فهذه ناعورة البشرية، وتلك ناعورة المأمورية، وهذه ناعورة

للإشراف على ترميمها وأوقافها والمستفيدين منها وطرق تحصيل الأموال الناجمة عن السقاية والترميم معاً فسميت المأمورية، والجسرية لوقوعها إلى جوار جسر المراكب، والباز الكيلانية لوقوعها بجانب زاوية الباز عبد القادر

تدور وتدور وتغني وتسقي وتبعث الحياة في من حولها وما حولها، وتزين اللوحات الطبيعية بمشهد فني فريد وطريف ونادر في العالم كله، حتى باتت النواعير علماً على مدينة حماة، ويكفي ظهورها في صورة أو لوحة أو مشهد حتى

يقول المشاهدون: نواعير حماة، ولا عجب أن دعيت المدينة تبعاً لذلك بمدينة النواعير.

حقيقة أن هناك نواعير فيها جرار فخارية عوضاً عن الصناديق الخشبية، ونواعير أكثر أجزائها من الحديد، وهي ماتزال تدور في إسبانيا والبرتغال واليونان والصين والمغرب ومصر... ولكنها - على حد قول جان هيرو في كتابه: سورية اليوم - لا يمكن أن تضاهي أبداً نواعير حماة، فأصغر ناعورة في مدينة النواعير قطرها ثمانية أمتار، في حين يتعدى قطر أكبرها واحداً وعشرين متراً، وليس حجمها الكبير هو السبب الذي يدعو إلى الدهشة والاستغراب ولا صلابتها، ولا الشكل المعقد لهيكلها.. لأن الجمال الريفي البسيط لهذه الآلات هو الساحر، ناهيك أن السحر الحقيقي في نواعير حماة يتجسد في ذلك الطابع اللازم لقوتها العمياء، فهي تبدو وكأنها تخلط مياه نهر العاصي، في حين أن العاصي هو الذي يحركها نهاراً بعد نهار، وليلة بعد ليلة من دون تردد ولا توقف، ثم إن صوتها - وهو مزيج من أنين وغناء شلالات - كالنهر الدائم التجدد يبدو كأنه أت من أعماق الأزمنة السحيقة.. السحيقة، وهو أبداً يتعالى منادياً: انزل حماة التي ما مثلها بلد

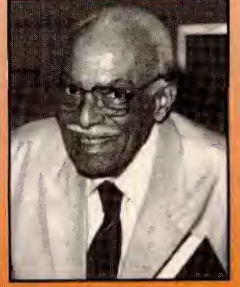
بكل دان من الأهليين أو قاص ترق قلباً لأحوال الغريب بها حتى نواعيرها تبكي على العاصي

الهوامش:

1. فتحة مياه الناعورة تدعى البيب، وفتحة مياه الطاحون تدعى الخفل.

موسى

في التلمود



د. حسن ظاظا

من المعيشة بين العرب كانت لغته العربية؟ وهل يقودنا هذا إلى احتمال أن تكون التوراة قد أنزلت عليه بالعربية؟ إننا لا نملك حرفاً واحداً من توراة موسى. وأول من بذل الجهد في جمعها من أفواه الرواة اليهود هو عزرا، الذي يفصل بينه وبين موسى ألف عام، من الحروب والتشريد والشتات والجلاء. واليهود يحتفلون بعزرا هذا، ويصفونه بأنه نبي (العُزير)، وبأنه (الكاتب) لأنه كان أول من كتب التوراة! وحتى توراة عزرا هذه لم يُعثر عليها، بل جاء بها الخبر في كلام «عزرا» وزميله «نحميا» بعد أن أذن لهما كسرى أرتاكسيرسيس إمبراطور إيران والعراق بعد أن فتحه سلفه الإمبراطور قورش.

وكان عزرا يحمل رسالة من إمبراطور إيران، نصها المذكور في سفر عزرا الموجود بين أيدينا يبدو أنه مزيف أيضاً! يقول: وهذه نسخة الرسالة التي أعطاهها الملك أرتا حششتا لعزرا الكاهن الكاتب، كاتب كلمات شرائع الرب ورسومه لإسرائيل. من أرتا حششتا ملك الملوك، إلى عزرا الكاهن، كاتب شريعة إله السماء الكامل، سلام! إنني أصدرت أمراً، أن كل من شاء في مملكتي من شعب إسرائيل وكنهته واللاويين أن يرجع إلى أورشليم معك فليرجع، لأنك قد أرسلت من قبل الملك ومشيريه السبعة لتبحث عن يهوذا وأورشليم، على حسب شريعة إلهك التي بيدك. وتأخذ الفضة والذهب اللذين تبرع بهما الملك ومشيروه لإله إسرائيل الذي سكنه في أورشليم، وكل ما تجده في بلاد بابل كلها من الفضة والذهب، مع تبرعات

سقطنا كلناهما: في قبضة الآشوريين - لمملكة إسرائيل الشمالية -، وفي قبضة البابليين الكلدان - لمملكة اليهود الجنوبية مع ما بقي من مملكة إسرائيل أيضاً. وإذا كنا نحن المسلمين نؤمن أن داود وسليمان - عليهما السلام - من الأنبياء، فإن اليهود يقولون إنهما من عظماء ملوكهم فقط، ويذكرون أنبياء معاصرين لهما، وفيهم معارضون لهما في السياسة والاقتصاد والسلوك الشخصي.

سيرة تحوطها الألغاز

ومهما يكن من شيء فإن موسى كان قد تحول إلى سيرة تاريخية قديمة يندر ذكرها أو الرجوع إلى تعاليمها حتى في حياة داود وسليمان، وأصبح موسى بمرور الزمن لغزاً وظلماً وأسطورة محيرة لجميع الباحثين حتى الآن. بأية لغة كان ينزل عليه الوحي؟ كيف تربى في القصر الفرعوني بمصر؟ هل هو حقيقة ابن عمران أنجب من أمه التي كانت بنت عمه؟ وكيف اختار عند هروبه من مصر وهو مرهق على إثر مشاجرة قتل فيها مصرياً، أن يستجير بالعرب في أرض مدين، وأن يتزوج ابنة شعيب؟ ثم يبقى راعياً في أرض مدين مع زوجته وابنتيهما جيسر وشوم وإليعازر حتى بلغ الثمانين من عمره عندما بعث إلى فرعون؟ وهل كان يعرف اللغة العبرية، وقد تربى في قصر فرعون الذي يقتل بني إسرائيل؟ وإذا كان يعرفها فلماذا دعا ربه أن يرسل معه مترجماً فوراً هو هارون؟ وإذا كان لا يعرفها، ولا يتكلمها بطلاقة وبلاغة، فهل كان يتكلم المصرية الفرعونية؟ أم إنه بعد أكثر من ستين سنة

كان الكتاب الذي أنزل على موسى عليه السلام أول شريعة قامت عليها أول ديانة تدعو إلى توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له. وآمن برسالته في حياته من نسبيهم «بني إسرائيل»؛ لأن موسى ينتمي إلى جده الأعلى يعقوب - المسمى إسرائيل - وهو ابن إسحق بن إبراهيم من زوجته سارة عليهم السلام جميعاً. وهكذا صار أتباع الشريعة «الموسوية» أقدم طائفة من «أهل الكتاب»، وامتازوا بأن مجتمعهم كان - بعد موسى - لا يخلو من (نبي) يكون رقيباً عليهم طوال الوقت، ولكن... ولكن هذا أمر يطول شرحه، ويحتاج إلى دراسات طويلة، ومضنية، ومعقدة، أكثرها لم يتم حتى الآن، لا في الشرق ولا في الغرب! وبعد موسى بخمسمئة سنة نجح داود - بعد حروب وخطوب - في إقامة مملكة موحدة في فلسطين، خلفه عليها ابنه سليمان، ثم تفسخت هذه المملكة، وانقسمت مملكتين أولاهما عاصمتها القدس، يتوارثها ملوك من ذرية سليمان وداود المنحدرين من سبط يهوذا بن يعقوب، وهكذا سمى هؤلاء الناس أنفسهم «اليهود». والمملكة الثانية قامت إلى الشمال من مملكة يهوذا، واستقرت في السامرة بعد أن استقل بها أحد قواد سليمان «يربعام بن نباط» الذي ثار عليه، ولما هزمه سليمان لجأ إلى فرعون مصر، ثم أسرع إلى فلسطين، وسليمان في النزاع الأخير، فأعلن فصل السامرة عن مملكة يهوذا، وسمّاها «مملكة إسرائيل». وعاشت المملكتان تحارب كل منهما الأخرى وتنادى بتكفيرها بديانة موسى إلى أن

الشعب، والكهنة المتطوعين لبيت إلههم الذي في أورشليم لتشتري عاجلاً بهذا المال ثيرانا وكباشاً وحملاتاً مع ما يلزم معها للتقدمات من قربان الطعام والشراب، وتقريبها على مذبح بيت إلهكم في أورشليم. وكل ما حسن عندك وعند إخوانك أن تعملوه بما يبقى من الفضة والذهب فاعملوه حسب مشيئة إلهكم، والآية التي سلّمت إليكم لخدمة بيت إلهك أدها بين يدي إله أورشليم. وسائر ما يحتاج إليه في بيت إلهك مما يتفق لك أن تعطيه فأعطه من بيت خزائن الملك. وأنا أرتأ حششتنا الملك قد أصدرت أمراً لجميع أمناء الخزائن الذين في عبر النهر أنه: مهما يطلبه منكم عزرا الكاهن، كاتب شريعة إله السماوات فليقبض عاجلاً، إلى مئة قنطار فضة، ومئة كُر قمح، ومئة خابية خمر، ومئة خابية زيت، والملاح بلا حدود. وكلّ ما يأمر به إله السماوات فليقبض باهتمام لبيت إله السماوات، لكي لا يكون غضبه على مملكة الملك وبنيه.

ونعلمكم أن جميع الكهنة واللاويين والمغنين والبوايين والمتطوعين وخدام بيت الله هذا، غير مسموح بأن يفرض عليهم خراج ولا جزية ولا ضريبة. وأنت يا عزرا، بحسب حكمة إلهك التي معك، عين قضاة وحكاما يقضون بين جميع الشعب في عبر النهر، من كل من يعرف شرائع إلهك، ومن لا يعلم فعلموه. وكل من لا يعمل بشريعة إلهك وشريعة الملك فليقبض عليه عاجلاً، إمّا بالموت وإمّا بالنفي أو بالغرامة المالية أو بالحبس (العهد القديم - سفر عزرا 7: 11-26).

صحيح أن يهود السبي قد ساعدوا الفرس على الإحاطة بملك الكلدانيين في بابل والآشوريين في نينوى، وخدموهم في الجاسوسية والتخريب وزعزعة الأمن الداخلي حتى سقطت الدولتان، واحتل الفرس العراق بعد ذلك مدة ألف سنة استعاد بعدها كيانه في ظل الإسلام. ولكن أن يسمح إمبراطور إيران، الذي لا يدين باليهودية بل بالجوسية بكل هذه الامتيازات الدينية والسياسية والتشريعية والقضائية والعمرانية ليهودي لم يكن من قبل شيئاً مذكوراً، وأن تختفي من رسالة الملك في هذه النسخة ما جرت به العادة من وضع كل ألقاب العظمة والجلالة والسطوة والجبروت في ديباجتها مكتفية بلقب ملك الملوك «شاهنشاه» من دون أية إشارة إلى أنه «المهيمن» على مقدرات البشر، وأنه عين الفلك الدوار، والمؤيد بقوة «أهورا مزدا وأهريمن» إلهي النور والظلمة عند المجوس في

تعاليم «ميشرا» و«زرادشت» و«ماني» و«مزدك»... كل هذا وكثير غيره في هذه الرسالة عجيب وغريب، ولكنه مطابق لأسلوب المؤرخين في غابر الزمان. فالرومان كتبوا الخطب الطنانة على لسان «حاني بعل» وهو يعبر جبال الألب نحو إيطاليا. وهو فاع غار قرطاجني لا يتكلم اللاتينية، لا هو ولا جنوده! والسريان الذين كتبوا سيرة الإسكندر اليوناني عندما دخل سراً بلاد الفرس وحضر مجلس كسرى متكرراً وخاطبه طويلاً. لم يجد الرواية أية غضاضة في أن تختفي اللغة اليونانية من لسان الإسكندر والفارسية لدى كسرى، وأن يتبدلا التحيات والمناقشات باللغة السريانية... وأمثلة ذلك لا تحصى. ومن هنا بدا لنا أن الرسالة «منحولة» لبيان أهمية عزرا، وأنه من المقربين إلى إمبراطور إيران، وأن الإمبراطور موافق على إعادة بناء الهيكل في أورشليم، والإنفاق عن سعة على ذلك المشروع! فكيف نطمعن إلى صحة ما كتبه

الأدب التلمودي يسير في طريقين متلازمين : الجدل في أقصى صورة من التنطع ، ثم ما يتصل بالموضوع من الخرافات والأساطير

في التوراة لفظاً ومعنى وتحقيقاً وتدقيقاً، وقد أنزلها الله قبله بألف سنة في بلد غير بلده وزمان غير زمانه وقوم غير قومه؟ وبعد كل هذا فقد ضاعت هذه التوراة التي كتبها عزرا ولم يبق منها إلا هذا الخبر، ونفت أخرى نادرة ومشابهة. وإذا كان ذلك كذلك، فماذا تنتظر من أخبار موسى في التلمود، وقد تأخر عن عزرا بنحو ألف سنة أخرى، وتوالت عليه أجيال وأجيال من شيوخ اليهود؟ يتبارون في اعتصار ما يمكن من الشرائع والقوانين والعقوبات والطقوس والعبادات من ألفاظ التوراة، مطلقين لخيالهم العنان في قصص مخترعة أو متوهمة أو مهاجرة من أديان أخرى وأساطير وثنية مختلفة.

مصدر تشريعي مملوء بالخرافات!

وقد رأيت أن أبنه هنا، بسرعة وإيجاز، على «نقول التلمود وعنناته»، حتى يتيسر للقارئ تصور ما جاء عن موسى من الأخبار في كتاب

يتمسك به اليهود بعد (التوراة) على أنه السنة الواجب اتباعها، ولم يشذ عن ذلك إلا اليهود القراؤون الذين تزعمهم «عنان بن داود» وأخذ تعاليمه من تعاليم المعتزلة المسلمين في القرن الثالث الهجري، فرفض التلمود، وجعل المرجع الوحيد للدين هو نص الكتاب المقروء الذي أتى به موسى (التوراة) ومن تلاه من الأنبياء (أسفار الأنبياء)، وما نقله رواة بني إسرائيل من (كتب الحكمة) مما تصح قراءته في الصلاة والرجوع إليه في التقاضي، وأعلن اليهود الريانيون - أي الذين يؤمنون بالتلمود - تكفير القرائين، وحرّموا الصلاة في معابدهم أو الأكل من ذبيحتهم أو مصاهرتهم بالزواج أو دفن موتاهم معهم.

والتلمود هو تفسير موسوعي لكتاب «المشنا» وهو مجموعة من الأحكام الشرعية المروية عند الأسلاف، تهافت عليها اليهود بعد تدمير وجودهم في فلسطين، وانتشارهم في بقاع مختلفة من العالم. وأكب فقهاء اليهود على جمعها مكتوبة في القرن الأول قبل الميلاد. وما إن ظهرت المسيحية واعتمدت التوراة وكتب الأنبياء مصدراً من مصادر التشريع المسيحي، حتى تمسك فقهاء اليهود بالمشنا لأنها الكتاب الذي لا تشاركهم فيه النصرانية. واستمرت حركة جمع وتحقيق رواياتها إلى أواخر القرن الثاني بعد المسيح، عندما جمعها بشكلها وترتيبها نهائياً الربّي «يهودا هناسي» على شكل مدونة في الفقه من عبادات ومواقيت، ومعاملات وحدود وجنايات، في ستة أبواب منفصلة. كما وجد بعض الروايات الضعيفة، أو التي لم تكن منسوبة إلى المشنا، فسجلها في كتاب مستقل وسمّاه «المشنا» - أي الخارجة عن المشنا - وسمّاها بالعبرية المتأثرة بالأرامية في عصره (تبرانيش). واجتذب هذان الكتابان المثقفين اليهود من ذلك التاريخ إلى الآن؛ نظراً لأنهما من خصوصيات الدين اليهودي، بعيداً من مشاركة النصارى أو غيرهم فيهما.

وولدت في العالم اليهودي «أكاديميات» تشتغل بتفسير المشنا، أشهرها في طبرية وصفد وأورشليم بفلسطين، وسورا - قرب بغداد - وعانة التي كانت تسمى قومبيديتا في شمال العراق. ونهر دعة في منطقة الموصل، وكذلك حول أصفهان في إيران. ومن هنا تم تأليف تلمودين،

المشرفة، وقوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

كتاب يفتري على نبي!

وكانت بذور هذه المشاعر قد بدأت تبرز في التوراة المنسوبة إلى موسى نفسه، وإلى ربه سبحانه وتعالى. وسنرى في سياق هذه الحادثة الكبيرة أن قوم موسى بعد أن خرجوا معه، قد تحولوا إلى عصابات من اللصوص وقطاع الطرق، مما يفسر لنا لماذا استغرقت رحلتهم أربعين عاماً. تقول التوراة: «وكلم الرب موسى قائلاً: خذ بشراً بني إسرائيل من المدنيين، وبعد ذلك تلحق بقومك». ونسأل متعجبين: ماذا فعل المدنيين؟ وهم أرحام موسى، وزوجته بنت نبيهم شعيب، الذي أجاره عندما لجأ إليه هارباً من قتل رجل مصري، وهو دون العشرين؟ وزوجه ابنته، وأقام عنده بين أولئك المدنيين، يعمل راعياً لآل شعيب، إلى أن بُعث إلى فرعون في الثمانين من عمره، كما تقول التوراة. أي إنه عاش بين ظهرائهم أكثر من ستين عاماً. أهذا درس في نكران الجميل وعدم العفو عن الخطأ إن كان صادراً من غير بني إسرائيل؟ من الصعب أن نتكلم... «فكلم موسى الشعب قائلاً: جردوا منكم رجالاً للجنديّة يغزون مدين ويتزلون غضب الله على مدين! من كل سبط من أسباط بني إسرائيل، توجهون ألفاً للحرب. فسيبرهم موسى، من كل سبط ألفاً للحرب. ومعهم فنحاس بن إليعازر الكاهن للحرب، وفي يده أدوات التقديس وأبواق الاستنفار. فقاتلوا مدين كما أمر الرب موسى. وقتلوا كل رجل، حتى ملوك مدين قتلهم مع القتلى وهم آوي، وراقم، وصور وجور ورابع، ملوك مدين الخمسة، وبلغام بن باعور قتلوه بالسيف. وسبي بنو إسرائيل نساء مدين، وأطفالهم، وجميع بهائمهم ومواشيهم وأثاثهم غنموا. وجميع مدنهم مع مساكنهم وقصورهم أحرقوها بالنار، وأخذوا جميع الأسلاب والغنائم، من الناس والبهائم، وعادوا إلى موسى وإليعازر الكاهن وجماعة بني إسرائيل بالسبي والغنائم والأسلاب إلى المحلة في صحراء مؤاب التي على أردن أريحا. فخرج موسى وإليعازر الكاهن وكل رؤساء الجماعة للقاءهم إلى خارج المحلة. فاحتد موسى على قادة الجيش من رؤساء الألوف ورؤساء المئات، القادمين من جيش القتال. وقال لهم موسى: هل استبقيتم كل الإناث؟ إن هؤلاء من اللاتي دفعن - بالتأمر مع بلعام - إلى أن يتمرّد بنو إسرائيل على الرب في شأن بعوراء مما أنزل الغضب على جماعة الرب. فالآن اقتلوا كل الأطفال الذكور، وكل امرأة

عرفت معاشرته الرجال فاقتلوا، وأما إناث الأطفال لم يعرفن مخالطة الرجال، فاستبقوهن لكم. وانزلوا أنتم خارج المحلة سبعة أيام. كل من قتل نفساً، وكل من لمس قتيلاً يتطهرون في اليوم الثالث وفي اليوم السابع، أنتم وسيبكم. وكل ثوب أو متاع من جلد، وكل ما صنع من شعر المعز وكل متاع من خشب تطهرونه.

وقال إليعازر الكاهن لرجال الجيش الذين ذهبوا للحرب: هذا رسم الشريعة التي أمر الله بها موسى: الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص، كل شيء يمكن أن يدخل النار فأحرقوه في النار ويُنضح بالماء فيطهر، وكل ما لا يدخل النار فطهره بالماء. وتغسلون ثيابكم في اليوم السابع فطهرون، وبعد ذلك تدخلون المحلة. وكلم الرب موسى قائلاً: أحص عدد السبي والغنيمة من الناس والبهائم، أنت وإليعازر الكاهن ورؤساء شيوخ الجماعة، واقسم ذلك بين المحاربين الخارجين للغزو وبين سائر الجماعة، وافصل نصيب الرب من أهل الحرب الذين خرجوا للقتال؛ رأساً واحداً من كل خمسمئة رأس من الناس والبقر والحمر والغنم. خذوا ذلك من شطرتهم وادفعوه إلى إليعازر الكاهن تقدمة للرب. وخذ من قسم بني إسرائيل واحداً من خمسين من الناس والبقر والحمر والغنم وسائر البهائم، وادفع ذلك إلى اللاويين الموكلين بحراسة مسكن الرب، فضع موسى وإليعازر الكاهن كما أمر الرب موسى. فكانت الغنائم: 1 - جملة الأسلاب التي غنمها رجال الحرب، من الغنم ستمئة وخمسة وسبعين ألفاً. 2 - ومن البقر اثنين وسبعين ألفاً. 3 - ومن الحمير واحداً وستين ألفاً 4 - ومن النساء اللاتي لم يعرفن معاشرته الرجال اثنين وثلاثين ألفاً... وأعفى القارئ من الاستمرار في إحصاء التوراة الواضح فيه المبالغة، فلو كان هناك تضامن من جميع شعوب الشرق الأوسط لا المدنيين وحدهم لما بلغ السبي الذي تركوه لبني إسرائيل عشر معشار ذلك، ولسيطر بنو إسرائيل على الشرق الأوسط كله من يومها إلى الآن وإلى آخر الزمان. وبقيّة قائمة الغنائم وتقسيمها في التوراة - سفر العدد (31). والتلمود يشدد على تطبيق هذه القواعد (والأخلاقيات) في حالة الحرب في أي زمان ومكان. وأشاعوا في جماعتهم - وما زالوا حتى الآن - أن الله يُنزل على

الغربي أو الأورشليمي، في أكاديميات فلسطين، ولم يتم لأن الإمبراطور الروماني البيزنطي «قسطنطين» ترك الوثنية واعتنق المسيحية عام 325م، ونظم أول مجمع عالمي لشيوخ النصرانية في مدينة نيقية حضره عدد كبير من البطارقة والمطارنة والرهبان. وذكر بعض أهل الثقة منهم أن اليهود لهم مجمع ديني في فلسطين، مما لا يتفق مع عقيدة الإمبراطور، إذ لا يجوز للأمة التي «صلبت المسيح» في أورشليم أن تبقى في أرضه، وأن تمارس خرافاتها هناك. فأصدر الإمبراطور مرسوماً بإغلاق هذه المدارس والأكاديميات في فلسطين قبل أن تتم شرحها لكل نصوص المشنا. أما الشطر الشرقي فإنه استمر حتى أكمل شرح المشنا إلى نهايتها نحو عام 500 ميلادية، ثم استمرت مدارس الشراح والمعلقين بعد هذا التاريخ، بل بعد الفتح الإسلامي للعراق وإيران. وإذا كانت لفظة التوراة تعني العلم الذي (يري) الانسان الخطأ من الصواب فإن كلمة التلمود تعني التعليم الذي يتلقاه (التلميذ) من شيخه. والتلميذ والتلمود من أصل واحد.

والأدب التلمودي يسير في طريقين متوازيين متلازمين: الجدل الفقهي في أقصى صورته من التطع والثروة، ثم تلمس ما يتصل بالموضوع من القصص والحكايات والأساطير والخرافات.

وهذا الاتجاه الثاني هو الذي اجتاحت النصرانية والإسلام في ما يسمى بالإسرائيليات التي كان علماء المسلمين وأئمتهم - وما زالوا - يذنون أقصى الجهد في (تنظيف) الإسلام من هذا التلوّث.

وللمشنا والتلمود أجيال من الرواة وسلاسل من الشيوخ والمريدين والأنبا يتعاقبون منذ القرن الثاني الميلادي، ويدعى بعضهم أنه يروي بسند متصل عن هارون وموسى، أي على مدى ألفين من السنين؛ وفي التلمود البابلي وحده جرى ذكر موسى في أساطير تبلغ المئة، بعضها مكرر في التلمود الأورشليمي (الغربي) وبعضها مبتدع محدث. وقد اختصرنا من ذلك ما يمت بصلة إلى الدرس المستفاد من سيرة موسى في هذا الركام التلمودي الكثيف في تأصيل عدواة اليهود الدائمة لغيرهم من الأمم، وما وجدوه من ترخيص في العدوان والقتل والسلب والنهب والتجسس عندما يتعاملون مع غيرهم من الأمم (الجويم) التي تعني في أذهانهم (الكفار) حتى الصابغة والمسيحيين والمسلمين، والعداوة للعنصر العربي من المسلمين خاصة أشد هولاً، لأنهم مهد الكعبة

المقاتل الشجاع من بني إسرائيل واحداً من ملائكة السماء له شكل وهيئة واسم هو السكينة، التي تتكفل بهزيمة كل من يعادي بني إسرائيل! ويسأل الإنسان ببراءة: وفرعون؟ وبختنصر وفسبازيان الروماني وابنه تيتوس؟ ولماذا لم تنزل السكينة على حصن (المسادة) وعلى المدافعين عنها ضد الرومان في أبريل عام 73 م، وهي الموقعة التي أنهت الوجود اليهودي في فلسطين قرابة ألفين من السنين؛ أي إلى الدولة اليهودية الصهيونية المعاصرة لنا الآن؟

وقد أسهب التلمود في الحديث عن ولادة موسى، وعن الوعاء الذي أودع فيه ليلى في اليم، وعشور ابنة فرعون عليه، وإضرابه عن الرضاعة من أية مرضع غير أمه، والأحكام الفقهية التي استخلصها علماءهم، حتى ذهب بعضهم إلى تحريم إرضاع الطفل اليهودي من امرأة من الجويم، حتى لو علم أهله أنه في خطر الموت، ولم يحرموا إرضاعه من عترة أو شاة أو بقرة! وأطلقوا العنان لخيالهم في وصف الزنبيل الذي كان مهذا موسى في اليم، هل كان من الخوص أو القصب أو الخشب؟ وهل كان طلاؤه من الخارج بالغراء ومن الداخل بالزفت والقار، أو العكس؟ ومتى وضع في النهر؟ هل ساعة ولادته؟ أو بعد ثلاثة أيام؟ أو بعد أسبوع حتى تجري له عملية الختان؟ أو بعد ثلاثة أشهر من ولادته؟ وكيف كانت حالة الطقس، وقوة الماء، وكيف عثرت عليه الخادمة، وهي أخته مريم، وأحضرت أمه لترضعه. وأنا أعفي القارئ من ثثرة طويلة من رواية التلمود في هذه الموضوعات، وإلى غرام هذا المجتمع المتهوس بتأليف قصص المعجزات حيث لم تقع، والغفلة عن معجزات الخالق سبحانه وتعالى التي لا تُعد ولا تُحصى كل لحظة، وفي كل مخلوق، حتى شعاع الضوء، وحتى الذرة، والحرارة، والكهرباء.

وقد سبقني إلى ذلك المجمع النصراني العالمي الأول عام 325م الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين لإقرار مجموع النصوص الدينية الملزمة للمسيحي، فاستبعد عدداً كبيراً من الأناجيل المروية عن حوارين كبار، منها «إنجيل الطفولة» و«إنجيل برنابا» و«إنجيل الحواري يعقوب».. وغيرها. وإذا كان استبعاد الإنجيليين الأخيرين لأسباب تتعلق بالأفكار أو اللاهوت أو الرواية، فإن إنجيل الطفولة استبعد لما جاء فيه من معجزات متعاقبة متواكبة متراكبة تدور كلها حول طفولة المسيح، ولا تهتم ببعثته ورسالته.

ومما لا شك فيه أن معظم رواة التورات المسيحي المبكر كانوا من اليهود، حيث تعودوا أن يكون الأدب الديني كله قصص معجزات وعجائب وخوارق. والتلمود فيما يرويه عن موسى لا يخرج عن تلك التقاليد.

خيال تفضحه المتأفكات!

فمن أهم الأيام المقدسة عند اليهود (السبت) ثم (الفصح). وفي هذا الصدد يحكي التلمود البابلي هذه المعلومات: عشرة أشياء خلقها الله ليلة السبت التي تسبق مباشرة عيد الفصح: 1 - البشر الذي سائر بني إسرائيل مع موسى يمدّهم بالماء العذب مدة أربعين عاماً، يشي بجانبهم استجابة لدعاء مريم (أخت موسى وهارون) مع أن التلمود والتوراة أيضاً، فيهما ذكر لتمرّد متكرر في الطريق بسبب ندرة الماء أو مرارته وعدم صلاحيته للشرب! 2 - المن، وهو نوع من العسل النباتي الذي كان بنو إسرائيل يجدونه على شكل صمغ في الأشجار، وعلى اليهودي المؤمن ألا يسأل: أين كان هذا الشجر في الصحراء، وكيف كان يكفي أكثر من ستمئة ألف رجل وعائلاتهم.. يومياً! 3 - قوس قزح (علامة الوعد الإلهي باصطفاء بني إسرائيل). 4 - الكتابة (التي استخدمها الرب للشرية). 5 - القلم. 6 - ألواح الشريعة (التوراة). 7 - قبر موسى، الذي لا يعرفه أحد، ويفترض باحثون غربيون من اليهود والنصارى أن بني إسرائيل قد فتكوا به بعد سلسلة من حركات التمرد، وصلوا فيها إلى الرّدة، وإلى القتال. 8 - المغارة التي شهدت اجتماع موسى بالنيّ إلياس - عليهما السلام - وكان إلياس إذ ذاك حياً، أما موسى فكان قد توفي قبله بأكثر من سبعمئة عام! 9 - فكّ الأنان التي ركبها بلعام بن باعوراء الكاهن الساحر ليلعن بني إسرائيل فأعلنت - بالكلام - رفضها لتوصيله إلى المكان المخصص للنعث. وكانوا في رحلة خروجهم من مصر مع موسى. 10 - الحرف الذي انهار فابتلع قُورح (ابن عم موسى) عندما عصي موسى وهارون هو ومن انضم إليه في ثورته هذه وهم مثنان وخمسون من قادة بني إسرائيل؛ «فانشقت الأرض التي تحتهم، وفتحت الأرض فاهها، فابتلعهم هم وبيوتهم، وكل إنسان لقورح، وجميع المال، فهبطوا هم وجميع ما لهم أحياء إلى الجحيم، وانطبقت عليهم الأرض، وبادوا من بين الجماعة» والنص من التوراة (سفر العدد 16: 31 - 34، وسياق التلمود في باب الفصح). وأضاف التلمود عن الربّي نحما عن أبيه: 11 -

كيش الفداء للديح من أبناء إبراهيم. 12 - حجر الماس. وأضاف الربّي يهودا أيضاً: 13 - كماشة النجار لأن تثبتت جزأها أحدهما في الآخر يحتاج إلى كماشة، فمن صنع الكماشة الأولى؟ أليست من صنع الله؟ وقال بعض التلموديين إن صنعها ابتداءً ممكن للإنسان. وقال الربّي نحما إن: 14 - النار خلقت ليلة السبت قبل الفصح، ويقصد النار العادية، أما نار جهنم فقد خلقت قبل ذلك بليلة واحدة! وقال بعض شيوخهم بخطأ هذا الرأي، فقد عرفنا أن سبعة أشياء خلقها الله قبل أن يخلق العالم: 1 - التوراة. 2 - التوبة. 3 - الجنة. 4 - جهنم. 5 - العرش. 6 - هيكل أورشليم! 7 - المسيح المخلص المنتظر!! (كل هذا ورد في باب الفصح من التلمود البابلي).

ولحسن حظ اليهود وأم العالم أن رأيا من هذه الآراء لم يأت بالإجماع، فمثلاً في نزول السكينة من السماء يقول الربّي يوسي في البرايتا (تكملة المشنا) إن أحداً منذ خلق الله السماء وجعلها حاجزاً بين الملأ الأعلى وأهل الأرض لم يصعد إلى السماء ولم ينزل منها: لا السكينة نزلت من السماء ولا صعد أحد إليها، لا موسى ولا إلياس! وأول كل ما يشعر بذلك في نصوصهم المأثورة!

وموسى - كلم الله - كان يوصف في توراته بأنه «رجل الله»، ويفهمها اليهود بمعنى «رسول الله» ومن النصوص النادرة التي وُصف فيها بأنه نبيّ قوله في نهاية التوراة: ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى، الذي عرفه الربّ وجهاً لوجه، في جميع الآيات والمعجزات التي بعثه الرب ليصنعها في أرض مصر، وفرعون وجميع رعاياه وجميع ملّكه (التوراة - سفر التثنية 34: 10، 11). أما عدم تلقيب موسى بأنه نبي في غير هذا النص، فلأن أنبياء بني إسرائيل كانوا على طول التاريخ الإسرائيلي يمثلون «حزب المعارضة» أمام الكهنة الرسميين في الهيكل، وكان هؤلاء يوغرون صدور الملوك اليهود ضدهم، ويشيرون غضب الشعب عليهم، ويمنعونهم من أداء الشعائر في الهيكل، ويقتلونهم أحياناً. وكانوا لكثرتهم في المجتمع اليهودي يضمنون في صفوفهم كثيراً من الدجالين والمشعوذين والمنجمين والسحرة. وكان الاعتقاد المستقرّ في الأذهان أن الله لا يرسل إلا رجلاً، ولكن من الممكن أن تظهر في الناس «نبية»، وعند اليهود سبع نبيات معترف بهن وجاءت أسماؤهن في (العهد القديم) وهن: 1 - سارة (زوجة إبراهيم). 2 - مريم الكبيرة (أخت هارون وموسى). 3 - دبورة (العرافة بعد عهد

في التلمود

وكان ارتفاع الستر عشرة أذرع. وخالفه الربى شمعي مؤكداً أن الإفراط في الطول، أو في القصر، عيب في هيئة الأنبياء، والرسل (التلمود - باب الأبناء البكر).

ومع ذلك يروي التلمود - في هذا الباب نفسه - عن يوشع بن نون، خادم موسى وقائد بني إسرائيل في المعارك أن القوم أشاعوا أنه (خصي)، عندما أرسله موسى هو وجماعة من رجاله للتجسس في أرض كنعان. ووقف يروي مهمته هذه، وكان الناس ثائرين على موسى وأعوانه «فما كاد يوشع يتكلم حتى صاح الناس: هاكُم هذا الخصي يتكلم» (التلمود - الباب نفسه).

وعلى القداصة التي غمر بها التلمود موسى، فإنه كان من حين لآخر يهزمه ويلمزه - بأدب جم ولكن بإصرار - فقال مثلاً رواية عن البرأيتا: إن موسى عمل برأيه في ثلاثة حوادث، أقره عليها القدوس تبارك اسمه، وهي: مفارقة زوجته، وتحطيمه لألواح الشريعة، وزيادته يوماً في الصيام قبل تسلمه التوراة (التلمود: باب النساء).

وفي باب (الأضرار والتعويضات - قسم السهدين، أي القضاء) يروي التلمود البابلي عن الربى إليعازر بن يوسي أن رجلاً قابله في الإسكندرية من يهود هذا البلد روى له أن مجيء موسى جرّ على بني إسرائيل الاضطهاد والمذابح والتشريد والدمار!! بل أشاروا إلى انشغاله بالنساء، فبعد زواجه من «صفورة» بنت شبيب، تزوج بامرأة وُصفت بأنها حبشية لأنها كانت سوداء، ثم بثلاثة من «العشنيين» وهم سوريون من سكان حماة، واعتمد التلمود على إشارات جاءت في كتب العهد القديم بعد التوراة منها (أخبار الأيام الثاني: فصل 25 - سفر القضاة 1: 16).

وما أكثر الزواج المختلط عندهم. فهاجر مصرية وهي زوجة إبراهيم - ويوسف تزوج مصرية، وموسى جميع زوجاته من غير بني إسرائيل، وداود أحب لبنانية وتزوجها، وسليمان الذي يقول اليهود عنه إنه اقترن بألف امرأة، منهم سبعة من جميع أجناس العالم، المعروف في عصره، وثلاثمائة سريّة، مما يثبت أن دعوى العنصرية التي يتبجح بها اليهود دعوى مضحكة، لا تثبت لحظة واحدة أمام التأمل والتحقيق.

قد خاتنه في تنصيب هذا الملك العصبي المزاج، الجاهل، الضعيف في الصراع والقتال، فاتفق سراً مع داود على تنصيبه ملكاً وعزل شاؤول. ولكنه مات منتحراً على إثر هزيمته أمام الفلسطينيين.

بحث شاؤول عن بعض المنجمين أو العرافين. وكان هو قد أمر بقتلهم جميعاً من قبل. ثم دله أحد جنوده على عرافة تمارس هذه المهنة سراً في بعض الجبال، فسارع إليها، وسأله بعد أن تأكدت من أنه لا يريد بها شراً، إذا كان يريد معرفة ما كان وما سيكون بالخصي أو بالنجوم أو بمخاطبة الموتى؟ فأجاب بأنه يريد مخاطبة روح صمويل. فأحضرت له روح هذا النبي الذي كان قد توفي منذ مدة قريبة. هذه خلاصة ما جاء في سفر الملوك من أسفار العهد القديم.

أما التلمود - لأن الأمر يتصل بتتويج داود وتولي سبط يهوذا مقاليد الأمور - فقد زعم أن روح صمويل لما ظهرت بشكله وشبهه وملابسه

توم موسى تحولوا - بعد خروجهم معه - إلى عصابات من اللصوص وقطاع الطرق. وهناك من الباحثين من يفترض أن اليهود قد فتكوا به

لم تكن وحدها، بل كان معها موسى! ليكون أول شاهد لميلاد أعظم بيت حكم اليهود في قديم الزمان، وهو سبط يهوذا الذي ينتسب إليه اليهود جميعاً. فهذه اللحظة التاريخية كان لا بد أن يحضرها موسى الذي كان قد مات ودفن - يعلم الله في أي أرض - قبل موت صمويل بخمسة سنة تقريباً. والتلمود ينقل هذا الخبر عن الربى إليعازر، ويقولون إنه كان يبكي كلما تذكر تلك القصة. ويقول: ظن صمويل - وهو نبي - أنه نُشر من قبره للحساب، فمن شدة خوفه اصطحب موسى ليكون شفيعاً له، فما بال العاصين من عباد الله الذين لا شفيع معهم! وواضح أن الأسطورة وعظية لا أكثر ولا أقل.

ولم ينس التلمود أن يصف موسى بأنه - حتى وقد جاوز المائة من عمره - كان عملاقاً منذ قال ذلك الربى (راب) مستتجاً ما قاله من أن موسى رفع راية بني إسرائيل على الستر المقدس بيده،

يوشع بن نون). 4 - حنة (أم صمويل النبي). 5 - أبيجائل (إحدى زوجات داود). 6 - حُلدة (عرافة معاصرة ليوشياهو الملك في أورشليم). 7 - إستير عشيقة ملك الفرس، وقد حصلت منه على مرسوم إمبراطوري بإعدام كل أعداء اليهود في إيران بعد السبي البابلي بأجيال.

وباستثناء موسى الذي سُمي نبياً مرة واحدة في التوراة كما ذكرنا، فقد سبقت النساء الرجال إلى النبوة عند بني إسرائيل، فأول الأنبياء عندهم «شموئيل» الذي سماه اليهود في الجزيرة العربية منذ الجاهلية (السؤال)، ويعرفه المسيحيون واليهود شرقاً وغرباً الآن باسم صمويل أو صموئيل ويسمون به أولادهم تبركاً بأول أنبياء العهد القديم «شموئيل التثني» الذي أثبت من خلال أخباره المروية عنه أنه كان أقرب إلى رجل السياسة منه إلى رجل الدين، فهو الذي أراد أن يجمع كلمة اليهود بعد ثلاثة قرون أو تزيد من دخولهم غزاة مع يوشع بن نون إلى فلسطين حيث بقيت أسباطهم الاثنا عشر متفرقة متشرذمة، فأراد صمويل هذا أن يجمعهم في شعب، وأن يؤسس بهم مملكة. ولكن قبيلته لم تكن لها صفة دينية ترشح أبناءها للكهنات مثل سبط اللاويين، ولا لها من الثروة والقوة ما يرشحها للملك مثل سبط يهوذا، فهو لا يصلح كاهناً ولا أميراً، فأطلق على نفسه لقب النبي. وزاد فأنشأ على بعض المرتفعات القريبة من القدس مدرسة للأنبياء يديرها ويعلم من يأتيه من الشباب أنواعاً من الرياضات الروحية التي تقوّي فيهم الفطنة وبعد النظر والحكمة؛ لأنه هو نفسه نشأ في خدمة الكاهن عالي الذي كان يؤم بني إسرائيل في معبد مركزي يستقبل الحجاج من جميع أرجاء فلسطين. وكانت أم صمويل عاقراً فبشّرها عالي بزوال هذه الحنة، فنذرت إن جاءها ولد أن تهيه للكاهن ليكون خادماً له. فتعلم من شيخه الدين ثم توسع في ذلك وتعمّق حتى وصل بجهوده الثقافية والروحية إلى وظيفة لا يزاحمه فيها أحد وهي (النبي) إذ كان أول من رسم حدودها ومهامها. ونجح في إنشاء مملكة لبني إسرائيل، وفي تتويج أول ملك لهم، هو شاؤول الذي اختاره لهيئته الوجهية، وطول قامته (لذلك يسميه القرآن الكريم طالوت)، ولأن أباه في بيت لحم كان من الأثرياء نسبياً، إذ كان تاجر حمير، وهي تجارة تعادل وكالات السيارات في أيامنا هذه. ثم تبين له أن ذكاهه وفطنته وبعد نظره

السَّمْعُ بِالْكَلِمَاتِ

نظرات في الصورة الفنية في القرآن

ناديا مظفر سلطان

في الأعوام الماضية، كانت الألوان والأشكال والظلال تلوذ بمخيلتي، فتغفو أحيانا وأحيانا أخرى تصحو، فتثور وتتأجج وتدفع بالريشة في معين الألوان لتعرف نفسها في لوحات فنية.

هذه الريشة كانت اللسان الذي تحدثت به إلى رواد معارضي الفنية، فحككت لهم قصصاً، بعضها طويل وبعضها قصير.. عن زهر وثمر، وورد وشجر، عن بحور وصخور، وبيوت ومروج.

حتى إذا تعبت ريشتي من الكلام، استبدلت بها قلماً، وانكفأت أرسم بالكلمات.. وأي كلمات!

وهأنذا أقدم للقراء معرضاً للرسم بالكلمات السماوية.

وإليكم نص بطاقة الدعوة:

إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار آيات لآولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض. ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فبقينا عذاب النار. آل عمران: 190، 191.

تفتح لنا هاتان الآيتان باب الدعوة.. فإذا نحن أمام معرض للسماوات والأرض، واختلاف بين الليل والنهار. إنها دعوة لآولي الألباب من الناس، هذه الفئة

التي لا تمرّ آيات الله الباهرة، بهذا المعرض الدائم، مُغمضة العيون. وهي دعوة للتفاهم، بين فطرة الكون، وفطرة الإنسان، لآولي الألباب، هؤلاء الذين يستنقذون حسمهم من سبات المألوف، وبلادة التكرار، وينتشلون بصيرتهم من عتمة عدم التأمل، فيفتحون بصائرهم لاستقبال آيات الله الكونية، متخطين عوائق النظرة السطحية بينهم وبين هذه الآيات، لتكشف مداركهم، وتتصل بحقيقة الكون، وتدرك غاية وجوده، وقوام فطرته، وعلة نشأته، بالإلهام الذي يصل بين القلب البشري ونواميس هذا الوجود. ومشهد السماوات والأرض، ومشهد اختلاف

الليل والنهار، هما معرض شامل لو فتحنا له بصائرنا وقلوبنا وإدراكنا، لو تلقيناه لوحة جديدة، تفتح عليها عيوننا أول مرة، لصحونا من سبات ما هو مألوف، ولأحسنا أن وراء هذه اللوحة تناسقاً في الجزء، وتكاملاً في الكل، وانسجاماً في الإطار، ولأحسنا أنه لا بد من وجود يد مبدعة وقوة مدبرة مخططة، حكيمة، عليم.

والسياق القرآني هنا، يصور خطوات الحركة النفسية التي ينشئها استقبال مشهد السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار في مشاعر أولي الألباب، تصويراً دقيقاً.

وفي الوقت ذاته هو تصوير إيحائي، يلفت القلوب إلى المنهج الصحيح في التعامل مع الكون، وفي التخاطب بلغته، والتجاوب مع فطرته وحقيقته، والانطباع بإيحاءاته.. وهذا ما يسمى بالاستجابة.

وإذا جعل من معرض الكون، الذي أنتم مدعون هنا لمشاهدته، معرضاً للتأمل بما تبذره يد الخالق، نجد أن هنالك ترابطاً بين توجه القلب إلى ذكر الله وعبادته، والتفكير في خلق السماوات والأرض، والاتصال بالمنهج الإلهي الموصل إلى النجاة، والخير، والصالح، في الدنيا قبل الآخرة. وهنا يكون الاتصال، إذًا، هنالك ثلاث نقاط رئيسية: استقبال،

استجابة، اتصال. إنها رؤوس ثلاثة، مثلث يحصر بين أضلاعه نصيب كل حي من دنياه.

وإذا بحثنا في هذه النقاط الثلاث وجدنا:

- الاستقبال: وهو التفكير والتأمل، وهو يحد ذاته عبادة. يقول أبو الدرداء: «لا تفكر ساعة خير من قيام ليلة». إن آية الاستقبال هي: ويتفكرون في خلق السماوات والأرض. آل عمران: 191.

- الاستجابة: وهي المرحلة التي تلي الاستقبال، والحقيقة أن آيات الله في الكون لا تتجلى على حقيقتها إلا للقلوب الذاكرة: ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فبقينا عذاب النار. آل عمران: 191.

- الاتصال: وهي المرحلة الأخيرة: ربنا إنك من تدخل النار فقد أخرجته وما للظالمين من أنصار. ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد. آل عمران: 192-194.

إنها نتيجة حتمية أخيرة للتفكير والتعبد. هذا الكون يسير وفق ناموس لا يتخلف ولا يمكن أن يكون جزافاً من دون غاية.

وإذا بعدنا قليلاً من النص القرآني، آخذين في الحسبان فئة من الناس: وجدنا أنهم أيضاً من أولي الألباب، إذ لديهم القدرة على التأمل والتفكير، ولديهم الاستعداد القوي للاستجابة لهذه المؤثرات المعروضة للأنظار والأفكار، في صميم الكون، وفي الليل والنهار.

هذه الاستجابة قد تكون علماً أو فناً. ولكن قد ينتفي وجود الاتصال.. إذاً، هنالك نقطة مفقودة في رسم المثلث، ويسقى ضلعه امتدادين إلى ما لانهاية، إلى خواء روحي، ومن ثم إلى قلق، وضياح، وتيه.. هذا نص الدعوة.. فمتى كان تاريخها؟..

منذ ما ينيف على ألف وأربعمئة عام، منذ أن أشرق الكون بنور الدعوة الإلهية، للنبي الأمي محمد بن عبدالله، عليه الصلاة والسلام: اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم. العلق: 1-5.

إنه كوكب الحق يسطع ضياؤه في جنبات الكون. إنها نقلة من الخس الجاهلي المتبلد، في ظلال الحدودية الساذجة، إلى آفاق العلم والحق والمعرفة، شاملة واضحة محيطية.

إنه الفرقان، ليس في تاريخ جيل أو أمة، بل في تاريخ البشرية، ذلك الذي يفرق بين الحق والباطل، والعلم والجهل.

وهو مفترق الطرق، من دياجير العتمة المطبقة، إلى رؤيا باهرة، لمعالم الأرض والسماء، لا يطمسها الزمان، ولا تطمسها الأحداث.

ساحة المعرض

صفحات كتاب الله، حيث يجود علينا النص القرآني، بما يعجز عن الإتيان بمثله إنس أو جن، وذلك لما يتضمنه من إعجاز في النظم والمعاني، ومن ثم بالتصوير الدقيق، الذي تأتي به كل سورة، وكل آية: قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. الإسراء: 88.

أوقات الزيارة

في كل وقت، فالكون دائماً معروض، وإن كنت أفضل وقت الفجر إذ إن قرآنه مشهود: وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً. الإسراء: 78.

في هذا الوقت، عندما تزحف جيوش الفجر، لتنجلي أمامها جحافل الظلام المدبرة، عندما تبتدأ أهازيج الطيور المغردة مسارب الصمت، وتفتتح براعم النور، واعدة يوم آخر، وفق ناموس لا يفتر لحظة، ولا يختل مرة، فينبض اليوم بالحرارة، ويتنفس الصبح بالحياة. إنه وقت يخشع فيه القلب، ويغدو متأهباً للافتتان بما عليه عليه الطبيعة من لوحات متباعدة.

وإني إذ أجوب وإياكم بعض أرجاء هذا المعرض، فأقتبس الأضواء من بعض لوحاته، لا أعدكم بأنني أستطيع أن أقف عند كل لوحة، فأعطيها حقها، وصفاً ودراسةً وتحليلاً.

ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم. لقمان: 27.

إنها أمنية مستحيلة تحضرني عندها ذكرى زيارتي الأولى لمتحف اللوفر. تساءلت، وأنا مبهورة الأنفاس بروعة لوحاته: ترى هلي تسعني أيامي الخمسة، التي سأقضيه في باريس، لتغطية أرجاء المتحف، ودراسة لوحاته عن كثب؟

وأقول الآن، وبعد زيارات طويلة لسور النص القرآني وآياته: ترى هل تتسع سنوات العمر، فأجوب هذا المعرض، وأنأمل صورة حق التأمل، فأفيد منها حق الإفادة، وعندها أظفر بمسحة الفن وتحليته، وروعته وبهائه في الدنيا، وأحمل في جعبتي سلوكاً، وحكمة، ومنهجاً، فأخرج مخرج صدق ويقين حق..؟

ولننطلق في جولتنا الآن آخذين في الحسبان المقولة التالية: «التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن»، مبيّنة أولاً مقومات فن التصوير بشكل مجرد:

إن أية لوحة فنية قوامها عناصر أربعة: الشكل، والظل، واللون، والمعنى، ويضيف الفن القرآني مقومات أخرى هي: الحركة، والموسيقا، والإضاءة.

والإعجاز القرآني - من دون أن يكون هنالك ريشة وألوان، وبالكلمة فحسب - يقدم لنا فيضاً من لوحات تمتلك هذه المقومات كلها.. ولكن قد تنفرد بعض الآيات، فتلفت النظر إلى أحد هذه العناصر أكثر من سواه، فالعرض سيكون للآيات التي تلفت النظر إلى كل من هذه المقومات.

أولاً: الشكل

أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت. الغاشية: 17-20.

ريشة تجمع بين السماء والأرض، والجبال والجسمال، في مشهد واحد، حدوده تلك الآفاق الواسعة، من الحياة والطبيعة.

والأجزاء موزعة بين الاتجاه الأفقي في السماء المرفوعة، والأرض المسوطة، والاتجاه الرأسي بينهما في الجبال المنصوبة والإبل الصاعدة السنام. إنها دقة في الأشكال والأحجام، وهو توازن بين الاتجاهين الرأسي والأفقي للمحاوِر الأساسية، أولاً: إبل: رأسي، ثانياً: سماء: أفقي، ثالثاً: جبال: رأسي، رابعاً: أرض: أفقي.

أما الموضوع، فهو مستمد من حياة العربي الأول؛ فالجمل هو أليف الصحراء العربية المتراصة الأطراف - التي هي الأرض - تحدها السماء المرفوعة، والجبال المنصوبة القائمة.

وتحدثنا سورة أخرى عن القمر.. القمر: نديم الشعراء، وسراج المتأملين: والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. يس: 39.

الشكل هنا يعبر عن الإحساس البصري، والشعور النفسي معاً.

فهذا العرجون القديم أقدر على تصوير القمر كما تراه العين وكما تحس به النفس. وهذا القمر لا يزال يتنقل في منازل حتى يصبح بعد استدارته المبهجة دقيقاً، نجياً، محدودباً، وكأنما هو في السماء كوكب تائه. يأخذ شكل الهلال في لياليه الأولى ثم في الأخيرة، وفي الأولى تبدو عليه النضارة والقوة، وفي الأخيرة يغشاها شحوب ووجوم، ويكسوه فتور وذبول، كذبول العرجون القديم.

ثانياً: الظل

إن الظل - من المنطق الفني في مجال الرسم والتصوير - هو العنصر الأساسي لإبداع أية لوحة فنية، ولولاها لكان التكوين الفني مجرد خطوط جوف لا معنى لها ولا تعبير.

والظل في النص القرآني، نجده في أكثر من مكان، وتجود علينا بوصفه أكثر من آية. وفي سورة أخرى، وصف للظل جاء غاية في الدقة والروعة: ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه ذليلاً. ثم قبضناه إلینا قبضاً يسيراً. الفرقان: 45، 46.

فالظل نعمة أسبغها الله على عباده، إنه الملاذ في

هجير الصحراء المحرق، وهو سمة من سمات النبوة، فضل الله بها نبيه الأكرم، المستظل بالعمام.

وفي هذه الآية، يبدو الظل هو الظلمة الخفيفة، التي تلقيها الأجرام، حينما تحجب أشعة الشمس فتتغير أوضاعه، وامتداداته، وأشكاله، والشمس تدلّ عليه بضوئها، وحرارتها، وتُميّز مساحته، وامتدادها، وارتدادها.

وإن مشهد الظلال، والشمس مائلة للمغيب، وهي تطول وتمتد ليُشيع في النفس نداوة وارتياحاً، كما يثير فيها بقطة لطيفة، شفيفة..

وفجأة تفر الظلال في لحظة، ويتهاوى قرص الشمس منهكاً مكوداً، فيلقي بنفسه في أحضان الظل الغامر، ظل العتمة والليل، إنه القبض وما أروعه من تعبير، يدلّ على قوة تصوير.

وفي سورة النحل، نجد حركة الظلال، ذات ديب في الأعماق، وتبدد، يدعو للخضوع ومن ثم السجود، وهو أقصى مظاهر العبادة: **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّضُوا ظِلَّاهُ عَنِ اليمينِ وَالشمالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ. النحل: 48.**

إنها لوحة عجيبة من الأشياء والظلال، والدواب، في نظام خشوع وسجود.

ثالثاً: اللون

بعد أن حددنا الظلال، تبرز ملامح اللوحة في المرحلة الأولى، ثم تأتي الفرشاة، فتتغمس بسخاء في الألوان، وتنطلق تعمل في الثمار، والناس، والجبال، والمسارب، والأنعام.

في إحدى السور لقطة كونية عجيبة، تطوف أرجاء الأرض، فتنبع فيها الألوان، والأصباغ: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُود. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ. فاطر: 27، 28.**

نبدأ بإنزال الماء من السماء، وإخراج الثمار المختلفة الألوان.. والآيات هنا تعني بالأصباغ والألوان. وألوان الثمار معرض بديع يعجز عن إبداعه أمهر الرسامين، فالاختلاف لا يكون فقط بين الثمار المختلفة، وإنما يكون بين الثمار ذات النوع الواحد أيضاً.

وتنتقل الريشة إلى ألوان الجبال، والجدد وهي الشعاب والطريرق، وتختلف هذه المسارب في درجة اللون والتظليل، والألوان الأخرى المتداخلة فيها، وقد يكون بعضها أيضاً حالك السواد.

وهكذا تستمر الريشة في جولتها، في أرجاء الكون الفسيح، فنجد أن الألوان، تختلف اختلافاً واسعاً في ملامح البشر، وفي الدواب عامة، والأنعام خاصة.

هذا المعرض الفنّان لا يستهوي إلا الذين يستقطبهم جماله وكمال تكوينه... إنهم العلماء الذين يتدارسون، ويستشعرون حقيقة عظمة الخالق من عظمة خلقه: **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ.**

واللون في القرآن، إضافة لكونه عنصراً جمالياً يسترعي الانتباه، فإن له أيضاً معنى إيحائياً لتأكيد موضوع محدد.

فالأخضر لون بارد مريح يوحى بالخصب والعطاء، إنه لون مبارك، فملابس أهل الجنة خضراء اللون: **يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ. الكهف: 31.** أما الأصفر فهو لون حارّ بهيج، يدل على النضج والاكتمال، ويحرك جذوة الانفعال والانجذاب: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَبْصَارِ. الزمر: 21.** وفي سورة أخرى: **إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ. البقرة: 69.**

الإعجاز القرآني يقدم لنا بالكلمة فيضا من لوحات فنية فيها الشكل والظل واللون والمعنى، إضافة إلى الحركة والموسيقا والإضاءة

وإذا كان اللون ذا معنى إيحائي، فإن اللونين الأبيض والأسود، يُكوّنان بعض اللوحات الفنية للدلالة على معنيين متناقضين أشد التناقض، بدلاً من استعمال الألوان المختلفة: وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات ولا النور. ولا الظل ولا الحرور. وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يُسمع من يشاء وما أنت بُسمِعَ من في القبور. **فاطر: 19-22.**

رابعا: المعنى

يتفاوت الأسلوب القرآني في تصوير المعاني ويختلف، ولكن يمكن حصره من المنطلق التصويري فيما يلي:

أ - أسلوب واقعي، مستمد من القصص التي

تزخر بها السور القرآنية.

ب - أسلوب رمزي، يهدف إلى معنى أكبر من أبعاد اللوحة بحد ذاتها.

ج - أسلوب كاريكاتيري، هدفه السخرية والتهكم.

أ - الأسلوب الواقعي

وهو مستمد في التصوير القرآني من القصة، وهذه القصة تخضع - سواء في موضوعها أو في أسلوب عرضها - لأغراض دينية، ولكن هذا لا يمنع من بروز الخصائص الفنية في عرضها ولا سيما خصوصية القرآن الكبرى في التعبير الذي نحن الآن بصدد، ألا وهي التصوير..

وفي هذه اللوحات التي نحن بصدد عرضها، يؤلف التصوير القرآني، بين الغرض الديني والغرض الفني، فيما يعرضه من لوحات، ويركز على النقاط الجمالية، ويجعل منها أداة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية. وإدراك الجمال الفني يعد بحسن التلقي للهدف الديني، فحين تصفو النفس، تتلقى رسالة الجمال، التي تبلغ في العقيدة حد الذروة.

وسأحاول أن أذكر ببعض الصور الفنية، التي تحكي قصصاً، لأن هذه الصور يزخر بها القرآن الكريم، ولا مجال للوقوف عند كل قصة، لإعطائها حقها من الدراسة، والتفصيل، والتركيز على مواطن الجمال فيها.. لذا سأذكر ببعض القصص القرآنية:

قصة آدم عليه السلام منذ خلقه، وحادثة إبليس معه وغوايته له. قصة مولد عيسى ابن مريم عليهما السلام، وقصة موسى عليه السلام الشاب الحاد الطبع. وقصة يوسف عليه السلام الشاب الفتان البديع الحسن، وقصة إبراهيم عليه السلام الفتى المتسامح التأمل. وقصة نوح عليه السلام وصورة صنع السفينة، ثم صورة الطوفان ومن ثم غرق ابنه...

وقد اخترت هنا، سلسلة لوحات متكاملة تحكي لنا قصة أهل الكهف: نحن نُقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى. وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططاً. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهاً لولا يأتون عليهم بسطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً. وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا. **الكهف: 13-16.**

لنهمه، وقبحه، وسوء خلقه، يبدو اللؤم واضحاً في سحنه الكريهة، له أنف طويل كالخرطوم يجره أمامه، وقد وسم عليه كما يُوسم العبد.

ويرجح بأن هذه الآيات قد نزلت في الوليد بن المغيرة، فكانت دعة من الخالق بأسلوب لا يبارى.. قال ربّ إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً. فلم يردّهم دعائي إلا فراراً. وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً. نوح: 5-7.

تُبرز لنا هذه اللوحة فئة من الناس، لهم وجوه رجال، وأجساد أطفال، إنّه رسم ساحر، لهذه الفئة، التي تتصرف بسذاجة، وحماقة كالأطفال، وعنادهم، فهم يضعون أصابعهم في آذانهم، ويسترون وجوههم، ورؤوسهم بثيابهم، ضماناً لعدم تسرب الصوت إليهم بنائاً. وفي هذه الصورة تهكم لاذع، واستهزاء بأسلوب فريد.

بعد ذلك تظهر لنا صورة زرية بائسة، لحمار يحمل على ظهره كتباً ضخمة، وليس له منها إلا ثقلها، فهو ليس صاحبها، وليس شريكاً في الغاية منها. إنّه مثلٌ شائن للقوم، الذين حملوا التوراة، ولم يفقهوها منها شيئاً، ومثل لكل من يحمل أمانة العقيدة، ولا يعمل بها، ويسير حياته وفقها: مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً. يس: ٢٢. مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الجمعة: 5.

خامساً: الحركة

إنّ المصور حين يرسم لوحاته، فإنّه يملك الفرشاة والألوان، أما التصوير هنا فقد كانت الكلمة أداته.. الكلمة فقط أعطت الشكل، والظل، واللون، والمعنى، وهي أيضاً قادرة على بعث الحياة في اللوحة، وإعطائها نبضاً جديداً وحركة تناسب المعطيات السابقة.

أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات يقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير. الملك: 19. هاهو ذا مشهد عادي بالنسبة إلينا مألوف، وبسيط، ومكرر.. ولكن هذه الآية جعلت من حركة الطائر العادية، حركة جديرة بالمشاهدة، والدراسة، والتفكير.. ثم التفكير بمقدرة الله: ما يمسكهن إلا الرحمن، ولقطة: صافات ترسم حركة انسيابية لجناحي الطائر وهي حالة غالبية، ثم تأتي حالة القبض المعارضة: ويقبضن.. لقد تجاوز الوصف هنا كونه رسماً دقيقاً، فأصبح عدسة ترصد فيلماً متحرراً...

الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً. الكهف: 21.

هذه الصورة تقدّم لنا مفاجأة، وإنها لمفاجأة تعقد اللسان حقاً. الموت يسيطر جناحيه الشقيين، والفتية وقد فارقتهم الحياة، راقدون في سكينه وسلام. والناس خارج الكهف يتحاورون ويتشاورون في أمرهم. في هذه اللوحة عبرة تقرب إلى الناس، بمثل واقعي محسوس، قضية البعث والنشور.

اللوحة الخامسة: سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدّتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً. الكهف: 22.

وهذه صورة أخيرة، تضم مجموعة من الخلق، يتناقلون الأخبار، والروايات، ويزيدون فيها وينقصون، وقد يضيفون إليها من خيالهم جيلاً بعد جيل، حتى تتضخم. وهي صورة فيها نوع من السخرية المستترة، من فئة من الناس، تخوض في جدل لا طائل وراءه، ولا فائدة منه. وعادة المنهج الإسلامي، أن يصون طاقة الإنسان العقلية من أن تبدّد من دون فائدة، وألا يقفوا المسلم ما ليس له به علم وثيق، ومعرفة أكيدة.

ب - الأسلوب الرمزي

هو أسلوب ترمي فيه اللوحة إلى معنى أوسع من حدود اللوحة بحد ذاتها. إنّه أسلوب رمزي يفتح أفقاً، لإعطاء مفهومات أشمل مما يرى الإنسان من خطوط وظلال وألوان:

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم أنظر أنى يؤفكون. المائدة: 75. ترسم هذه الصورة في الذهن، صورة السيّد المسيح وأمه، يأكلان، وهو رسم فيه أدب، وذوق رفيع، ورقة ما بعدها مزيد، لإضفاء الصفات البشرية، على السيّد المسيح وأمه.. وفي القرآن كثير من هذه الأمثلة، وربما كان هذا موضوعاً مستقلاً بذاته.

ج - الأسلوب الكاريكاتيري الساخر

ولا تطع كل حلاف مهين. هَماز مشاء بنميم. مناع للخير معتد أثيم. عتل بعد ذلك زيم. أن مكان ذا مال ونين. إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. سنسمة على الخرطوم. القلم: 10-16.

لوحة كاريكاتيرية لرجل عتل. إنه قصير القامة، ضخم الوجه، عظيم الكرش، رغب الجوف، يأكل فلا يشبع، ويتحرك فلا ينشط، مكروه في كل مكان

في هذه اللوحة الأولى: يظهر الفتية يتحاورون، ويتناجون، في سيماهم عزم ويقين، وفي عيونهم برق حرّ مكن هؤلاء الفتية يعتزلون قومهم ويهجرّون زينة الدنيا، ومتاع الحياة، ويحسون هذه الرحمة ظلية، نسمة، ممتدة: ينشر لكم ربكم من رحمته. ولقطة ينشر تلقي ظلال السعة والانفساح، فإذا الكهف فضاء رحب، تنتشر فيه الرحمة، وتمتد ظلالها، فتشملهم بالرفق واللين، وإذا الأسوار الضيقة تفرج، وإذا الجدران الصلبة ترق، وإذا الوحشة الموغلة تشف، فالأجواء إذاً فيها رحمة ورفق، وأمان واطمئنان.

تطالعنا اللوحة الثانية: الفتية في الكهف، وقد ضرب الله على آذانهم فغطوا في سبات عميق: وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً. الكهف: 17، 18.

هذه الصورة يهيمن عليها سكون ثقيل. والظلال واضحة محدّدة الملامح. فالشمس مائلة في الكهف، ولقطة تزاور تصور مدلولها، وتلقي ظل الإرادة في عملها، وإذا غربت تتجاوزهم إلى الشمال. فالصورة يلفها ظل كثيف، والفتية في وضعية رقاد، وكلبهم - على عادة الكلاب - باسط ذراعيه بالفناء قرب باب الكهف كأنه يحرسهم. فالأجواء إذاً: رهبة، وغموض يثير الخوف والفرع.

فجأة تطالعنا اللوحة الثالثة، فيها حياة تبتعث، ونبض ما يلبث أن يدب من جديد: وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبينا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليستلطف ولا يشعرن بكم أحداً إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا. الكهف: 19، 20.

اللوحة هنا تفيض بالحركة: بعض الفتية في شبه نهوض، وواحد يفرك عينيه مشتاقاً، وآخر يلتفت متسائلاً: كم لبثتم؟ الجو ما زال يهيمن عليه التوجس والقلق، والترقب.

اللوحة الرابعة: وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أنّ وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم نبياً أن ربهم أعلم بهم قال

وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. الحج: 5.

الهمود درجة بين الحياة والموت، وهكذا تكون الأرض قبل الماء، وهو العنصر الأصيل في الحياة، فإذا نزل عليها الماء اهتزت وربت، وهي حركة عجيبة سجلها القرآن، قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات السنين. فالترربة الجافة حين ينزل عليها الماء، تتحرك حركة اهتزاز، وهي تشرب وتتفخ فتربو: وأنبتت من كل زوج بهيج، وما أبهج الحياة وهي تفتح بعد الهمود، وتتفخ بعد الكمون!!!... ويأتي الإعجاز القرآني أحياناً بصورة كاملة متحركة، في كلمة واحدة فقط: وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وتفيخ في الصور فجمعناهم جمعاً. الكهف: 99.

ولفظه «يموج» أنت بصورة ترسم جموعاً بشرية من كل لون، وجنس، وأرض، ومن كل جيل، وزمان، وعصر، مبعوثين، متدافعين، منتشرين. يختلطون ويضطربون تدافع جموعهم تدافع الموج، وتختلط اختلاطه. وقبل أن نبدأ بالخاصة السادسة، وهي الموسيقى، أحب أن ألفت النظر إلى أن كل الآيات السابقة، كانت تبدأ بلفظة ترى: ألم تر... وهي لفظة تشمل النظر بالعين، والإدراك بالقلب، والمعاشاة من خلاله.

سادساً: الموسيقى

الإيقاع الموسيقي في النص القرآني، بحث كامل يفرض دراسة قائمة، موسعة، وسأحاول أن ألمح إلى هذا الموضوع من زاوية بحثنا هذا:

إننا نجد الإيقاع الموسيقي، يتفاوت في النص القرآني، حسبما يتطلب النص، ويفرضه الجو، وتهيمن عليه الفكرة. فهو أحياناً سريع واجف، وأحياناً ناعم واعد، وفي أحيان أخرى مضطرب صاحب: والعدايات ضبحاً. فالعوايات قدحاً. فالعوايات ضبحاً. فأنزله به نقماً. فوسطن به جمعاً. إن الإنسان لرأيه ككود. العاديات: 1-6.

الإيقاع الموسيقي هنا يقرع الأسماع، وينبه الأعصاب، ويشد الأبصار. إنه صوت صاحب لحواف الخيل، وهي تجري وترقرع الصخر، حتى يتطاير الشر منها، وهي تغير بغتة، فتفاجئ العدو، وتثير جواً من النفع والغبار، يكاد يركم الأنفاس. الموسيقى هنا فيها خشونة وصخب، تناسب الجو

الكئيب الواجف، وما فيه من ملامح جحود، وبخل، وأثرة، وسط سحب الغبار التي تعبق بها اللوحة الرائعة. ومن هذا الإيقاع العنيف المججل، ننتقل إلى إيقاع وديع أنيس، ينساب برفق وأناة فيشيع الطمأنينة، ويبعث الدفء في حنايا النفوس: والضحي. والليل إذا سجي. ما ودعك ربك وما قلى. وللآخرة خير لك من الأولى. ولسوف يعطيك ربك فترضى. ألم يجدك يتيماً فآوى. ووجدك ضالاً فهدى. ووجدك عائلاً فأغنى. فأما اليتيم فلا تقهر. وأما السائل فلا تنهر. وأما بنعمة ربك فحدث. الضحي: 1-11.

هذا الليل الساجي، ألا يوحي بأعذب الألحان؟ وهذا الوعد الكريم بالرضى، والمأوى والهدى، والغنى، أليس موسيقا رتيبة الحركات، وثيدة الخطوات، رقيقة الأصدا، شجية الإيقاع؟ وكل هذا في إطار من الضحي الرائق، والليل الساجي، أصفى أوائن من آونة الليل والنهار، وأشرف أوائن تسري فيهما التأملات،

التصوير القرآني يركز - ضمن ما يركز عليه - على مواطن الجمال، ويجعل منها أداة للتأثير الوجداني، فيخاطب الحاسة الدينية بلغة الجمال الفني

وتتصل الروح بالوجود، وخالق الوجود...

هذه السورة أنزلت على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بعد إبطاء طويل من جبريل عليه السلام، فقال المشركون: «ودع محمداً ربّه!» فكانت هذه السورة نعمة حانية بددت وحشة الصمت والسكون، وأشاعت فيها الأنس والطمأنينة.

لننتقل نقلة أخرى في عالم الموسيقى، من ليل ساج، رائق، إلى ليل من نوع آخر، ليل تستيقظ فيه الشهوات، وتهيم فيه الوسوس، والخاوف، وتبعث فيه الهموم والأشجان: قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلّق. ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسد إذا حسد. الفلق: 1-5.

إيقاع يشير الرهبة والقلق من أشياء ما، يسرلبها الغموض، وتكتنفها أمواج العتمة المتدفقة، من مرحلة ما بعد الغسق، حيث تنطلق في غياهبها عوامل الشر والشعوذة، تعمل، ومشاعر الضغينة والبغضاء تفيض.

فيأتي نداء الرحمن المطّلع على كل شيء، ويدعو إليه.. إلى الملاذ الآمن، وإلى حيث ينبج النور، ويولد الضياء، فتتجلي الرؤية، وتزول المخاوف.

سابعاً: الإضاءة

الله نور السماوات والأرض. النور: 35. ما يكاد هذا النص يتجلى، حتى يسبح المعرض الكوني، في بحر من نور.. نور واعد كريم شامل، فتشف البصائر، وتنبه الأبصار، وتنداح الحجب، فإذا الكون كله بما فيه، ومن فيه، طليق من القيود والحدود، تتصل فيه السماوات بالأرض، وتتألف مستمدة من قوامها، ونظامها، وجوهرها، ونواميسها: مثل نوره كمسكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور. النور: 35.

وإذا كان الكيان البشري، لا يقوى طويلاً، على تلقي هذا الفيض الغامر دائماً، يأتي المثل القريب المحسوس، يقرب مدى الأفق المترامي، إلى الإدراك البشري، فتتكون في كنف هذا النور المبارك، رؤية جديدة، شفافة سنية من خلال هذا المصباح في الزجاج الموقدة من زيت رائق سيال.

وإذ نحن ما نزال نرشف من منابع الضياء الإلهي الرحيم، الغامر، تنبثق أمام رؤانا صورة كاملة للكون يدعون إليها هذا النداء: الرحمن.

لا بل إنه إعلان عام في ساحة الوجود، وإعلام بآلاء الله الباهرة، في جميل صنعه، وإبداع خلقه، ومن ثم توجيه للخالق كلها إلى وجهه الكريم: الرحمن.

تبدأ السورة برين تتجواب أصداؤه في أرجاء الكون، لتدعو ليس الإنس فقط، بل الجن أيضاً مخاطبون هنا، ومدعوون إلى معرض الوجود، للتفكر في كل صورة من صورته: الرحمن. ويصمت الوجود، وينصت إلى ارتقاب الصورة البهية الآتية: علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان. الرحمن: 2-4.

هذه النعمة الكبرى، التي تتجلى فيها رحمة الرحمن بالإنسان «القرآن» الذي يفتح حواسهم ومشاعرهم على هذا الكون الجميل، كأنما يطالعهم أول مرة، فيجدد إحساسهم بوجودهم، الذاتي، كما يجدد إحساسهم بالكون من حولهم. ومن ثم قدم تعليم القرآن على خلق الإنسان فيه يتحقق في هذا الكائن معنى الإنسان، والإنسان ينطق، ويعبر، ويبين، ويتفاهم، ويدع فنونا شتى. وبطول الألفه، ينسى الإنسان عظمة هذه الهبة، وروعة هذه الحارقة، فيردنا

شارف على نهايته، فها هي ذي الشمس قد كُوتت،
وها هي ذي النجوم قد انكدرت، وها هي ذي الجبال
قد سَيرت، والعشار قد عَطَلت، والوحوش حُشرت،
والبحار سَجرت، والسما كُشِطت.. لقد وصلنا إلى
النهاية.

وإذ نحن قد بلغنا نهاية المعرض، وغاية المطاف،
قد يقول لي بعض الناس: لست ممن يستهويهم الفن،
وقد يقول بعض آخر: ليس لدي وقت كاف بين زحمة
الأعمال، والهموم، والمشكلات كي أتأمل وأرتاد هذا
المعرض بكل بهائه، وكماله... وهنالك فئة ثالثة قد
تقول: لم أتفهم جيداً ما أقدم في هذا المعرض.

أقول: إذا كان المعرض قد انتهى حقاً، فماذا تضم
هذه القاعة الموصدة، وأي لوحة تحوي؟ إنها قاعة
منفردة، مظلمة، موصدة، سيقف أمامها الكل،
وسيتعرقها الكل. ولا مناص من الوقوف أمامها، شاء
الجميع أم أبوا. هذه الغرفة تنتظر كل حي، بلوحاتها
المنفردة.. ف: كل نفس ذائقة الموت. الأنبياء: 35.

لوحة الموت، الكل أمامها سواسية، أقزاماً كانوا أم
عمالقة، أثرياء أم فقراء، جبارين أم ضعفاء.
كلا إذا بلغت التراقي. وقيل من راق. وظن أنه
الفراق. والتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذ
المساق. القيامة: 26-30.

إنها لوحة الاحتضار، يواجههم بها النص القرآني،
وكأنه يخرج من ثنايا الألفاظ ويتحرك. كما تخرج
ملاعج الصورة من خلال لمسات الريشة: كلا إذا
بلغت التراقي، حين تبلغ الروح التراقي، يكون النزاع
الأخير، وتكون السكرات المذهلة، ويكون الكرب
الذي تريغ منه الأبصار.

ويتلفت الحاضرون حول المحتضر، يتلمسون حيلة
لاستفقاذ الروح المعدية: وقيل من راق، لعل رقية تفيد،
ويتلو المكاروب من السكرات، والنزع: والتفت
الساق بالساق، وبطلت كل حيلة، وعجزت كل
وسيلة، ويظهر الطريق الواحد، الذي يساق إليه كل
حي في نهاية المطاف: إلى ربك يومئذ المساق.

إن اللوحة لتكاد تنطق وتتحرك، وكل آية ترسم
حركة، وكل فقرة تخرج لحة، وحالة الاحتضار
ترسم، وترسم معها مواجهة الحقيقة المرة التي لا دافع
لها ولا مرد، وفي الجو وجوم مطبق، وصمت أبكم.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تركت
فيكم واعظين: صامت وناطق. أما الناطق فهو القرآن،
وأما الصامت فهو الموت».

حتى تبلغ إحدى وثلاثين مرة. إنه سؤال للتسجيل
والإشهاد: كل من عليها فان. ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والإكرام. الرحمن: 26، 27. ها قد خفتت
الأنفاس، وخشعت الأصوات، وسكنت الجوارح،
وحط السكون بجناحيه الثقيلين على الكون، وليس
من باق سوى وجهه..

يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من
أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا
بسلطان. الرحمن: 33.

انتهى الاستعراض الكوني الذي واجهه الإنس
والجن، وأتى هذا الإطار المحكم المثين، فأغلق أرجاء
هذا المعرض؛ فلا نفاذ، ولا مناص حتى.. حتى يبدأ
عرض آخر يعمل في الخيال الذي يثبتته الوجد، فيعبد
باليقين.

ها هي ذي لوحة ذات لون أحادي حار قان: فإذا
انشقت السماء فكانت وردة كالدهان. الرحمن: 37.

إذا، هذه السماء الصافية الرائقة لن تبقى هكذا،
وسوف تأتي لحظة تطمس فيها معالمها، فيفقد التناسق
في الألوان والتوازن في الأجرام. وإذ بكل مخلوق يأتي
وقد حمل في جعبته فرشاته، وألوانه، ويرسم لوحة.
كان يعد لها طوال حياته. ونرى آنذاك حشوداً تحمل
سيماها معالم الشقوة، لهم صور فيها عنف وهوان،
وفيها نار تستعمر، وتفتح فاهها لا تعرف الشيع، ولا
ترتوي: يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي
والأقدام. فبأي آلاء ربكما تكذبان. هذه جهنم التي
يُكذب بها المجرمون. يطوفون بينها وبين حميم آن.
الرحمن: 41-44.

وهناك فئة أخرى، تبدو في سيماها، معالم النجاة
والرضى، إنهم في صور فيها ألوان من السعادة والترف
والرفاه لا قبل للإنسان بها: ولمن خاف مقام ربه جنتان.
فبأي آلاء ربكما تكذبان. ذواتا أفنان. فبأي آلاء ربكما
تكذبان. فيها عينان تجريان. فبأي آلاء ربكما تكذبان.
فيهما من كل فاكهة زوجان. فبأي آلاء ربكما تكذبان.
متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين
دان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. فيهن قاصرات الطرف
لم يطمثنهن إنس قبلهم ولا جان. فبأي آلاء ربكما
تكذبان. كأنهن الياقوت والمرجان. فبأي آلاء ربكما
تكذبان. الرحمن: 46-59.

لوحة تتفرق فيها الجداول، وتتعلق فوقها
الأغصان، فتمنح الأجواء ظلالاً ندية.. إنها لوحات
خالدة، في معرض أبدي لا ينتهي ولا يتوقف.
أما معرضنا هذا الذي نحن بصددده، فها قد

القرآن إليها، ويوقظنا لتدبرها. ثم يستطرد في بيان آلاء
الرحمن هذه اللوحة الشاملة: الشمس والقمر يحسبان.
والنجم والشجر يسجدان. الرحمن: 5، 6.

هذه صورة متكاملة التكوين والحركة من النجوم
والكواكب، والأشجار والزرع، وهي صورة فيها إشارة
إلى ارتباط الكون ارتباط عبيدية، بمصدره الأول،
وخالقه المبدع، فإذا الأشياء كلها والمخلوقات سواء،
تقف وقفة واحدة، والكل رفقاء وإخوان في رحاب
العبودية.

والسما رفقاء ووضع الميزان. ألا تطعوا في الميزان.
وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان. الرحمن: 7-9.

هذه الإشارة توجه النظر إلى هذا الفضاء السامق
الذي لا حدود له، وترتبط ربطاً حميمياً، ما بين النظر
والتأمل، والإبداع، وما بين الأخلاق. بل إن هذه
الإشارة توظف تأطيراً شاملاً كل صور هذا المعرض،
وتحدها ضمن إطار مترن دقيق.

خلق الإنسان من صلصال كالفخار. وخلق الجن
من نار. الرحمن: 14، 15.

وتدب الحياة في اللوحة بما فيها من مخلوقات،
وتطلق الريشة تعمل، فاللون الإنساني هو لون التراب،
والمارج هذه الشعلة التي تتفاوت ألوانها من أحمر،
فبرتقالي، فأصفر، وأحياناً أزرق أو أخضر.
رب المشرقين ورب المغربين. الرحمن: 17.

صورة تعرض في كل الفصول والشهور مع
اختلاف في ميل الشمس وشروعها، وبزوغ القمر
وأفوله، وما يطرأ على الكون في أثنائها من تبدلات. ثم
يغدق اللون الأزرق الفيروزي، بأسطاً مساحات مترامية
من محيطات وأنهار، وبحار وجداول في نظام كوني لا
يختل..

مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان.
الرحمن: 19، 20.

ويزيد بهاء اللوحة هذا التصوير للدرر والآلي،
والأشجار، والجزر المرجانية المتفاوتة الألوان من أصفر
برتقالي، أو أحمر قرنفلي، أو أزرق زمردني، أو أغبر
باهت: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. الرحمن: 22.
وبعد أن يأخذ الامتداد الأفقي غايته، يبرز العنصر
الشاقولي، فيوازن عناصر اللوحة: وله الجوار المنشآت في
البحر كالأعلام. الرحمن: 24.

وفي كل آية من آيات هذه السورة هنالك هتاف
للإنس والجن: فبأي آلاء ربكما تكذبان. الرحمن: 13،
16، 18، 21، 23، 25، 28. إلى آخر السورة، تتكرر

قراءة نقدية

الفن القصصي الخيالي

د. عبد الفتاح عثمان

القصة القصيرة فن تعبري
موضوعي له طبيعته الخاصة
وملامحه المميزة في اللغة
والشخصية والمعمار (التكنيك)
الفني.

فمن حيث طبيعتها نجد أنها تتناول
موقفاً معيناً أو جانباً في حياة
الشخصية يتسم بالتأزم والمفارقة
وتجاوز ما هو مألوف ومعتاد؛ ومن
ثم تتسم بالتركيز على العالم
النفسي الداخلي للشخصية،
وترصد الجانب المأساوي في
الحياة.

وتختلف
القصة القصيرة عن الرواية،
فليس فيها مجال للفضاء
السردي أو تتبع الحياة الكاملة للشخصية، أو
الامتداد الزمني لجيل أو أجيال متعاقبة، أو
الوصف المسهب للمكان والزمان، فهي
رصد مكثف لجانب واحد من حياة
الإنسان، وكشف لما هو غريب وشاذ فيها،
وذلك في مدة زمنية واحدة.

كما تختلف عن الشعر، فهذا تعبير ذاتي،
بينما هي تعبير موضوعي، وهو ابن الخيال
بينما هي ابنة الواقع، وكلما ظهرت
شخصية الشاعر في شعره كان ذلك أدل
على صدق شاعريته وجودة فنه، بينما
الكاتب ينبغي أن يتخفى خلف شخصياته
ويترك لها حرية الحركة والتعبير عن ذاتها
ورؤيتها للحياة.

واللغة في القصة القصيرة ينبغي أن
تكون موجزة مكثفة لا تحتل الحشو

والاستطراد، فكل كلمة فيها لبنة في المعمار
الفني تخدم الحدث وتطور الشخصية،
وتسمي الصراع الدرامي، ولذلك يوظف
القاص كل الطاقات الإيجابية والرمزية من
أجل إثراء الموقف وتعميقه بعيداً من التقريرية
والمباشرة الفجة.

والشخصية فيها غالباً ما تكون مركبة
ذات نتوءات نفسية بارزة، فهي مأزومة تتسم
بالتناقض والغرابة في سلوكها مع الآخرين،
وتتجاوز ما هو مألوف ومعتاد، فهم من
المغمورين أو المقهورين أو الخارجين على
القانون، أو الرافضين لسلوكيات المجتمع
وتقاليده.

أما السبك أو المعمار (التكنيك) الفني
للقصة القصيرة فهو أكثر صعوبة وتقنية،
نظراً لطبيعتها الموجزة المكثفة، ولذلك
يستعين القاص بأدوات فنية تساعده في
تحقيق غايته كالرمز والحلم والاسترجاع وتيار

الأولى ويأخذ طفلته بين أحضانه أمام دهشة الأم وفرحتها بعودة الغائب! ماذا تريد أن تقول الكاتبة؟ هل تريد أن تقول إن عاطفة الأبوة عند الرجل أقوى من عاطفة الحب لزوجته مهما كانت وفية له؟

هل تريد أن تقول إن المرأة تعيش دائماً في الظل سواء أكانت الأولى أم الثانية، فلا غاية له سوى إشباع غرائزه ونزواته؟ هل تريد أن تقول إن المرأة حين يتركها زوجها لا تملك إلا الحيرة والحزن والتساؤل والضيق! لقد تركت الكاتبة النهاية مفتوحة لكل هذه الاحتمالات.

وإذا تركنا مضمون القصة إلى شكلها الفني نجد أن الكاتبة قامت بدور الراوي للأحداث، واستخدمت ضمير الغائب مقتحمة العالم النفسي للشخصية لتتحدث نيابة عنها، ولو وظفت ضمير المتكلم هنا

رجالاً ونساء، هما: المرأة والرجل.. والبحر والإنسان.

إن هذه الثنائية تمثل قاسماً مشتركاً بين معظم الكتاب إن لم يكن كلهم!

وقصة «أنامل على الأسلاك» للكاتبة شيخة الناحي (صدرت لها مجموعة «الرحيل» ومجموعة أخرى قيد الطبع) ترصد الثنائية الأولى: الرجل والمرأة. والنموذج الذي اختارته هو المرأة الزوجة. والزوجة موضوع أثير عند الكاتبات المواطنات، وهي في نظرهن إنسانة مقهورة مغلوبة على أمرها مستسلمة للزوج، أما الرجل فهو القاسي الخائن الذي يتسم بالأنانية والرغبة.

نجد ذلك عند سلمى مطر سيف في «النشيد وعشبة»، كما نجده عند أمينة بوشهاب في «هياج»، وعند ليلي أحمد في «المسافة».

الوعي وحديث النفس أو المناجاة الداخلية (المنولوج) والحوار (الديالوج) الخارجي، وتكثيف اللغة بتوظيف أقصى طاقاتها لإيجابية والتصويرية بعيداً عن الاستطراد والحشو.

وقد ظهرت القصة القصيرة في دولة الإمارات العربية متأخرة عن مثيلاتها في مصر والشام والعراق نصف قرن من الزمان، حيث كانت البدايات الأولى في السبعينيات ثم نمت وازدهرت في الثمانينيات؛ فبرز عدد كبير من القصاصين في وقت واحد، نذكر منهم: محمد المر، وعبد الحميد أحمد، وعلى الشرهان، وعلي أبو الريش، وإبراهيم مبارك، وناصر جبران، وحارب الظاهري، وناصر الظاهري.

كما برزت كوكبة من الكاتبات هن: شيخة الناحي، ومريم جمعة فرج، وسلمى مطر سيف، وأمينة بوشهاب، ويلي أحمد، وظبية خميس، وصالحه غباشي، وسارة النواف.

وهي ظاهرة فريدة، فإذا قارنا عدد القاصات بعدد السكان نجد أن الإمارات قد انفردت بهذه الوفرة في عدد الكاتبات!

المرأة والرجل.. والبحر والإنسان

والقصة القصيرة في دولة الإمارات ذات طابع واقعي بحت، فلا نجد فيها القصة التاريخية، أو الأسطورية، أو الفانتازيا بتهاويلها السوداوية، أو الرومانسية المسرفة بحكم صرامة التقاليد واحترام قيم المجتمع! غير أن الواقعية قد تتجه إلى الماضي تلوذ به من الحاضر، حيث نجد فيه المثل والأصل والبراءة والبطرة، أو إلى الحاضر تعايشه وتنفع به وتعبر عن إيجابياته وسلبياته بوصفه رمزاً لمرحلة ما بعد النفط.

والقصص التي نقرأها تجمع بين الحنين إلى الماضي والبكاء على أطلاله، والاعتراف بالحاضر والتجاوب مع منجزاته.

وهي تعالج محورين أساسيين استقطبا اهتمام كتاب القصة في الإمارات العربية

القصة القصيرة في الإمارات ذات طابع واقعي بحت ..

والواقعية فيها تتجه إلى الماضي تلوذ به ، أو إلى

الحاضر تعايشه وتعبر عن إيجابياته وسلبياته

وأفصحت الشخصية عن نفسها في منولوج داخلي لكان أجود! واعتمدت الكاتبة على الوصف السردي فلا نجد حواراً خارجياً سوى بين الطفلة وأبيها، وهو حوار مقتضب. كما أن تطور الأحداث لم يكن منطقياً معللاً، فلماذا أمسكت الطفلة بالأسلاك لخطاب أبيها، وما سر التحول من جانب الطفلة ومن جانب الأب.

والقصة تخلو من الصراع الدرامي، فليس فيها حركة، وإنما اللغة بطبيعتها الوصفية هيمنت على المشاهد كلها.

والشخصيات في القصة محدودة، وهذا لا بأس به، لكن الشخصيات رُسِمَتْ كأنها شخصيات تجريدية، فليس لها ملامح

شيخة الناحي.. والرحيل!

أما الفتاة قبل الزواج فهي مقهورة من أهلها ممثلين في الوالد الفظ، نجد ذلك عند شيخة الناحي في قصتها «الرحيل»، وعند سلمى مطر سيف في قصتها «ساعة وأعود». إن شيخة الناحي ترسم شخصيتها مستخدمة ضمير الغائب: ضعيفة مستسلمة مقهورة، حيث تركها زوجها إلى أخرى وهي لا تملك إلا التساؤل لماذا تركها وما مصير طفلتها؟ وماذا تقول لها عندما تكبر؟

ولكن - ومصادفة بحتة - ترفع الطفلة أسلاك الهاتف لتحادث والدها الذي سرعان ما يستجيب لنداء الأبوة بعد صراع ضعيف لم يستمر طويلاً، إذ يطرق بيت زوجته

«مناكير» لإبراهيم مبارك

إبراهيم مبارك كاتب يهتم بالثنائية الثانية: الإنسان والبحر!

لقد قرأت له مجموعة «طحالب» فوجدت أن معظم قصصها تدور أحداثها في البحر: عاشق البحر، شتاء - النورس، الطحلب، بينما بقية قصصه تتحدث عن السفر والغربة ووسيلتهما البحر أيضاً!

وفي هذا الفضاء المكاني تتجلى رغبة إبراهيم مبارك العارمة في تصوير الصراع بين الخير والشر، بين الذين يريدون الحياة والذين يريدون أدها. بين المسالمين البسطاء الذين ينشدون السلام وأصحاب المناكير والخالاب الذين يريدون الفتك بالبشر!

فقرية الصيادين الوادعة الساكنة في أحضان النهر يعيش أهلها في دعة وسلام، يجاهدون في سبيل الحصول على رزقهم،

خاصة، وليس لها أسماء، وليس لها سمات نفسية، وهذا ما يجعل منها شخصيات أقرب إلى التجريد منها إلى الواقع الحي.

وربما قصدت الكاتبة أن تقدم نماذج لا أفراداً بأعيانهم!

أما اللغة في القصة فهي متباعدة المستوى، فهي تقريرية في بعض الوصف السردي، شعرية في بعضه الآخر، حيث تلجأ إلى التصوير الفني كقولها في وصف عالم الزوجة: «كل ما حولها تحول إلى سراب، إلى لوحة باهتة. بالأمس كانت الفرحة تلف سماء حياتها وتلاعب أوتار قلبها».

وقولها في وصف مشاعر الطفلة: «تنسج أحلامها الطفولية صفائر طويلة ترسم خطوطاً على جدران قلبها الصغير.. ذاك القلب الذي يشتاق إلى لمسه حنان من الوالد، ويبت تحلق فيه أجنحة الدفء والحنان».

وبجانب هذا الأسلوب الاستعاري نجد التشبيه كقولها في وصف مشاعر الزوج: «تسارعت دقات قلبه وهو يستمع إلى صوتها ينساب عبر أسلاك الهاتف كأن نغماً حلوا دأب أعماق نفسه، أحس كمن أفاق بعد سبات عميق».

وقد راوحت الكاتبة بين الجملة الحيرية والجملة الإنشائية ممثلة في الاستفهام الذي يعبر عن الحيرة والقلق، حيث تدخلت الكاتبة نيابة عن الشخصية بهذه التساؤلات: «هذه الطفلة التي تحملها بين أحضانها، ما ذنبها؟ ثم ماذا ستقول لها حين تبدأ شفتها الصغيرتان في ترديد كلمة أبي؟ هل ستعرفها بالحقيقة؟ وهل ستقول لها إن أباك لم يعد يريدك؟ وهل؟».

وهناك ظاهرة التكرار وثنائية الجمل كقولها: «واختارها شريكة عمر ورفيقة حياة»، وقولها: «وعادت إلى بيت أهلها كسيرة القلب حزينة النفس»، وقولها: «حين توارد إلى سمعها خبر زواجه تأملت»، وقولها: «فملأت عليها حياتها فكانت بلسماً لجراحها وواحة لقلبها».

فيندفعان لقتال الغربان، وبعد شهور يعلم أهل الجزيرة بموتهما مع مجموعة من الغربان!

لقد وظف إبراهيم مبارك الرمز في قصته، ولكنه الرمز الشفيف البعيد من الغموض والتعقيد، فالأشجار الطغاة رمز لهم بالغربان المتوحشة ذات المناكير، وجعل من المناكير عنواناً، وهي غادرة تطعن في الظهر والجنب: «قال عجوز نذبت ظهره وجبينة المناكير». وهي عدوة للحياة؛ لأنها تهاجم البشر والحيوان وكل ما يدب على الأرض. ورمز للمستقبل بميلاد طفلة، وجعلها بنتاً؛ لأنها ينبوع العطاء والبراءة، ورمز للماضي بالجد.

وقد وظف الطبيعة لتشارك الشخصيات وترهص بالأحداث وتدل عليها. ففي وقت السلام والأمن تكون «السماء

تراوحت الأساليب في القصة الإماراتية بين الواقعية التقريرية، والأسلوب الشعري بشفافيته ورقته وثرأ لغته

صافية والأمواج تتلاعب بالقوارب الصغيرة على الحائط الحجري».

وقبل أن تظهر الغربان أنذرت الطبيعة «جاءت غيمة سوداء - لنفطن هنا إلى الرمز بالغيمة السوداء - مع السحب عندما نظروا جيداً شاهدوا موجات هائلة من الغربان».

وعندما انبعثت الرغبة في المقاومة والانتقام بكل ما تحمل من مخاطر أفصحت الطبيعة: «كانت السماء لا تزال ملبدة بالغيوم وطيور النورس تحلق عالياً. أهل البحر يدركون أن تخليق الطيور في قبة السماء نذير بأن رياحاً عاتية سوف تأتي من البحر».

وحيثما انتصرت إرادة التحدي عند العجوز وحفيده نجد هذا الرمز «أطلت في

وبينما هم في البحر تأتي البشارة من الأطفال بمولد بنت وضعتها زوجة صابر الذي صبر في انتظارها طويلاً، وفي الوقت الذي جاءت فيه البشارة تظهر الغربان لتسرق الفرحة، ولتنشر الفرز والرعب، حيث تهاجم البشر والحيوان وكل ما يدب على الأرض».

وقد قاوم سكان القرية الغربان المنقضة، ولكنها بأعدادها الهائلة وانقضاضها المتوحش تغلبت على الرجال، واحتلت الجبال المحيطة مما جعل الصيادين يرحلون في ألم وانكسار!

ولكن المقاومة لم تستلم ممثلة في العجوز - رمز الماضي - وحفيده - رمز المستقبل -

الفن القصصي الزماناني

بقي شيء واحد ظل كما هو «النخلة كما هي ما زالت صامدة رغم احتراق جذعها فخصوص جريدها بلونه الأخضر لم تمسه النار...».

ولكن يمعان اللصلي بعد هذه المغامرة المخاطرة لم يستطع أن يفارق البحر أو تزياله رائحته، حتى «علياء بنت النوخدا محمد تدخل حاملة صينية الفطور شممت من ثوبها رائحة البحر».

ولكنه يعود هذه المرة مزوداً بتصيحة أمه: «احذر أن تحمل شيئاً آخر... لا تريد سوى السمك غذاء لنا وغذاء للطيور».

ونصيحة الرجل المسن رمز الخيرة والترية والماضي: «يمعان احفر حفرة عميقة وأخف المادة الخطرة في باطن الأرض... لا عليك يا بني شدة وتزول».

لقد وظف ناصر جبران المفردات الحسية للبيئة المحلية بكل تجلياتها: مياه الخليج، الرمال المتكومة، الخيمة، الحوش، الجدار الحجري، السدرة، الظلال، البيت البسيط، استراحة الظهيرة، والأسماء بغرابتها: يمعان اللصلي، عبود المروي؛ ليُكوّن منها لوحة ترتبط بالماضي وتحن إليه؛ فهو رمز للنقاء والفطرة والحياة الطبيعية، والخروج عليها بجلب الغريب هو الخطر بعينه، ولكن هذا الخطر الداهم الذي أحرق كل شيء كشف عن قيمتين ثابتتين هما: النخلة التي بقيت فروعها خضراء، ووحدته الناس في مواجهة الشدة بمن فيهم عبود المروي!

هل يرى ناصر جبران أن السلام يكمن في سلوك ما هو مألوف؟ هل يرى أن الصفيحة الغريبة هي ثروة النفط التي تحمل معها أخطار الحضارة المادية الحديثة؟ ويقوي هذا الرمز أن الأرض قد اشتعلت بالنار داخل الخيمة، وأن النار لا ترحم فلم تترك

«نافورة الشظايا» يطغى الأسلوب الشعري بشفافيته ورقته، ففي بداية قصصه تطالعنا قصائد منشورة، ففي المشهد الأول من سياج.. يقول: «أشرقت الشمس كما لو أنها خارجة لتوها من حمام بخاري، طافحة بالنور صافية جميلة بعد احتجاب دام ثلاثة أيام متتالية، كانت السماء فيها ملبدة بغيوم غيث مدرار اغتسلت منه الأرض، حيث ارتوت وفاض خيرها واستفرغت حيات رملها فضلات سموم البشر، في هذا اليوم الصباحي الحالم...».

وفي مقدمة قصة «شيء ما في غير مكانه» نقرأ: «الليل نافذة لروح تشتعل مصلوبة على زجاجها، والستائر الزهرية تفجر الجراح ولا شيء غير الكلمة، وشارع ترف أنواره من بعيد، تطلعت لفراغ النافذة.. دنت من إطارها، التصقت ببلورها الشفاف.. شعرت بفرح الأشجار المسدلة على جذوع شامخة، تقف هناك على امتداد الرصيف منشرحة لنسائم ليل بهي».

إن ناصر جبران يتعامل مع بيئته المحلية بروح شاعر يتغنى بنقاء الفطرة، ويمجد الفرحة البريئة، ويرصد السعادة التي تتفجر من أصوات الصبية «أصوات لفظنا وقهقهاتنا المناسبة تصل طارقة آخر بيت في الحي ندية كأجسادنا المبلولة».

ولكن هذه السعادة الغامرة سرعان ما تتلاشى حين يأتي هذا الشيء الغريب إلى الخيمة مثلاً في صفيحة لفظها الخليج فحملها يمعان اللصلي من دون أن يعرف مصدرها أو يدرك ما فيها، وكان قدومها هو الشؤم بعينه، فلقد اشتعلت الأرض بالنار، وقدمت الشرطة للتحقيق، وتجمهر الناس الذين تعاونوا في إطفاء النار وكانوا موضع مساءلة من الشرطة، حتى «عبود المروي المسكين الذي لا هم له سوى جلب الماء، والعيش على كد حمارة الهزيل».

لقد احترق كل شيء في الخيمة ولكن

الأفق البعيد قباب المآذن والأبراج»، وبذلك وظف إبراهيم مبارك الطبيعة للتعبير عن اتجاهات الأحداث والإرهاص بها.

اللغة في القصة يغلب عليها طابع السرد الوصفي، ويستخدم الكاتب ضمير الغائب ليقوم بدور الراوي والإمسك بخيوط الأحداث، وعلى استخدام الرمز نجد الكاتب لجأ إلى أداة فنية أخرى هي التشبيه «كم هي عظيمة المرأة ينبوع العطاء الذي لا ينضب»، «طارت القلوب فرحاً واهتزت كاهتزاز سعف نخيل عندما تداعبه ريح الجنوب»، «شيء في الرأس يدور كدوران محرك سفينة تمخر عباب الماء». وهناك تشبيه لم أسترح له وهو قوله: «ولكن الأعداد الرهيبة والمهولة التي كانت تغطي سماء الجزيرة والجزر المجاورة تنقض عليهم كالخلم».

فالخلم لا يوحي بالقسوة والعنف، وكان الأفضل أن يقول كالكابوس، أو يصف الحلم فيقول كالحلم الثقيل.

ناصر جبران

«شدة وتزول»

ناصر جبران واحد من الأدباء القلائل الذين استطاعوا أن يجمعوا بين الإبداع الشعري والإبداع القصصي، فله ديوانان من الشعر هما: «استحالات السكون»، و«ماذا لو تركوا الخيل تمضي». وله أيضاً مجموعتان قصصيتان هما: «ميادير» 1989م، و«نافورة الشظايا» 1993م.

وعلى ذلك استطاع أن يقيم توازناً صعباً بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، بين ما هو وليد الخيال وما هو وليد الواقع! وإن كانت الصلة حميمة بين القصة القصيرة والقصيدة فهما أقرب الأجناس الأدبية الواحد إلى الآخر، حتى إنه ظهر حديثاً ما سمي القصة القصيدة والقصيدة القصة!

وفي قراءتنا لمجموعة «ميادير» نجد اللغة الواقعية التقريرية تغلب عليها، بينما في

الفن القصصي الشرهان

لقد استخدم الكاتب ضمير المتكلم ليفسح المجال أمام الشخصية كي تفصح عن عالمها الداخلي الخاص، وتبوح بمعاناتها، كما استخدم الوصف السردي الذي يتماشى مع الأحداث صعوداً وهبوطاً، حيث تبلغ قمته حين تنثور العواصف ويغضب البحر، ثم تهدأ ليعود إلى أهله، ثم تكون الذروة في لحظة انتزاعه من بين أولاده!

إن القصة كما فهمنا من الحكاية ذات طابع واقعي ترصد مأساة الإنسان البسيط، فهي تخلو من الرمز، ولا تتكئ على التصوير الفني كالتشبيه والاستعارة، بل تكاد تخلو منهما تماماً، ولكن الظاهرة اللغوية عند علي الشرهان أنه استطاع أن يوظف اللغة توظيفاً جيداً. فهي تمثل المعاني بإيقاعها الزمني، حيث تكون الجملة قصيرة في لحظات التوتر والقلق، ولذلك تتدفق كأنها قلقة مذعورة هي الأخرى، ففي وصف مشهد ثورة الأمواج، وعنّف الريح تبدو الجمل هكذا: «الصمت المميت، الترقب، القلوب في خفقان مستمر، سلسلة الأحلام التي في ذهن كل منا اضمحلت واختفت. درجة الأمل قلت... لم يعد إلا اليأس، العيون تراقب. الأذان ترصد، وفجأة حدثت العاصفة». وقوله: «لم نعره اهتماماً.. نتألم.. سيطر الفزع. السواعد الضعيفة ممسكة بقوة في كل جهة.. هدأت الريح. استقر البتيل. هدأت الأمواج الثائرة».

ولذلك تبدو اللغة ذات حيوية وحركة وقدرة على تصوير الصراع الدرامي، ونقل الخلجات النفسية في أفراحها وأتراحها. وقد اختار الكاتب قالب الكلاسيكي التقليدي من حيث بداية الأحداث ونموها وتطورها، ونجح في نقل شعوره بالتعاطف الإنساني مع المقهورين المغموين!

وهي، في مواجهتها للطغيان، لا تملك سوى الاستسلام من أجل لقمة العيش، أو التضحية بحياتها. ففي قصة «عاشق الجدار القديم» نجد أن أبا عبدالله دفع حياته ثمناً للانتقام من الوحش الذي أحرق بيته بمن فيه وما فيه، ولم تبق من ذكره سوى كلمات على الجدار القديم لتذكير الأجيال بتضحياته، ومبارك الذي يلوذ بالجدار حتى وصف بعاشق الجدار القديم..

أما قصتنا هذه «وداعاً يا أحبابي»، فالبطل مجهول الاسم؛ لأنه نموذج لكل إنسان، بسيط مقهور لا يموت موتاً حسيماً، وإنما يموت موتاً معنوياً كل يوم في رحلته، حيث النواخذة الفظ الغليظ القلب بأوامره الصارمة التي تخلو من كل روح إنسانية وأخطار العواصف، وغضب البحر، ولكن ذلك كله يهون حينما يعود إلى أهله حاملاً الملابس الملونة لزوجته والعب لأطفاله، ولكن حين ينجو من العاصفة وغضبة البحر ويلقى أسرته وينسى أحزانه، ويرى الفرحة مرتسمة على الوجوه، ويحس دفء الأسرة؛ يأتي النواخذة في فظاظه ليأمره بالاستعداد للرحلة القادمة إلى الهند، وحين يفكر في صعوبة ترك أولاده وفراق زوجته يهدده النواخذة بقطع رزقه، فلا يملك سوى التنفيذ مطلقاً كلمته: «وداعاً يا أحبابي».

ويجسد الكاتب هذا المشهد المأساوي بتهويله الحزينة «ووسط بكاء بالغ وضعت وجبة العشاء في حقيبة السفر.. جففت دموعها ودموع الأولاد البرية. ودعتهم بقبلات حارة... خرجت من المنزل بخطوات ثقيلة. وقفت بالباب قليلاً سادني تفكير بالعدول عن الذهاب لكن لقمة العيش قررت الرحيل، غبت عن المنزل، بكاء الوداع يملأ الدار، يتفجر قلبي ألماً.. فردت الشراع اتكأت على حافة البتيل سددت نظرات الحزينة إلى الشاطئ الذي يستعد وسط الظلام، وتوارى البتيل في الأفق البعيد، مع ذكريات العودة رحلنا».

شيئاً سوى النخلة رمز التراث العربي المستقر.

لقد صيغت القصة بضمير المتكلم الذي يفصح عن الشخصية، وجمعت بين الوصف السردى والديالوج الخارجى، وكُتبت بلغة واقعية تقريرية مباشرة: «بعد أن فرغنا من تناول الغداء مددنا حصيرتنا الصغيرة في الظل المنحدر بطيخاً من بيت الجار النواخذة محمد».

«ألقيت السكين جانباً وتوجهت إلى البئر حاملاً فانيلتي، أسقطتها عند قدمي، وقفت على لوح مربع، اغتسلت بالماء البارد ثم عصرت إزاري واستبدلته بآخر رجعت إلى حيث كنت».

وهذه العبارة الأخيرة تؤدي غير معناها إذ إن الباء تدخل على المتروك والصحيح استبدلت به آخر.

لقد صدق في ناصر جبران ما كتبه عنه أحد النقاد حين قال: «يذكرنا ناصر جبران أن القصة القصيرة هي فن الإنسان الصغير وقد جرفه نثر الحياة اليومية وتفصيلها واعتياديتها، كذا يحاول ناصر أن يعيد إلى الإنسان الصغير شعرية التي فقدتها في عالم النثر اليومي، أي أحلامه وذكرياته وأمئلته وطفولته المفقودة، وروابطه العاطفية والروحية والاجتماعية الممزقة في رحي السوق وقوانينه».

علي الشرهان

«وداعاً يا أحبابي»

يملك الدكتور علي الشرهان إحساساً إنسانياً عميقاً يدفعه لاختيار شخصياته من المقهورين الذين يواجهون قوى أكبر منهم؛ تسرق منهم فرصة الحياة وتطفئ جذوة الأمل في نفوسهم، وتقتل فيهم الرغبة العارمة في الإحساس بالأمن والسلام.

وهذه الشخصيات المقهورة تعيش بيننا ولكنها مغمورة تعيش في منطقة الظل.

المُعَيَّلُ الْإِسْلَامِيُّ

في النقد الأدبي

د. عبد الرحيم الرحموني

إجادة الكتابة أو التأليف (2).
وإذا كان هذا هو شأن القارئ العادي، فإن الناقد بوصفه قارئاً متخصصاً وعلى درجة أعلى من الشّمكن، سيكون يمتلك رؤية إسلامية واضحة المعالم فيما ينقده. ولذلك سنقف في هذا المقال المتواضع عند الجاحظ بوصفه أحد أعلام النقد العربي ومؤسسيه، وكان له أثره في توجيه النقد الأدبي وجهة إسلامية من طريق اعتماده على تصور نقدي يقوم على الوسطية في كل شيء. وبالطبع ليس غرضنا في هذا المقال الكشف عن أسس هذا التصور الوسطي أو بيان تفصيلاته، كما أننا لن نتحدث عن الجوانب الشكلية في نقده، لأن هذه القضايا واسعة وعريضة ولا يمكن الإحاطة بها في مقال محدود، ثم لأن هذه الجوانب مبنية على البيان الذي يتربع على قمة هرمه القرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما صرح بذلك هو، ولذلك فهي مستقاة من أسس إسلامية. ولكننا سنقف عند بعض الإشارات المضمونة لأن المضمون يكاد يشكل جوهر المشكل ولَبَّيه في إسلامية النصّ الأدبي أو لا إسلاميته، قاصدين بذلك إثارة الانتباه إلى أن النقاد العرب قد تمثّلوا الرؤية الإسلامية تمثلاً كاملاً في أعمالهم، وأن هذه الرؤية لم تكن غائبة عنهم كما يدعي أصحاب الأهواء حتى عند أكثرهم تحراً وعقلانية ورفضاً لكل ما لا يتفق مع التفكير الواقعي والعقلي. ولذلك سنحصر القول بالتحديد في ما غاب أبو عثمان الجاحظ على بعض الشعراء الذين خاضوا في موضوعات انتقصوا فيها من مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم أو آله وصحبه، أو تعرّضوا فيها لقضايا خلقية أدخلتهم في العصيان والجهود، أو نالوا فيها من بعض الأخلاق العامة وقواعد الفطرة الإنسانية؛

إنّ المتتبع للمراحل التي قطعها الأدب العربي ونقده يدرك بكل وضوح أن المنطلقات الإسلامية كانت تشكل أساساً مهماً في كل خطوة من خطوات الإبداع والنقد، وهو نتيجة طبيعية لما كان يتسم به المتلقي (السامع / القارئ) المسلم من تشبّع بالروح والتصورات الإسلامية، فكان يستحسن ما هو مُستحسن من الوجهة الإسلامية ويستقبح ما هو مُستقبح من الوجهة الإسلامية أيضاً. أسوة بما كان يفعله المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان يستنشد الشعراء وينشدونه، فيستحسن ما هو حسن ويشجع عليه، ويرفض ما هو قبيح ويوجه صاحبه نحو ما هو أحسن (1).

يلاحقونه بالتصحيح والتوجيه، والرفض أو القبول، والاستحسان أو الاستقبح.

التصور الوسطي للقارئ والناقد

وأكبر دليل على ذلك ما نجده في كتب الأدب والنقد من نصوص تثبت هذا الاتجاه، وتبين أن الإسلامية كانت المعيار الأساس الذي كان ينطلق منه أغلب الأدباء والنقاد، بل الملقون العاديون الذين كانت تصدر عنهم في مجالسهم العامة أقوال في صورة أحكام أو توجيهات موجهة إلى الأدباء، وخاصة الشعراء، وتعد من صميم النقد. ومن الطّريف أن يلاحظ أن كثيراً من الأدباء - والكتّاب عموماً - كانوا يأخذون بعين الاعتبار ذلك المتلقي العادي فيما يكتبونه، حتى إن بعضهم خصّص فقرات مطوّلة ومتعددة من كتبه للحديث عن القارئ وأهميته بوصفه ناقداً متتبعا له دوره في

و سن المؤكد أن درجات هذا الاستحسان والاستقبح تتفاوت من مُتلقٍ إلى آخر تبعاً لتكوينه الثقافي، ولكن مع ذلك تبقى رؤيته متمثلة للروح الإسلامية بشكل عام، لأن المعالم الدينية المرسومة منذ عهد النبوة لم تنطس معالمها على مرّ العصور والأجيال. وإذا كانت القراءة - أي قراءة - تعد في الغالب العتبة الأولى التي تُمكن من الدخول إلى كل مجال نقدي - لأن النقاد قراء من طبقة خاصة من جهة، ويمتلكون أيضاً رؤية إسلامية من جهة ثانية -، فإن الإنتاج النقدي الذي وصل إلينا من أسلافنا العرب المسلمين، لاشك في أنه كان يعتمد رؤية إسلامية في التصور، ويمكن أن يقال الشيء ذاته عن الأديب أو المبدع الذي كان يعيش في المحيط الإسلامي، فلقد كان بدوره ذا «رؤية إسلامية» يُخضع «لها» ما يقوله، لأن «القراء» النقاد كانوا

ككرامة الإنسان والبير بالوالدين، فكانت موضوعاتهم بذلك لا تستجيب للقيم الإسلامية والمعايير الخلقية. وفيما يلي بعض التفصيل لذلك:

1- مدح الرسول صلى الله عليه وسلم: مما هو معروف أن العديد من الشعراء قد مدحوا الرسول صلى الله عليه وسلم سواء في حياته أو بعد مماته، اعترافاً منهم بمكانته صلى الله عليه وسلم وبفضله وشرفه، لكنهم في الوقت ذاته كانوا متبهنين إلى ما حذر منه عليه الصلاة والسلام من وجوب مراعاة الاعتدال وعدم إطرائه كما أطرت النصارى المسيح عليه السلام (4). ولذلك فإن كل مديح لايراعي هذين الشرطين، ويسقط في الإفراط أو التفريط غير مقبول.

ومن هذا المنطلق عاب أبو عثمان الجاحظ على الكُميت مديحه للرسول صلى الله عليه وسلم في بانيته المشهورة، بحكم أن المعاني التي تضمنتها هذه الأبيات عامة مشتركة بين الناس جميعهم، وليس فيها ما يخص مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بُعث هادياً ومبشراً ورحمة للعالمين ومتصفاً لمكارم الأخلاق. ومن ثم لم يكن قول الكُميت في نظر الجاحظ مصيباً، بل كان أقرب إلى العي والحقد وأبعد من البيان والتعقل، وهذا ما يبدو في قوله: «ومن غرائب الحمق المذهب الذي ذهب إليه الكُميت بن زيد في مديح النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول:

فاستعبت الشوق من فؤادي والشعر

مر إلى من إليه مُعْتَبُ إلى السراج المنير أحمد لا

تَعْدِلْنِي رَغْبَةً وَلَا رَهْبُ عنه إلى غيره ولو رفع النَّا

س إليّ العيون وارتقبوا وقيل أَفْرَطْتُ بَلْ قَصَدْتُ وَلَوْ

عَنَفْنِي الْقَاتِلُونَ أَوْ ثَلَبُوا إِيْلِكَ يَاخِيرُ مِنْ تَضَمَّنْتَ الْأَرْ

ض وَلَوْ عَابَ قَوْلِي الْعَيْبُ لَجَّ بِتَفْضِيلِكَ اللِّسَانُ وَلَوْ

أَكْثَرَ فَيْكَ اللَّجَّاجُ وَاللَّجْبُ فَمَنْ رَأَى شَاعِراً مَدَحَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فاعترض عليه واحد من جميع أصناف الناس حتى يزعم هو أن أناساً يعيبونه ويثلبونه ويعنفونه؟

ولقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم فما زاد على قوله:

وَبُورِكَ قَبْرُ أَنْتَ فِيهِ وَبُورَكَ بِهِ وَلَهُ أَهْلٌ بِذَلِكَ يَثْرَبُ

يعني قبر النبي صلى الله عليه وسلم ... لقد غيبروا براً وحزماً ونائلاً

عشية واره الصفيح المُنْصَبُ وهذا شعر يصلح في عامة الناس (5).

أبو نواسٍ كان يستحق القتل يبدو في هذا النص الذي انتقى فيه الجاحظ بعض

أجود مدائح الكُميت لرسول الله صلى الله عليه وسلم (6) التطبيق العملي لنظرية الجاحظ في البيان التي حثَّ فيها على وجوب جعل المقال مناسباً للمقام، وأن تكون المعاني على حسب أقدار الناس، فالرسول الأكرم صلوات الله وسلامه عليه يتميز من غيره من البشر بكثير من المزايا والخصائص التي ينبغي أن تراعى في مدحه، ولا عذر لمن لم يفعل ذلك، كما أنه لا عذر لمن مدح شخصاً من عامة الناس، وأضفى عليه صفات كان الرسول الكريم أحقُّ بها، كما فعل أبو الحلال في مثنوية يزيد بن معاوية حين قال:

يا أيها الميت بحوارينا

إِنَّكَ خَيْرَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ فهذا من المديح الذي يَقْبَحُ كما قال أبو عثمان (7)، مثله مثل مديح الكُميت السابق الذي عدَّه حمقاً وخطأً، لأن الكُميت قرط في مدح خير البرية عليه أفضل الصلاة والتسليم، وأبا الحلال أفرط في رثائه ليزيد حينما جعله خير الناس أجمعين، مع أنه لا يستحق مثل هذا الرثاء. وكل من الإفراط والتفريط بعيد من الوسطية المبدأ الإسلامي المعروف.

ومما يلحق بهذا الباب، أن يُذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع من لا يستحق أن يُذكر معه أو أن يُفضل عليه أحد. ولذلك انتقد الجاحظ أبا نواس في غلوه الذي طبع بعض أشعاره حينما لم يراع فيها مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى إنه كان يستحق القتل لأقواله تلك. قال: «وأما أبو نواس فقد كان يتعرض للقتل بجهده، وقد كانوا يعجبون من قوله:

كيف لا يدينك من أمل من رسول الله من نَفَرَه

فلما قال: يا أحمد المرتضى في كُلِّ نَائِبَةٍ

فم سيدي نَعَضَ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ غَطَى هَذَا عَلَى الْأَوَّلِ. وهذا البيت مع كسفه

مقيت جداً، وكان يكثر في هذا الباب (8). وواضح أن هذين البيتين منافيان للخلق

الإسلامي والتصور الصحيح، ومن حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن

يُضاف إليه لا أن يُضاف إلى أحد. كما أن المجاهرة بفعل

الكبائر إقرار بوقوعها، وتستوجب إقامة الحد.

ولذلك عَبرَ أبو عثمان عن خسارة الأبيات

وسماحتها التي لا ترقى إلى المستوى الفني شكلاً

ومضموناً. وإذا كان أبو عثمان قد عاب علي أبي

نواس هذه الأبيات وعدَّ ذلك منه

كُفْراً، فإنه وقف من شعره الزُهدي موقف المستحسن المستجيد حينما قال: «لأعرف من كلام الشعراء كلاماً هو أرفع ولا أحسن من قول أبي نواس:

لله در الشيب من واعظ وناصح لو قِيلَ النَّاصِحُ

يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتِّبَاعَ الْهَوَى وَمَنْهَجَ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحٌ

من اتقى الله فذاك الذي سبق إليه المتجر الرابع (9).

لاشك أن قول أبي نواس هذا قد قاله بعد توبته، ومن ثم اكتسبت المعاني التي تضمنتها هذه الأبيات أهميتها وقدرها في رؤية الجاحظ، إذ إنها قد عبرت تعبيراً حقيقياً واقعياً عن حياة رجل انغمس في الملذات المحرمة انغماساً كبيراً، وصحاً من غفلته وتاب توبته، فكان قوله هذا يقطر ندماً وحسرة، وتعبيراً صادقاً عما يختلج في صدره. وكما نعلم فإن صدق التعبير عن النفس من أسْمَى مقومات الجودة في النص الشعري، ولذلك لم يجد أبو عثمان - الذي لاشك أنه على علم بالتحول الذي طرأ على سلوك أبي نواس - بُدْاً من التعبير عن إعجابه بشعره هذا، الذي يختلف عن البيتين السابقين شكلاً ومضموناً، جملة وتفصيلاً.

2 - مكانة آل الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه: لقد دأب المسلمون على احترام آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، لمكانتهم من المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولسابقتهم في الإسلام وبلائهم في الدعوة إلى الله تعالى، ثم قبل ذلك وبعده لما ورد في هذا الباب من آيات وأحاديث (10).

شعر ليس في ذكره شرف لكن بعض الشعراء الذين كانوا يدينون بالولاء

لفرق منحرفة ويذودون عنها، لم يلتزموا هذا التوجيه، فتعرضوا في أشعارهم إلى ما لا يليق بالمسلم

من تهجم على بعض الصحابة أو أمهات المؤمنين، كما فعل الشاعر السيد الحميري، ولذلك انتقد

الجاحظ سلوك هذا الشاعر المنحرف، ولم يقبل منه تهجمه على أم المؤمنين

عائشة وكبار الصحابة رضوان الله عليهم وعدَّ ذلك ابتعاداً

من السلوك القويم والسيرة الحسنة، ووظيفة الشعر

التي ينبغي أن يلتزمها الشاعر.

ومع أن السيد الحميري اشتهر بجودة شعره وجماعه للفن على

حد تعبير الجاحظ. فإن ذلك لم يشفع له عند ناقدنا، لأن أبا

الشاعر
لا بد أن يلتزم
الأوامر ويتعد من
النواهي، ويستجيب
للجماليات
الإسلامية

فما أم الرُدين وإن أدلت

بعالمية بأخلاق الكرام

إذا الشيطان قُصَّ في قفاها

تتفقاه بالحبل التوام

يُعدُّ عقوقاً في حقها، وأنقاصاً من جودة هذين البيتين. ولذلك قال أبو عثمان؛ وهو يشرح البيت الأخير: «يقول: إذا دخل الشيطان في قاصعاء قفاها تنفقاه، أي أخرجناه من النافقاء بالحبل المتني. وقد مثل، وقد أحسن في نعت الشعر، وإن لم يكن أحسن في العقوق» (16).

هذه هي بعض مواقف الجاحظ في نقد المضامين الشعرية التي لا تتفق مع التصور الإسلامي. ولو تتبعناها كلها لطلال بنا الوقوف، ولو تتبعنا ذلك عند غيره، لكان أكثر وأكثر. وحسبنا أننا أثّرنا الانتباه إلى بعض النماذج من ترانثا النقدي، الذي يعد إسلامياً في أصوله ومعاييره. وإن طفت من حين لآخر بعض الظواهر الشاذة على السطح لسبب أو لآخر، فإن ذلك يعد نشازاً بصفة عامة، سرعان ما يعود إلى الأصل. فقط يبقى أن تكون لنا الرؤية الإسلامية لقراءة هذا النقد وفقها، وإخراجه إلى حيز الوجود - من جديد - في ثوبه الإسلامي لا في لباس آخر مستعار لا يمت إليه بصلة. كما ينبغي أن تكون لنا الرؤية ذاتها لقراءة الأدب الحديث ونقده. فالأدب الحديث بحاجة إلى هذا النوع من النقد، وخاصة بعد أن تردى بعضه في مهاوي الرذيلة والفساد، والمجاهرة بالكفر والإلحاد، كما أن النقد الحديث بدوره أيضاً محتاج إلى نقد جديد من هذه الزاوية، لكثابة جديده لـ «نقد النقد» تكون له هويته وأصالته العربية والإسلامية.

نظراً لمضمونهما الذي يعد كُفراً في نظره، ولا يمكن لحسان رضي الله عنه، وهو الصحابي الجليل، أن يقترب منه. ولذلك احتسأ أبو عثمان في هذه النسبة، فقال: «إن كان قاله»، ثم قال: «وحسان لم يكن كافراً».

3 - جوانب من الأخلاق العامة: وعلى هذا النهج سار أبو عثمان في رؤيته النقدية للشعر، حيث إنه لم يقتصر في انتقاده لمضامين الشعر على هذا النوع الذي لم يراع فيه أصحابه حرمة الرسول صلى الله عليه وسلم وكرامة أصحابه، بل إنه انتقد كل شعر لا تتفق مضامينه مع المبادئ الخلقية الإسلامية العامة. فلقد جعل التعبير والقذف في الهجاء أمراً يخالف الخلق الكريم وكرامة الإنسان، بل يطعن في إرادة الله - عز وجل - وقدرته إذا كان التعبير يخص عاهة من العاهات، وهذا ما يفهم من تعقيبه على بعض الأشتار التي هجا فيها أصحابها بعض الكرماء وغيره بالبرص فقال:

أقول وقد مر عمرو بنا

فسلم تسليمه جافيه

لئن تاه عمرو بحسن الغنا

لقد فضل الله بالعافيه

قال الجاحظ معقّباً: «يس ما قال لأنه ذهب مذهب التعبير، فقيره بشيء لا يدري لعله ينزل به» (15).

ومثال آخر نسوقه في هذا الباب؛ فلقد عد الجاحظ كل تنكّر للمبادئ الخلقية الإسلامية. أو المتعارف عليها في مجتمع ما مخلاً بجودة النص، ومتقصاً من كمال حسنه، فقول بعض الأعراب مثلاً في أمه:

الهوامش:

- (1) كالأجنيات. (انظر مختصر تفسير ابن كثير، 82/3)، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي» الحديث. (11) الحيوان، 317/5، 197/1.
- (12) المصدر السابق، 197/1.
- (13) المصدر السابق، انظر 403/3، والبرهان للجاحظ ص 74. والغريب أن يستج بعض الدارسين من خلال انتقاد الجاحظ للسيد وأنه أي الجاحظ - لم يهمل الأدب نتيجة فساد عقيدة صاحبه، وأن الصولي قد تأثر به حينما قال: وما ظننت أن كفراً ينقص من شعر ولا أن إيماناً يزيد فيه، (النقد النهجي عند الجاحظ لداود سلوم، ص 62). بينما الأمر على خلاف ذلك. ففهر السيد لم يزل رضا أبي عثمان، كما أن الكفر في نظره ينقص من قيمة الشعر وبخاصة إذا كان الكفر صريحاً ينطق به ظاهر الشعر.
- (14) البرهان ص 71.
- (15) المصدر السابق، ص 87 - 88.
- (16) الحيوان 396/6، 397.

- سباق حكمه على بعض الأقوال وأصحابها بالحق.
- (6) من العلوم أن بآلية الكميت التي اقتطف منها الجاحظ الآيات الأخيرة، تعد من أجود أشعار الكميت في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، بتهادة عدد من الشعراء وفي مقدمتهم الفرزدق، وعدد من الدارسين أيضاً. ولكن ذلك لم يشفع له عند الجاحظ الذي رآها دون المستوى من الوجهة النقدية الإسلامية.
- (7) انظر الحيوان، 169/5، 171 - 176.
- (8) الحيوان، 454-456، وانظر الشعر والشعراء لابن قتيبة 807/2، والصناعيين للمصري 132 - 133.
- (9) نور القيس للبغري، ص 22 - 23.
- (10) من ذلك ما يفهم من قوله تعالى: وأزواجه أمهاتهم (الأحزاب: 6) من وجوب تعظيم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم واحترامهن وتوقيرهن وإكرامهن وتحريم نكاحهن. وفيما عدا ذلك

- (1) من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: وأصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبدي: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم، أخرجه البخاري ومسلم.
- (2) يبدو هذا في كثير من كتابات القدماء، وخاصة عند أبي عثمان الجاحظ الذي دعا إلى ضرورة أخذ القارئ بعين الاعتبار في أثناء كل كتابة، كيفما كانت، سواء شعرية أو نثرية، لأن القارئ أول وأكبر ناقد لما يكتب. ونجد هذا البعد حاضراً كذلك في الاتجاهات النقدية الحديثة.
- (3) لقد كشف كاتب المقال بتفصيل عن هذا البعد، مبدأ الوسطية عند الجاحظ في أطروحاته لنيل دكتوراه الدولة، التي هي بعنوان «الرؤية الشعرية عند الجاحظ».
- (4) مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم» أخرجه البخاري وغيره.
- (5) البيان والتبيين للجاحظ 239/2، ومن الجدير بالذكر أن الجاحظ أورد هذا في

عثمان كان يرى أن جمالية الشعر لا يمكن أن تكون كذلك إلا إذا استجاب صاحب النص الشعري لمتطلبات الجمالية الإسلامية المتمثلة في التزام الأوامر والابتعاد من النواهي. ولذلك تتبع الجاحظ بالنقد ما ورد من معان منحرفة في شعر هذا الشاعر، كما أنه لم يتردد في تسفيه عقيدته وتبيان انحرافه في التشيع، وكان مما قاله: «وقال السيد الحميري - وذكر مسير عائشة رضي الله عنها إلى البصرة مع طلحة والزبير، حيث شهدت ما لم يشهدا، وأقدمت على ما نكصا عنه -:

جاءت مع الأشقين في هودج

ترجي إلى البصرة أجناده

كانها في فعلها هرة

تريد أن تأكل أولادها

وليس ما قال في أم المؤمنين وبنات الصديق، وقد كان قادراً على أن يوفر على علي رضي الله عنه فضله من غير أن يشتم الحوارين وأمهات المؤمنين، ولو أراد الحق لسار فيها وفي ذكرها سيرة علي بن أبي طالب، فلا هو جعل علياً قدوة، ولا هو رعى للنبي صلى الله عليه وسلم حرمة» (11).

وبذلك استسقط أبو عثمان شعر السيد، لأنه حتى وإن كان أجمع للفن فإنه ليس في ذكره شرف (12)، لأن مدار الشرف - في تصور الجاحظ والتصور النقدي العام عند المسلمين - علي الصواب وإحراز المنفعة، والسيد لم يقل صواباً ولم يقد بشعره معنى شريفاً.

ولم يأل أبو عثمان جهداً في تتبع أشعار السيد، التي تعرض فيها للصحابية الكرام، فقد استغنى عنها واستهزأ بها، بل إنه قد استسقط من رواها وجعله عرضة للاستهزاء والضحك (13).

وما يدل على سمو هذا التصور عند أبي عثمان، جعله القرب من المبادئ الإسلامية والخلقية، أو البعد عنها معياراً يمكن أن يثبت صحة النصوص الشعرية أو انتحالها، وهذا ما يبدو في قوله تعليقاً على بيتين لحسان بن ثابت الأنصاري ورد فيهما انتقاص من آل خويلد عشيرة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، والزبير بن العوام حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: «وقال حسان بن ثابت - إن كان قاله -:

بني أسد ما بال آل خويلد

يحترون شوقاً كل يوم إلى القبط

إذا ذكرت قهقاه حنوا لذكرها

وللرمم القرون والسّمك الرقبط

وهذا الشعر كفر، لأن خديجة الواسطة من آل خويلد، والزبير بن العوام، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي»، وحسان لم يكن كافراً» (14).

فالبستان - وإن كانا قد وردا في ديوان حسان - فإنه لم تثبت صحة نسبتهم إلى حسان عند الجاحظ،

قصص

عبقريّة السلوك الإنساني

د. محمود جبر الربداوي

قال أمية بن حرثان بن الأسكر:

أعاذل، قد عدلت بغير علم
فإمّا كنتِ عاذلتِ فردي
ولم أقضِ اللبّانة من كلاب
فتى الفتيان في عسرٍ ويسرٍ
فلا والله ما باليتُ وجدي
وإيقادي عليك إذا شتونا
فلو فلقَ الفؤادَ شديدٌ وجَدٍ
سأستعدي على الفاروق ربّاً
وأدعو الله مجتهداً عليه
إنّ الفاروق لم يرُدْ كلاباً

قرأت وأنا في مقتبل العمر، «العبقريات» التي كان يكتبها عباس محمود العقاد، وأذكر أن العبقريّة الكبرى التي أعجبت بها، وتركت أثراً في نفسي هي «عبقريّة عمر»؛ لأن عمر بن الخطاب كان قبيلةً من العبقريات تجمعت فيه؛ فهو عبقري في السياسة والإدارة، عبقري في التخطيط

وما تدرين، عاذل، ما ألاقى
كلاباً إذ توجّه للعراق
غداة غدٍ وأذن بالفراق
شديد الركن في يوم التلاقي
ولا شفقي عليك ولا اشتياقي
وضمّك تحت نحري واعتناقي
لهمّ سواد قلبي بانفلاقٍ
له دُفع الحجيحُ إلى بساقٍ (1)
بطن الأخشبين إلى دُفاقٍ (2)
على شيخين هامهما زواقٍ (3)

العسكري، عبقري في التنظيم الاجتماعي، عبقري في التصوّر الفكري، عبقري في الفهم القرآني، وعبقري، فوق كل ذلك، في السلوك الإنساني، وفي هذه العبقريّة الأخيرة، التي أتمهل في تناولها، له مواقف متميزة تتمّ على نفسية على مستوى رفيع من العبقريّة في معالجة الأمور

الإنسانية، فهذا السلوك الإنساني المتفرد الناجم عن التفكير الخفيف، المتمثل للمبادئ السميحة التي بشها الإسلام في نفوس معتقديه هو الذي جعلني أكبر هذا الرجل القائد الإنسان المشرّع الإداري المنظم.

فلولا عبقرية الفذّة، وسلطته المهيبة و «درته» التي يلوح بها دائماً لارتدّ من الناس، بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وسلم، في عهده أكثر من الذين ارتدوا في عهد سلفه الخليفة أبي بكر الصديق؛ لأن الإسلام، يومذاك، مازال طري العود، والعنجهية العربية والنخوة الجاهلية، مازالتا تعششان في رؤوس سادة بعض القبائل العربيّة، ولكن حزم عمر، واحتكامه إلى كتاب الله وسنة نبيه، وتنفيذ ما يميله عليه تفكيره السليم، بصرامة السلطان أحياناً - والله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن -، ورحمة الإنسان أحياناً أخرى، هو الذي حسم مواقف كثيرة كادت تزعزع دولة الإسلام الفتية آنذاك، وتعبت بالمجتمع النقي الناشئ الذي أخذ يتلمّس طريقه نحو ترسيخ حضارة جديدة وقيم لا عهد للعرب بها من قبل.

كان عمر يلوح «بدرته» لكل من تسوّل له نفسه الخروج عن المبادئ التي اختطها معلمه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وكان يخفق بالدرّة من كان يتحدى القيم التي أرساها الكتاب المنزل، يمثل ذلك موقفه من أبي محجن الشقفي قبل توبته، ومثل هذا الموقف عدّة من المواقف الأخرى. أما المواقف التي ليس فيها خروج عن القيم، وليس فيها تحدّ للمبادئ، فكانت الرحمة والشفقة تغلبان على نفس عمر، نذكر موقفه من تلك الشابة التي التحق زوجها بجيوش الفتح، وغاب عنها أشهراً طويلة، فسمعها عمر تغني في جوف الليل لتغني عنها ضجر الوحدة والوحشة، وفقدان الأنيس، تقول:

تطاول هذا الليل، واسودّ جانبه
وليس بجنبي من حليل الأعبه
فو الله، لولا الله تخشي عواقبه

لحرك من هذا السرير جوانبه
مخافة ربي، والحياء يعقني

وأكرام بعلي أن تُنال مراتبه
فأدهشت هذه الأبيات عمر، وأصاب الحسّ الإنساني فيه فحركته، فهُرِعَ إلى ابنته حفصة - كما تقول بعض الروايات - يسألها عن قدرة المرأة

على تحمل غياب حليلها، فتقدّر لها حفصة بثلاثة أشهر، فيأمر عمر أن يعطي الجنود المتزوجون إجازة كل ثلاثة أشهر، فليس غريباً أن تتجاوز إذاً في نفس هذا الإنسان العظيم صفتان قد تبدوان متناقضتين.

ومن مواقف الرحمة التي كانت تستدرّ دموع عمر موقفه من «أمية بن حريث بن الأسكر»، مع أن هذا الموقف يبدو، أول وهلة، متناقضاً.

فأمية هذا شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، كان في شبابه فارساً، له أيام مأثورة مذكورة، سيداً من سادة قومه وشعرائهم، من أهل الطائف في الحجاز، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم، وأسلم معه ابنه «كلاب»، ثم هاجرا إلى مدينة الرسول (1)، ويبدو أن كلاهما كان على جانب كبير من أخلاق الشباب المسلم، من هذه الأخلاق أننا نراه يلتقي بالزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فيسألهم: أي الأعمال أفضل في الإسلام؟ فيجيبانه: الجهاد، فتدفعه عقيدته وشبابه إلى تنفيذ هذا القول، فيذهب إلى عمر ويطلب منه أن يجنده ويلحقه بجيش يحقق له فضيلة الجهاد، فيلحقه عمر بجيش متوجه إلى العراق، ويترك والده في المدينة، مع مجموعة من الإبل كانت له، فلما طالت غيبة الفتى في أرض الجهاد، وطال عناء الأب الهرم في رعاية الإبل في أرض الوطن، وكلّ بعيد من الآخر، أحس أمية بالشوق الشديد لابنه الوحيد، فيما أظن، فتوجه إلى عمر يستعطفه ويطلب إعادة الفتى لأبيه الذي أثقلت كاهله السنون، وناء برعاية تلك الإبل التي أخذ الناس يطردونها من إبلهم؛ لذا توجه إلى عمر يستعطفه بأبيات قال فيها:

لمن شيخان قد نشدا كلاهما

كتاب الله إن قبل الكتابا

أناديه فيعرض في إباء

فلا، وأبي كلاب، ما أصابا إذا سجت حمامة بطن واد

إلى بيضاتها دعواً كلاهما (2)

أتاه مهاجران تكتفاه

ففارق شيخه خطأ وطابا

تركت أباك مرعشة يداه

وأملك ما تسع لها شرابا

تمسح مهره شفقاً عليه

وتجنبه أباعره الصعابا

ويبدو أن أمية أرسل هذه الأبيات من دون أن يمثل أمام الخليفة القائد فيشهد هزيمته وتداعي جسمه؛ لذلك أهمل طلبه، ولم يردّد له ابنه. وتقول الرواية إن أمية حزن وتردت صحته لدرجة أن بصره ضعف وأهتر عقله جزعاً على ابنه، فدفعه ضعفه وشدة حاجته للمُعيل أن يعاود الإلحاح على عمر، فنظم القصيدة القافية التي أثبتناها في مطلع هذا الكلام، وحملها بنفسه يتوكأ على عصاه، وأتى عمر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وحوله المهاجرون والأنصار، فوقف أمامه ثم أنشأ يقول:

أعاذل قد عدلت بغير علم

وما تدرين، عاذل، ما ألاقني

إلى أن قال:

فلو فلّق الفؤاد شديداً وجداً

لهم سواد قلبي بانغلاق

سأستعدي على الفارق رباً

له دُفع الحجيح إلى بساق

وأدعو الله مجتهداً عليه

ببطن الأخشبين إلى دُفاق

إن الفاروق لم يردّد كلاهما

على شيخين هاهما زواق

قال: فبكى عمر بكاءً شديداً، وكتب برداً

كلاب إلى المدينة، فلما قدم دخل إليه عمر، فقال: ما بلغ من برك بأبيك؟ قال: كنت أدثره وأكفنيه أمره، وكنت أعتمد، إذا أردت أن أحلب لبناً، أغزر ناقة في إبله وأسمنها، فأسقيه، فبعث عمر إلى أمية من جاء به إليه، فأدخله يتهدى وقد ضعف بصره وانحنى، فقال له: كيف أنت يا أبا كلاب؟ قال: كما تراني يا أمير المؤمنين! قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، أشتهي أن أرى كلاهما فأشمه شمةً وأضمه ضمةً

قبل أن أموت، فبكى عمر ثم قال: ستبلغ من هذا ما تحب إن شاء الله تعالى، ثم أمر كلاهما أن يحتلب لأبيه ناقةً كما كان يفعل ويبعث إليه بلبنها، ففعل، فناوله عمر الإناء وقال: دونك هذا يا أبا كلاب، فلما أخذه وأدناه إلى فمه قال: نعم، والله يا أمير المؤمنين إنني لأشم رائحة كلاب من هذا الإناء، فبكى عمر، وقال: هذا كلاب عندك حاضراً قد جئناك به، فوثب إلى ابنه وضمه إليه وقبله، وجعل يبكي ومن حضره، فقال عمر لكلاب: الزم أبوك فجاهد

فيهما ما بقيا، ثم شأنتك بنفسك بعدهما، وأمر له بعطائه، وصرفه مع أبيه، فلم يزل معه مقيماً حتى مات أبوه.

وفقه هذه القصة يوقفنا على شخصية عمر الخليفة الحازم الذي يعي الجنود ويرسلهم إلى ساحات المعارك في زمن خلافته التي أخذ فيها الإسلام ينتشر خارج الجزيرة العربية؛ لذلك رفض ردّ شباب رغب أن يكون مجاهداً في سبيل الله ولو طلبه أبوه، ولكن هذا الموقف لا يتناقض مع الموقف الثاني لعمر عندما مثل أمية الرجل العجوز الهرم، ضعيف القوة والبصر مرتعش الأطراف، يتلثم في إنشاد أبيات تحمل كل الشوق والحنان للفتى الذي خرج مجاهداً في سبيل الله وطالت غيبته، هذه الأبيات المفعمة بالحنين والعاطفة وقعت موقفاً حسناً من نفس عمر الذي أثر عنه أنه يطرب طرباً شديداً للشعر، يستنشد الرواة ليسمعه، فكيف إذا كان الشعر في مخاطبته؟! هذه الأبيات، فضلاً عما فيها من عاطفة، تغلغت إلى نفسه، وتغلغت أيضاً إلى فكره، فذكرته بالحديث النبوي الذي يقول: «جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال له الرسول: أحيي والدك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد» صحيح مسلم، باب البر.

ولعل تدكّره لهذا الحديث هو الذي جعله يكتب إلى قائد الجيش بالعراق ليرد كلاهما إلى والديه، لأن جهاده في رعايتهما، وقد بلغا عنده من الكبر عتياً، لا يقل عن الجهاد في سبيل الله. رحم الله القائد عمر وأحسن إليه، ورحم الله كلاهما الجندي المجاهد والابن البار بوالديه.

غريب الألفاظ:

(1) بساق: جبل بعرفت، وقيل واد.

(2) الأخشبان: جبلا مكة: أبو قيس والأحمر، وجبلا منى. ودُفاق: موضع أو واد.

(3) هاهما زواق: هنا كناية عن قرب موتهما.

المصادر:

(1) انظر أخبار أمية في الأغاني 156/18، والإصابة 64/1، وحسن الصحابة 52؛ وسط اللآلي 12، وطبقات فحول الشعراء

159؛ وخزانة الأدب 505/2. وطبقات ابن سلام 44، وهو فيه: ابن الأثير.

(2) بيضاتها: فراخها، على اعتبار ما سيكون. كما يقول البلاغيون.. دُعواً: ألف التثنية تعود على الوالدين.



فالعربي لا يدع نفسه تسري في الأشياء، ولا يدع الأشياء تسري في نفسه، إنه يستعيز عن الأشياء بألفاظ، لذلك جاءت حياته في لغته أكثر مما جاءت في أشياء يقيّة.

وحين ينتقل إلى الحديث عن الفن يقول:

إن الفن الإسلامي إعلان من الفنان العربي بانفصال ذاته انفصلاً تاماً عن الأرض وكائناتها. إنه احتجاج على المتناهي، ولياذ «باللا متناهي».

والفنان العربي ينظر إلى الأشياء على أنها مجسدة لقوانين، لذلك حلت فكرة المصادفة المفاجئة في ذهنه محل القانون الدائم، مادام لا رابط يصل بين الأشياء، بل تبقى كائنات مفردة.

والذي نريده لخصائص الثقافة العربية المعاصرة أن تبني - على أساس تقليدنا الشقافي - طابعاً جديداً، يُقي على الأساس، لكنه يضيف إليه. أي أن نجعل اللغة أداة لا غاية في ذاتها، فنضيف بذلك فكراً إلى أدب، وننتقل من اللفظ إلى معناه.

ونحن إذ نتفق مع المؤلف في أن الناس يتفقون على معان مجردة فيظنون أنهم قد اتفقوا بذلك على التفصيلات الجزئية.. وهذا أحد مواضع الزلل الفكري عند الإنسان (1). إلا أننا نشدد على أن الأخطاء اللغوية واحدة من مواضع الزلل الفكري، وليست هي الزلل، فليس مسوغاً أن تتحول مشكلة التقدم كلها إلى مشكلة لغوية، وكأننا إذا اتفقنا على معاني الألفاظ الدقيقة نستطيع أن نحل كل المشكلات التي تواجه العصر، إن هذا الحل النظري المتفائل لا يعدو أن يكون أكثر من منطق أرسطي في قالب جديد، فهل كل المشكلات التي تواجه الإنسان ترصف في قضايا.. وهل كل القضايا تطابق، أو تمثل الواقع؟ أو لنقل هل كل القضايا ونتائجها ومنطقها كافية وحدها لإرضاء الإنسان بحيث يتوافق الفكر مع نفسه، ومع الواقع، ومع الحرية في أن واحد؟

جدلية اللغة والثقافة

وحين ننظر في إحدى مقدماته «اللغة هي الفكر» (2) موافقين عليها، مع شيء من التحفظ على شفافية الفكر تجاه اللغة التي هي ثوب ضيق على الوجدان، نقول حين نوافقه نجد أنه من الخطأ القول: لم تكن اللغة عند العرب (أداة) للثقافة، بل كانت هي الثقافة نفسها (3)، فما الفرق بين اللغة والثقافة إذا كانت اللغة هي الفكر كله - حسب

مَسْأَلَةُ اللُّغَةِ دِرَاسَةٌ فِي فِكْرِ زَكِي نَجِيبٍ مَحْمُود

محمد جمال

يرى زكي نجيب محمود في كتابه: «تجديد الفكر العربي» عند حديثه عن مسألة اللغة، أن أي ثورة فكرية يجب أن تبدأ بنظرة عميقة تراجع بها اللغة وطرائق استخدامها؛ لأن اللغة هي الفكر، ومُحال أن يتغير الفكر من دون تغيير في اللغة. ويمثل المؤلف لهذه الفكرة بالفرنسيين في ثورتهم الكبرى، إذ بدأت دراسات جديدة في اللغة. واللغة العربية كما نراها في التراث الأدبي توشك ألا تنتمي إلى دنيا الناس، ولذلك خلق المتكلمون باللغة العربية لغاتهم العامية التي يباشرون بها شؤون حياتهم اليومية، وبها يتفاهمون.

ويرى

المؤلف وجوب تطور اللغة بحيث تحقق الحفاظ على عبقريتها الأدبية أولاً، وتكون أداة للتوصيل ثانياً. فلانتقال من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء لابد أن نبدأ بهضم فكرة التحول فهماً جيداً، نعيشها، ونعانيها، لا أن نسمع عنها ونقطف ثمارها من غيرنا ممن يعانينا.

ولكن لابد أيضاً من التساؤل: تحول من ماذا؟ في البدء كانت الكلمة هي الفكرة، وهي الثقافة والمعرفة والمهارة، وهي الحد الفاصل بين الحيوان والإنسان. وفيما يتعلق بالعرب الأولين، اللغة عندهم هي

عزهم، وهي مجدهم، وهي علامة إعجازهم، خاصة أنها وصلت إلى مستوى الشعر. والواجب الآن أن يتم الانتقال من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء. من ثقافة الكلمة إلى ثقافة العلم المؤدي إلى العمل في دنيا الصناعة الآلية الحديثة. والتحول ليس مقصوداً علينا، بل يعم الدنيا بأسرها. ولو تحقق هذا التحول القائم على العلوم التقنية، فإن الإنسان ينتقل من ثقافة الكلمة إلى ثقافة التشكيل ليغير بها وجه الأرض ويزيل السحر عن السماء. إننا من خلال تتبعنا للثقافات الإقليمية وما تمتاز به من خصائص، نجد أن الثقافة العربية القديمة تتميز بالتعارض الحاد بين الذات والموضوع،

قوله - وكانت الثقافة جزءاً من الفكر؟ ألن تكون النتيجة أن اللغة هي الثقافة، أو بعض الثقافة هو الثقافة؟ وبما أن الثقافة جزء من اللغة، فإن كل ثقافة هي لغة، فكيف إذن نعيب على العرب أن تكون ثقافتهم هي لغتهم...؟

وإذا أردنا أن نؤطر فكرنا، كما شاء المؤلف أن نفعل، ضمن سياق اللغة، ألن يبدو لنا بأننا حين نعرف لغة العرب القدماء، بدقاتها، فإننا حينئذ سنعرف كل ثقافتهم، وكيف يفكرون بالضبط؟ لكننا نستبعد أصلاً أن تكون اللغة عند العرب هي ثقافتهم (كلها)، أي إنها كانت دائماً غاية في ذاتها، ولن نسوق عشرات الأمثلة التي تقفز إلى الذاكرة حين نفكر باستخدام العرب للغتهم، لا.. لن نفعل ذلك، وكل ما نفعله هو أن نوجه ما قاله المؤلف نفسه، إليه، يقول: «وهل نعدو الصواب كثيراً، إذا قلنا إن الأدب العربي، في شتى صوره وأشكاله كان مداره الحكمة العامة الموجزة المركزة في حيز ضئيل من اللفظ؟» (4)، إذا فالأدب العربي، اللغة العربية، اللغة عند العرب لم تكن مجرد نغم وجرس «مجرد صوغ جميل» (5)، وتلك المقاييس المنطقية التي يريد أن يلبسها المؤلف للفكر لا تنفك عن كونها سرير بروكريس(*) يجب أن تفصل فلسفتنا على قده، فنجتز منها ما بعد الطبيعة ونهذب لغتنا بأن لا نتحدث عن الضمير، أو الآمال.. إلا إذا وضعنا كل ذلك على منضدة وقلنا: هذا هو ما نتحدث عنه.

وهل صحيح أنه لا يمكن أن نتحدث عن الثقافة العربية القديمة، عن التراث العربي، إلا إذا رمينا كل ما هو جميل إلى البحر وأبقينا على النافع وحده؟ وإذا كان «ديوي» نفسه، الذي استقى منه المؤلف معظم فلسفته، يرى أن الجميل هو النافع (على إطلاق هذه الكلمة) فإنه لم يعد مسوغاً أن نعيب على العرب محبتهم لموسيقا الكلمة، واستخدامهم للنغم والجرس في شغف شديد، فلم يعد مستساغاً التوهم بأن الأدب القديم لم يكشف شيئاً، ولا يورد حقائق جديدة.. بل يطرب، فقط، بمجرد صوغه الجميل الذي يعيبه المؤلف عليه (6).

تجديد اللغة لا يعني تغييرها

إن هذا الإطلاق اللغوي غير المقتن للعبارات يوقع في سوء الفهم الواضح لطابع اللغة عند العرب القدماء. فإن اتفقا مع المؤلف على ضرورة تجديد اللغة، فهذا لا يعني تغييرها، ولا يعني أنها كانت

سقيمة وعديمة النفع، بل يعني - كما نرى - أن نسعى إلى تطويرها ضمن سياقها نفسه. إن اللغة كائن خاضع لعوامل التجدد والتطور باختلاف الزمان والمكان والوضع، لذا فإن التفكير في إصلاحها يقتضي إصلاح الحياة لدى المتحدثين بها، وهذا معناه أن محاولة التجديد لا تجدي حين تنحصر في مفردات اللغة وتراكيبها، دون النظر في الارتفاع بالمستوى المعرفي والأخلاقي لأصحابها، وهذا يكون في جدلية ترايطية تحدث بالتساوق مع الارتفاع بكل من اللغة والحياة إلى مستوى المعاصرة المرجوة، لا الكائنة فحسب. إن مستقبل اللغة العربية متوقف على ما يناله الناطقون بها من الاستقلال والحرية والقومية، وهذا ما عبر عنه كمال يوسف الحاج بقوله: «إن العجز الذي منيت به العربية ليس من صلبها. الظروف السياسية، هي التي ابتغت هذا العجز» (7)، فيجب العمل على

الأخطاء اللغوية واحدة من مواضع الزلل الفكري، وليسست هي الزلل

تغيير تلك الظروف جنباً إلى جنب مع تجديد اللغة/الفكر، ولا يمكن أن يستساغ القول: «من اللغة تبدأ ثورة التجديد» (8)

وعملية التجديد اللغوي قال بها قديماً إبراهيم بن موسى الشاطبي (ت: 790هـ) محلاً بعض الألفاظ والجمل مع دلالاتها في كتابه المشهور «الموافقات»، كما طرح مسألة اللغة كمال يوسف الحاج في كتابه «فلسفة اللغة» وغيرهما كثيرون. فالتجديد اللغوي أمر وارد منذ القديم، لكن ما يجب تأكيده في عملية التجديد هذه، أن اللغة استعمالين، فهي تقوم بوظيفتين.

- وظيفة انفعالية تعبر عن مواقف انفعالية، وتتجلى حينما تتمكن اللغة من إثارة إحساس أو موقف، وهذا تواصل داخلي حميمي شعوري، تجلب المحبة أو الكره أو الاستحسان أو الاستقباح.

- وظيفة عقلية، وفي الاستعمال العلمي للغة لا نهتم بالآثار الانفعالية للكلام، وهنا تكون الوظيفة معرفية (تريدنا أن نعرف) ونستعمل الرموز، وهنا يكون التواصل خارجياً موضوعياً. فإلى جانب العقل هناك الانفعال، وإلى

جانب الاستدلال هناك الإحساس، وإلى جانب المنطق هناك الحدس، وهذا ما لا يقره المؤلف تبعاً لمنظوره الفلسفي الوصفي.

فليس من الإنصاف في شيء القول عن الأدب العربي ونغمه وجرسه «إن ذلك الضرب من الكتابة كان يتفق ومزاج من لم يرد أن يعمل شيئاً، فهو في فراغ يملؤه بالرخارف، لكنه ضرب من الكتابة لا يصلح أداة في عصرنا تصل بين كاتب وقارئ فيما يراد عمله بالنسبة إلى أوضاع الحياة اليومية الجارية» (9). فهو قول يقيس صاحبه لغة القديم بمقياس عصره. ولا يقيسها بكونها أداة صالحة في عصرها، لقد كانت تلك الاستخدامات اللغوية تلبي حاجات القدماء، هذا بالإضافة إلى أن فيما نراه تناقضاً مع قوله: أحس عند قراءة الشعر العربي، أن الشاعر يعمل عقله في التركيب والصياغة، ففيه لقطات حسية.. وحكمة.. ولم يكن نادراً بين شعراء العرب أن يقصدوا بشعرهم أهدافاً غير الشعر نفسه، أعني أن الشعر قلما كان عندهم من أجل الفن الشعري، بل كان في حالات كثيرة وسيلة لغايات.. وهذا من قبيل النشاط العقلي (10).

ثقافة العلم

نلاحظ، هنا، أن الأمر لا يحتاج منا إلى تعقيب لأن المؤلف، هنا يناقض نفسه بما قاله فوق، اللهم إلا إذا كان لا يعد النشاط العقلي عملاً، نقول لن نحاول دحض آرائه هذه، بل سنحاول تفنيد الموقف لصالحه؛ فإذا كان المقصود بالرخارف اللغوية، فترات الانحطاط، أو التوقف، في الفكر العربي حين كانت مقولة (الفن للفن) تنطبق عليه. وإن كان المقصود في حكمة الشاعر المفكر، فترات استيقاظ الفكر العربي، فلا بأس، وإلا فلا. فذلك التعميم يجعلنا لا نميز بين اللغة أداة في الأدب، وبينها وهي أداة العلم.

فإذا قيل لنا: لنتحول من ثقافة اللفظ إلى ثقافة العلم والتقنية والصناعة ذلك لا يكون بالرجوع إلى التراث القديم، بل بأن نتجه إلى أوروبا وأمريكا (11). إذا قيل لنا ذلك - وقد قاله المؤلف فعلاً - أمكننا القول: إن في تراثنا ثقافة تحمل في طياتها العلم، كما كان معروفاً في القديم، وما علينا سوى أن نستقرئ مكنونات اللغة لنضيف إليها، ومن ثم إلى فكرنا، ما استجد من النظريات العلمية الحديثة



دراسة في فكر زكي نجيب محمود

دنيا الصناعة الآلية الحديثة وحدها، بل تمتد إلى معنى العمل والفعل بإطلاق معانيها إلى الحد الأقصى بما في ذلك الفعل الأخلاقي.

وإذن لم يعد من الموضوعية في شيء القول بأن أجدادنا لم يكونوا فاعلين بوصفهم مجرد

شراح للفلسفة اليونانية، كما أنه من غير المقبول عدّ دراستنا للتراث، استناداً إلى تلك المقولة، شيئاً

لا فائدة منه. فحين يقول د. زكي: «وهل تزيد دراسة النصوص عن إلمام بالقراءة؟» (18) نجيب:

بلى تزيد كثيراً... إن ابن سينا الذي قرأ «الطبيعة» لأرسطو أربعين مرة ليفهمه، لم يكن يفك

الحروف، بل كان يقرأ ليفهم ويهضم ويستوعب ما قيل. هناك كثير ممن يعرفون كيف يفكّون

الحروف، يقرؤون من دون أن يفقهوا معنى لما يقرؤونه، ومن ثمّ لا يمكن نسبيهم (قارئ) وإذا

كان ما نطرحه هنا ليس جدالاً، بل حوار نحاول أن نتفق فيه مع المؤلف على صيغة معقولة للتعامل

مع التراث بحيث نستجلي غوامضه ونرفع من شأنه حين نفهمه على حقيقته في ضوء معرفتنا

الحديثة فيعلم من شأننا ويطورنا، لذلك فنحن نتفق مع المؤلف أننا «في مجال الفكر.. نعيش

على عصر مزدحم بقضايا الإنسان.. وهي نفسها القضايا التي كنا نستطيع أن نستلهم فيها تراثنا

الفكري فيمدنا هذا التراث بزيادة دسم يغنينا عن الزواجر اللفظية التي نثيرها في الجو» (19).

لنستطيع أن نحافظ على عروبتنا ونحن نأخذ من العلوم الحديثة ما يجعلنا معاصرين، فنكون

بذلك، المعري والغزالي وابن رشد.. ولكن في عصر جديد وأفق أكثر بعداً وعمقاً أفقياً وعمودياً معاً.

من نقطة الصفر، فلن يكون لدينا الوقت الكافي للحاق بأحد، وهنا، بمعنى ما، يكون صحيحاً استعمالنا لمثل السلحفاة والزمن عند زينون (*) الإيلي، وإن نحن نهلنا من تراثنا وعددنا أنفسنا المبتدئين بتكوين أو قيادة الحضارة، فلن يكون من المستحيل عندئذ أن نعود فنقود دفة الحضارة، من جديد ولو بعد حين، متكئين على ماضٍ لا يكون ذلك مستعصياً علينا بحضوره.

مما يتقدم يتضح اتفاقاً مع المؤلف حين يرى أن الأمل المنشود هو أن تتطور اللغة بحيث تحقق شرطين: أن تحافظ على عبقريتها الأدبية، أولاً، وأن تكون أداة للتوصيل، لا مجرد وسيلة لترتّم المترنمين، ثانياً، ولا يعني ذلك فيما نرى، أنه: تحوّل من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء كما قال المؤلف (16) بل هو امتداد لحضارة

إذا كان الجميل هو النافع، فإنه لا يعد مسوغاً أن نعيب على العرب محبتهم لموسيقا الكلمة واستخدامهم للنغم والجرس

اللفظ - الأداة، تطوير لها، وتوليئها بما يناسب العصر الحديث؛ وليس فيما يرى المؤلف من أنه: تحوّل من ثقافة العلم المؤدي إلى عمل في دنيا الصناعة الآلية الحديثة (17) بل هو تحوّل من ثقافة العلم القديم المؤدي إلى عمل، إلى ثقافة العلم الجديد الذي يتطلب عملاً أكثر تطوراً من سابقه.

إلا أن هذه الثقافة الجديدة لا تعني العمل في

الهوامش :

ومن قوانين العلم الحديث؛ فبالإضافة إلى ما ذكرناه عن تجديد اللغة في التراث فإن في تراثنا ما جعل «التونسي» (12) يعدد إسهامات العرب في شتى العلوم، وتأثيرهم في مجال العمران، والهندسة، والتجارة، والصناعة، ويستشهد بأراء المؤرخ الفرنسي سديليو sdelyou المعجب بإنجازات العرب قبل الإسلام وبعده، خصوصاً أنهم أضافوا إلى تراث الإنسانية: البوصلة وأدوات الجراحة والطب، وقياس الوقت والميكانيك، والصيدلة.. إضافة إلى إسهام العرب المسلمين في العلوم العقلية، وقد اعترف هذا المؤرخ أنه «بالجملة فالعرب هم منبع معارفنا..». إن التجديد لن يكون بأن نتجه إلى أوروبا بحيث نقطع الخيط الذي يربطنا مع الماضي ونسير بلا تاريخ نحو العالم الجديد، بل يكون بأن نضيف ما يجب أن نضيفه مما استجدّ إلى ما عندنا، فنحافظ

بذلك على مسار تاريخنا، ونسهم في تكوين وصياغة الحضارة الحديثة؛ وقد قال كمال يوسف الحجاج في هذا الصدد: «إن حضارة الغرب لا تجدي نفعاً، إذا كانت لا تتساقط مع الضوابط التاريخية، التي كتب على كلّ

شعب أن يكونها أصلاً» (13). كما أنه أضاف عن أهمية تاريخ الشعب ما يستحق أن يصبح من المعلقات «إن الذين يهزؤون بما للتاريخ من سلطة على المرء، وينكرون هذه السلطة، يجسهلون أن الإنسان ذاته.. أن جهله لتاريخه تأريخ لجهله» (14). فأهمية التراث لم تعد خافية على كلّ من يفتح عينيه لكي يرى، وها هي ذي بنت الشاطئ ترد على من يدير ظهره للتراث بقولها: «لم تكن حركة إحياء التراث، والدعوة إلى الاتصال بماضيها، صخرة رجعية ألقي بها الأمسيون في مسجى تيار اليقظة، بل كانت بشهادة الواقع التاريخي مدداً سخياً لهذا التيار، أراد به الرواد والمجددون تعميق مجراه وتطهيره من شوائب الاعتراش، ومقاومة ذرائع الغزو الفكري التي أرادت أن تبتزنا من جذورنا، وتسلبنا وعينا لذاتنا وتشوّه شخصيتنا بالاستلاب والطمس» (15).

وإننا الآن غير مؤهلين لأن نكون فاعلين، ولكننا إن هجرنا تاريخنا فلن نكون مؤهلين أبداً لأي إضافة جديدة، ذلك لأننا إن اتجهنا إلى أوروبا لنبدأ

(1 - 6) زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، ص 157، 250، 81، 278 - 279، 200.

(*) الكلمة تعني (الشدة) لقب قاطع الطريق (دايستس) أو (بوليسين) كان يضع المسافرين: القصر على سرير ويشده، والطويل على سرير قصير ويتر ما زاد من أطرافه. تمكن منه تيسوس وفعل به ما كان يفعله هو بالآخرين. هذا ما روت الأساطير اليونانية والرومانية.

7 - كمال يوسف الحجاج، فلسفة اللغة، ص 301.

(8 - 11) زكي نجيب محمود - تجديد الفكر العربي - ص 205، 220، 322، 82.

12 - غير الدين التونسي: أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ص 182.

(13 - 14) فلسفة اللغة، ص 302، 303، 303.

15 - بنت الشاطئ (موضوع تراثنا في الفكر العربي عدد 319 ص 73

(*) «يحاول زينون في أغاليظه (APORIA) أي في تحليله للمصاعب المتعلقة بالحركة، البرهان على أن التسليم بإمكانية إدراك الحركة فكراً يقود لا محالة، إلى التناقض. فهذه الحركة إما أن تبدأ، أو أنها لا تنتهي خلال مدة معينة إذا بدأت. ففي (أخيل) والسلحفاة إذا بدأت السلحفاة قبل أخيل ولو بوقت قصير فإنها تسبقه على الرغم من بطئها وسرعته لأن اجتياز الالانهاية متع.

(16 - 18) زكي نجيب محمود، مرجع سابق، ص 234، 234، 239.

19 - زكي نجيب محمود - مرجع سابق، ص 252.

من ملامح التأثير الصهيوني

في الفكر البريطاني

كما أنه لم يُخفِ ميله لليهودية عند حديثه في كتابه «ديون التكريم» عن شخصية الكاتب الروائي والزعيم اليهودي «بينجمن دزرائيلي» BENJAMIN DISRAELI الذي يعدّه الدارسون مبدئياً بالتعاليم الصهيونية؛ منذ ظهور روايته «الرؤى» (11) عام 1833م؛ أي قبل قرابة خمسين عاماً من ظهور الصهيونية حركة سياسية.

كما أن فوت كتب في صحيفة «الأوبزرفر» تحليلاً لمذكرات المفكر دينيس هيلي DENIS HEALEY التي صدرت عن دار مايكل جوزيف MICHAEL JOSEPH تحت عنوان «أجمل أيام حياتي» THE TIME OF MY LIFE ولم يجد نقداً يوجهه لهذا الكاتب الذي عمل في

مرحلة سابقة سكريتيراً في مكتب إرنست بيغين إلا أنه لم يتعرض - أي هيلي - لمواقف بطله بيغين من المجتمع اليهودي في بريطانيا، وتطلّعاته التلمودية في أرض فلسطين، وبما أنها من وجهة نظر فوت مواقف سلبية (12)، أخفقت في بلوغ المستوى الذي كانت تطمح إليه مآرب اليهود وأنصارهم؛ فبانه كان من واجب هيلي - كما يرى فوت - أن يدون مواقف الجانب الآخر من القضية نفسها؛ وهي مواقف الاتجاه اليساري المتمثلة في كتابات ريتشارد كروس مان R. CROSS MAN وإينورين بيفان، وصحيفة تريبيون TRIBUNE التي كان يشرف على تحريرها فوت نفسه؛ وهي مواقف وكتاباته لم تكن تُعنى بأكثر من إظهار الولاء المطلق للحركة الصهيونية، ولكن ضمن مظهر خلاص وزائف يدعي العدالة، وينادي بالمنهجية.

الإحالات:

- 1 - معرفة مزيد من التأثير الصهيوني على الأمة الإسلامية، انظر مؤلفات اليهودي - غير الصهيوني - إسرائيل شاهاك، ومنها على سبيل المثال:
THE ZIONIST PLAN FOR THE MIDDLE EAST - BELMONT MASSACHUSETTS- 1982.
- 2 - كان يشغل منصب وزير الخارجية البريطاني في حكومة «أفلي» العمالية، التي قادت بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى 1945-1951م.
- انظر:
MARK, STEPHENS, UNSKILLED LABOURER WORLD STATES MAN . LONDON, 1985
3 - CHRISTOPHER, MAYHEW AND MICHAEL ADAM, THE MIDDLE EAST COVER UP. LONDON 1975- P.17.
4 - POST- VICTORIAN BRITAIN 1862-1951, LONDON 1982, P, 468
5 - DAVID WAINS, ASENTENCE OF EXILE CONFLICT, 1897, 1977, LONDON, P, 91.
6 - POST VICTORIAN P, 468
7 - د. عاصم حمدان: التأثير الصهيوني الصليبي على الإسلام، دعوة الحق - العدد 85، 1409هـ - 1989م، ص 14.
8 - كان عضواً عاملاً في حكومة الظل العمالية، ويقوم - دوماً - بدوره الصهيوني في مجلس العموم البريطاني بالدفاع عن القضايا الصهيونية؛ كما حدث في عام 1983م؛ بعد وقت يسير من الغزو الإسرائيلي حيث طالب بقتل مكتب منظمة التحرير في لندن.
9 - كان يعمل رئيساً لتحرير صحيفة «ستاندرد المسائية» ثم صحيفة «تريبيون» TRIBUNE ثم انتقل - بعد ذلك - إلى المجال السياسي في عام 1945م، ورشح رئيساً لحزب العمال بين 1980-1983م، انظر:
ALAN, WATKINS, REBEL WITH COMMONS, CAUSE OBSERVER NEWS PAPER & SUNDAY, 15, OCTOBER, 1989,
10 - DAVID CHILDS, BRITAIN SINCE 1945, LONDON 1984, P.49
11 - MICHAEL STAPLETON, THE CAMBRIDGE GUIDE TO ENGLISH LITERATURE. CAMBRIDGE, UNIVERSITY 1985. P.293.
12 - MICHAEL FOOT, RETROSPECTIVE WISDOM, OBSERVER NEWSPAPER, 15 OCTOBER 1989, P.49.

بعض الدارسين أن تأثير الحركة الصهيونية في السياسة العالمية كانت له جذوره العميقة في مجالات الفكر والثقافة؛ وهو ما تحاول هذه الدراسة الكشف عنه؛ من خلال الآثار العلمية التي عبر مؤلفوها - من خلالها - عن منطلقاتهم الفكرية تجاه هذه الحركة العنصرية التي تستهدف القضاء على الوجود العربي، والتراث الإسلامي (1).

ونقف - اليوم - عند شخصية من الشخصيات التي حاولت أن تقاوم الإغراءات والضغط الصهيوني؛ وهي شخصية المفكر السياسي البريطاني إرنست بيغين ER NEST BEVIN (2) مما جعله نتيجة لهذه المقاومة الطبيعية

المنبعية عن رؤية واضحة، وفكر متفرد، غرضاً لعدد من المحاولات الرامية لرسم صورة غير حقيقية عن شخصيته ومواقفه واتجاهاته.

كان بيغين يقف موقف العداء من الوسائل التي تستخدمها الحركة الصهيونية لتحقيق أهدافها وطموحاتها، ويصنفها ضمن الحركات العنصرية الشاذة (3)، إلا أن السلاح القوي الذي كانت الصهيونية تشدّرع به في الأوساط الاجتماعية والثقافية الأوربية في حقبة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وهو العمل على التذكير بالمذابح النازية، جعلت بيغين يبدو بهذه العقلية المنفتحة والصراحة المتميزة - من المنظور الصهيوني - كأنه عدو لليهود ANTI- SEMITE (4)؛ وهو ما استغلته الأوساط اليهودية، في بريطانيا؛ تهمة شنيعة لتصفقها به؛ مضيفةً إليها أنه المفكر والسياسي الوحيد، في تلك المدة، الذي يتحاز لوجهة النظر العربية في القضية الفلسطينية؛ بينما كان بيغين؛ في حقيقة الأمر؛ يبحث عن صيغة حيادية لتزمتها الحكومة البريطانية؛ في أثناء حقبتها الانتدابية؛ تُرضي الجانبين اليهودي والعربي (5)؛ كما كان يُلقى بتبعة توتر العلاقات بين الجانبين البريطاني والعربي إلى الإفراط اليهودي في الضغط على الجانب البريطاني، لتحقيق المطامع الصهيونية في أرض فلسطين (6).

ولم يسلم «بيغين» على مرور حقبة طويلة على الانسحاب البريطاني من فلسطين، وقيام الدولة الصهيونية؛ بصورة غير شرعية، ومن دون أحقية تاريخية ثابتة، لم يسلم هذا الصوت المتميز من هجوم متتابع تشنه عليه الحركة الصهيونية؛ من وقت لآخر - بعد وفاته - حدث هذا في أيلول / سبتمبر عام 1970م، في الاحتفال الذي أقامته الجمعية الصهيونية التابعة للحركة العمالية بمناسبة مرور خمسين عاماً على تأسيسها، وعلى مسّمع من زعيم الحزب - آنذاك - هارولد ويلسون HAROLD WILSON (7)، لقد تولّى هذا الهجوم على بيغين عضو من أعضاء الحركة العمالية يدعى إين ميكاردو IAN MIKARDO (8).

لقد اتهم ميكاردو «بيغين» بأنه لم يكن عدواً للصهيونية فقط؛ ولكنه - عدو لليهودية - أيضاً - وأنه كان يكون مع عدد من العاملين، في مكتب الشؤون الخارجية، مجموعة من الصبيان الذين كان لشقاقتهم المتدنية أطر متميزة يشتركون فيها مع العرب، كالتطلع إلى «الرومانسية» وحبّ الخيول؛ كما أن هجومه تضمن تهماً خلقية حاول إلصاقها بالأمة العربية؛ مما يدل على مدى الخقد الذي تنطوي عليه شخصية هذا المفكر البريطاني.

ولابد أن نشير إلى أن ميكاردو ينطلق في حماسه للحركة الصهيونية من توجهه اليساري؛ الذي يدخل ضمن دائرته المعروفة، في الفكر البريطاني المعاصر، جملة من الشخصيات؛ ذات الميول الثقافية والفكرية المتعددة، ومن أبرز هذه الشخصيات: المفكر والمنظر العمالي مايكل فوت MICHAEL FOOT (9)؛ الذي يبدو الأثر الصهيوني واضحاً في منطلقاته الفكرية، ومواقفه السياسية؛ فلقد دأب - في مطلع حياته - عن الإبراهيميين اليهود الذي كانوا يرتبطون بمنظمة «الهأغاناه» وهي منظمة سرية عسكرية قامت بأعمال إرهابية في فلسطين المحتلة في أثناء الانتداب البريطاني؛ مما دفع بالحكومة البريطانية لاعتقال بعض أعضاء المنظمة في عام 1946م (10).

القصة الأدبية في المغرب

رأى في مجموعة: «إن أياكم كان راسياً»

أم سلمى

لا شك أن الكتابة عموماً والإبداعية خصوصاً صيغة من صيغ الدعوة إلى الله التي تحمل على عاتقها هم التبليغ وهم التغيير. ومن هنا فإن الحديث عن القصة الإسلامية في المغرب يحمل في طياته إرهابات الإخبار عن طبيعة هذه الصيغة من جهة، وتحليل بعض نماذجها من جهة ثانية.

وانطلاقاً من جرد شامل للأدب في المغرب، يتبين لنا أن الاتجاه الإسلامي لم يغب عن الساحة الإبداعية على الاتصال بالغرب الذي تم مبكراً من طريق الرحلات والبعثات وغيرها من عوامل الاحتكاك الحضاري.

أ- فن إسلامي، وهو يمثل عقيدة المعسكر الإسلامي، وقد أخذ فجره - والحمد لله - ينشر أظلاله الوريقة صوب الآفاق، وتعدد خصائصه في أنه رباني كوني، إنساني، روحي، مادي، ثوري، تقدمي بالمفهوم الحق للثورية والتقدمية، يدعو إلى تغيير العالم، وصياغته صياغة جديدة في إطار المبدأ الإسلامي الخالد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. آل عمران: 110. وإن أول ما يدعو إليه الفن الإسلامي ضمن برنامجه في عمليات التغيير الترفع عن التزلف والخذاع والتناق والعصبيات الحزبية والبدع الطرقية وأوهام

أن هذا الاتجاه خفت بعد الاستقلال وحلت معه اتجاهات جديدة وقيم مستوردة. وكانت أول مجموعة قصصية تجلت فيها «الإسلامية» بمفهومها الشامل والمتفرد، كما بينتها الكتابات المعاصرة حول الأدب الإسلامي، مجموعة «الحب.. في الله» للأديب والشاعر المغربي المسلم محمد المنتصر الريسوني. وقد كانت لهذا الأديب رؤية محددة واضحة وحاسمة في أول مجموعة شعرية صدرت له، والتي يعد بها أول من نادى بإسلامية الفن في المغرب الحديث، إذ قدم لها بمقدمة وضّح فيها رأيه في الأدب الإسلامي رافضاً المزج بين الرؤية الإسلامية والرؤية الجاهلية. يقول: «إن الفن فان:

الزوايا، كما يدعو إلى تمزيق الأفتعة لخلق جبهة صامدة للرفض تواجه كل انحراف عن درب الله... ب- فن جاهلي، وهو يمثل المعسكر الجاهلي وتعدد خصائصه بإيجاز في أنه لا يتلقى إحياءاته عن الله، ولا يجد حرجاً في أن يتلقاها عن العبيد الذين تخبطوا أيما تخبط في خلق مذاهب فنية لم ترصد طاقاتها لخدمة الإنسانية، بل على العكس، عبأت قواها لتدمير الأخلاق، وإشاعة الإباحية...» (1).

وبهذه الرؤية الواضحة للفن الإسلامي يعلن الأديب الريسوني أن نجاح هذا الفن «رهن - دون ريب - بقدرته الفنان المسلم الذي يتولى تشكيله، وينقله إلينا من خلال إمكاناته الفكرية واستعداداته الثقافية، ومدى وضوح الرؤية الإسلامية في حسه، وصدق معاناته للتجربة، ومكثته أداته الفنية على استيعاب المضمون المنبثق عن تلاحم المعادل الموضوعي والمعادل الفني ساعة التأمل لحظة الخاض (2). وهذا النجاح لن يتأتى له إلا إذا ارتوى من «النبع الرباني لأنه الوحيد الذي يجب أن يرتوي منه الفنان، أي فنان، ولا يُعرج على غيره، وإلا سيكون قد شذ عن طريق الفطرة، وأثار بينه وبين الحياة نفسها خصاماً وقطيعة لا يمكن أن تزول إلا بالعودة إلى درب الله الحبيب المشرق. ولقد صدق الله تعالى حين قال: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ. الروم: 30.

وفي مجموعة الأدب القصصية «الحب.. في الله» نتبين مدى صدق الكاتب ومعاناته وهوميه في ترسيخ «الإسلامية» في الأدب بالمغرب. والقصص المكونة للمجموعة تدور حول بطولات من التاريخ

الإسلامي، ويتميز السرد فيها بالتركيز على صور الشموخ والإباء وعلى القيم الإسلامية بصفة عامة، كما يتميز بالتلقائية والمباشرة والوضوح والبساطة في التواصل مع المتلقي. وهذه خصائص تميز أدبه في جل كتاباته الإبداعية الثرية منها والشعرية.

وبعد هذه المجموعة توالى القصص القصيرة المتميزة بإسلاميتها، لكن لم تنشر في مجموعة، وإنما ظلت مستثناة في العديد من المجلات والصحف. وقد أسهمت مجلة «المشكاة المغربية» في بلورة هذا الفن الإبداعي وتقديمه بنشر نماذج مهمة ورفيعة لأدباء مغاربة تجمعهم الإسلامية في الرؤية والتصور إلى أن خرجت للوجود المغربي مجموعة قصصية للأديب أحمد رزيق الذي تميزت كتاباته بمجلة «الفرقان» بالرمزية والإيحائية التي لا تبلغ إلى مستوى الغموض، ولكن إلى مستوى التكثيف والعمق. كما تحمل كتاباته - أو جلها - همّ المعاناة التي يعيشها المسلم، وهمّ غربته وتهميشه.

وسوف نحاول - إن شاء الله - من خلال هذه الدراسة تحليل هذه المجموعة إسهاماً في ترسيخ «الإسلامية» في الفن القصصي بالمغرب، والحرص على المتابعة النقدية لبعض كتابات الأدب الإسلامي؛ فغني عن القول في هذا المجال، أن المتابعة النقدية للأدب الإسلامي - والقصة

والرواية بصفة خاصة - قليلة إن لم نقل نادرة، فمع أن هناك نصوصاً روائية وتجارب تغطي المساحة الأدبية الإسلامية، إلا أن متابعتها بالنقد والتحليل لا يتناسب مع كميتها، كما لا يتناسب مع تطلعات المبدع المسلم في اكتشاف مواضع قديمه ومعرفة مدى سيطرته على هذا اللون الأدبي أو ذاك.

منهج يحتاج إلى تأسيس

وهنا تطرح قضية المنهج في التعامل مع النص الأدبي، ولا شك أننا إذا تحدثنا عن «منهج إسلامي» يسائر النصوص المتراكمة ويغنيها بالبحث والتحليل نجد أنه لا زال قاصراً عن الإحاطة بميكانيزمات (الأدوات الفنية) النص الأدبي، وهو بالتالي بحاجة إلى المزيد من التنظير، والتنظير يعني التأسيس (4). وهذا يعني أننا بحاجة ملحة إلى معايير وقوانين جمالية وفنية تواكب تطور النصوص الأدبية وجمالياتها وتقنياتها الحديثة بغض النظر عن المضامين التي تمتع من «الإسلامية» نفسها. ولذا فإنني أتفق مع الدكتور عماد الدين خليل

حين يقول «إن الأدب والنقد الإسلاميين في أمس الحاجة للاستعانة بالتقنيات الغربية، فرغم أننا قد نرفض مضامينهم - لمجموعة من الأسباب لا داعي لذكرها في هذا المقام - لكن صيغ الخطاب الإبداعي تفرض حضورها وثقلها بسبب نضجها وتفوقها، لأنها حصيلة تراكم في الخبرة الجمالية تمتد على مدى قرون طويلة من الزمن، وهي في كل الأحوال فرصة لتحسين أدواتنا الإبداعية والنقدية» (5).

ولهذا فإنني في قراءتي لمجموعة أحمد رزيق القصصية سوف أستعين ببعض الأدوات الفنية للغرب واستثمار بعض أدواته في التحليل وطرائقه في النظر، بما قد يخرج بنا من التحليل الذي يركز على المضمون فقط إلى تحليل أكثر شمولية وأكثر عمقاً لمكونات السرد وفضاءاته، وذلك من دون أن تكون للتصورات الفكرية الغربية وأطروحاته أية أهمية أو تأثير في تصوري الفكري ورؤيتي لمعطيات الأشياء، انطلاقاً من حديث للرسول صلى الله عليه وسلم فحواه أن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحقّ بها. وبذلك يجد كل من الأدب والنقاد نفسه إزاء فرص جديدة للتعبير، وأفاق غنية للاستفادة منها من دون السقوط في مشاهات

السرد بضمير المتكلم الفاعل يؤكد تفاعل الذات مع الواقع

المذهبيات الفكرية (الأيديولوجيات) الفاسدة، والغربية عن القيم والمبادئ الحضارية الإسلامية.

قراءة في مجموعة

«إن أباكم كان رامياً»

إن القارئ للمجموعة سوف يلاحظ أنها تمثل طفرة نوعية في الأدب المغربي ككل. فمع أن لكل نص إبداعي مغربي رؤيته الخاصة التي تحمل هموماً على مستوى الذات والوطن والأمة، إلا أن نصوص المجموعة استطاعت أن تعبر عن رؤية جمالية نابغة من صميم وعي إسلامي جاد، يشير بميلاد اتجاه جديد في الإبداع القصصي المغربي يحاول إعادة الدور للقيم والمبادئ الإنسانية السامية.

ومن هذا المنطلق يمكن القول: إنها لا تدخل في إطار المفهوم الكلاسيكي السائد للقصة القصيرة بصفة عامة، هذا المفهوم الذي يتمحور حول شخصية معينة تنمو في تصاعد مع الحدث، ويحرص على إبراز مختلف التحولات التي تطرأ عليها، وبعد ذلك تأتي الخاتمة التي تحاول الكشف

عن خلاصة عملية الحكمي. ولكننا نتعامل مع نصوص تحاول أن تتسج تفرّداً في البنية الحكائية من خلال تعاملها مع تقنيات معينة يوظفها القاص لتشوير كتاباته وتجديرها في الوقت نفسه في الفعل الحضاري الإيجابي.

وبهذا تكون هذه المجموعة قد اتفقت مع المجموعة الأولى «الحب في الله» للريسوني - على بعد أطروحتيهما - الذي أعلن من بعد: «أنها تحمل صوتاً غاضباً لحملّى الله يعلن الاحتجاج على التيه الذي يجلد كرامة الإنسان في كل مكان من البسيطة، كما يعلن إدانة الجاهلية في شتى صورها المعيشة، ويحدد دون مواربة موقف الرفض من كل منهج غير منهج الله الذي ارتضاه للبشرية سواء أكان غريباً أو شرقياً» (6).

ونلاحظ في المجموعة التي بين أيدينا «إن أباكم كان رامياً» أن ما يستقطب اهتمام القاص على طول المجموعة أبعاد العلاقات بين الذات الحضارية وما يحيط بها من إحباطات وتهميشات وخيبات أمل، راصداً الواقع المهيمن وتأثيره في سلوكيات الفرد والجماعة رصداً فنياً من خلال نسج سردي متميز ومكثف. ولذا فإننا لا نجد فيها شخصيات يدور حولها الحكمي بقدر ما نجد أن الشخصية الرئيسية في جل قصص المجموعة هو إنسان هذا الزمن المهتمش، والغارق في مشاهات الهيمنة الداخلية أو الخارجية.

غربة داخل فضاء الزمان والمكان

وإذا نحن حاولنا تأطير المجموعة في إطار مضموني عام، نجد أن السارد يركز على تهالك الإنسان ومأساته ومعاناته المستمرة انطلاقاً من المستوى الذاتي والمحلي، إلى المستوى الخارجي والجماعي. فالإنسان في حكيه يعيش غربة مستمرة داخل فضاء زمني ومكاني شاسع ومسترامي الأطراف «فمن وجدة والخليل تدوب كل المسافات ويمسي الفتك الماحق ونسيح الخدعة الحضارية وجهاً أصفر بلا قناع، فال «هنا» مساوٍ لل «هناك» والزمن دائرة مميته، لرحاها جعجعة وجعجعة ولا طحين، وعلى ثفالها أكباد عضن من درن ودم وعرق، وحول الدائرة حلقّت الدمى مرددة: اليوم خمر وغداً خمر» (7). إن المسافات لديه تنقلص لتصبح المعاناة واحدة مادامت تصدر عن شعب مسلم، يقول في قصة «إن أباكم كان رامياً» وهي

القصة التي سُميت المجموعة باسمها:

«ما هذا اللباس يا ابنة.. أتخسسين نفسك في العصر الجاهلي..»

وبُعث صحفي الأرض المحتلة وهو يتلقى الرد من إحدى الطالبات: قل نار جهنم أشد حراً..
وما بين وجدة والخليل كانت المستوطنات تنتشر كالوباء، واحدة هنا والأخرى هناك وثالثة ورابعة.... يتقلص حلم الدولة تمتد من النهر إلى البحر حتى يغدو مخيماً أو خيمة أو شبراً أي شبر ويغوص الفرقاء في الجدل..

وهكذا يتبين لنا أن المجال السرد الذي يسيطر ويهيمن بشدة على المجموعة كلها هو الاحتلال سواء كان هذا الاحتلال داخلياً أم خارجياً. قصة «من مذكرات منجمي» مثلاً يذوّها القاص: «كنا نتخطى في رهبة عتبة المنجم، رغم أننا ألفناه حتى صار يشكل قطعة منا. لم نكن ندرى ما مصدر هذا الخوف وهذه الرهبة: أهو الانتقال من السطح حيث الأهل والأحبة والحياة إلى الباطن حيث الموت الزؤام يهتبل غفوة غاف أو التفاتة ملتفت ليضرب بعنف؟ أهو الانتقال من عالم النور والضياء، الذي نخرجه رغم عنف الواقع، إلى عالم العتمة والظلام الدامس؟ أهو الخوف مما يخبئه قلب المنجم من مفاجآت تبدأ بالإهانة وتنتهي بالموت مروراً بالطرود والتوقيف؟ أم

وما تزال، الضائع بين خدوش القعر وترابه، إذن فلا سبيل للإفلات من طاحونة الواقع الأسن: هذه قاعدة الهرم، ومن هنا يأخذ في السمو» (9).

والسرد هنا نابض بمشاعر حية ومرتبطة بضمير المتكلم الفاعل الذي يؤكد تفاعل الذات بالواقع والتحام هذه الذات بالبنية السردية على امتداد النص المحكي، فلا يكتفي بالوصف الخارجي أو الجواني أو السرد الموضوعي للحدث، وإنما يرتبط بالصور المركبة التي تتخذ موقع الواقع من جهة، والموقف من هذا الواقع ومشاركة المتلقي عبر قنوات خطابية معينة كالضمائر المباشرة (الكاف - أنت..) والقاء الخبر الذي يستشف منه تنزيل غير العالم منزلة العالم الخبير بالدهاليز التي يسرد حكاياتها السارد من جهة ثانية. يقول: «أذرع الأخطبوط كثيرة ومتشابكة، إن أفلتت من (الحشة) ولم يهشم رأسك أو أطرافك لأحقك عسف الكبار ونعيق الوسطاء والتوقيف... ومشائق لا أول لها ولا آخر... وهكذا تظل دوماً محاصراً شئت ذلك أم أبيت، فأذرع الأخطبوط كثيرة ومتشابكة» (10).

وهذه المشاركة بين السارد والمتلقي تجعلنا نتساءل عن إمكانية دراسة المجموعة من زاوية مستويات التلقي في إطار الصورة كما فهمها

نحن في حاجة إلى معايير جمالية وفنية تواكب تطور النصوص الأدبية وجماليتها

البلاغيون القدامى مع تطعيمها بما توصلت إليه دراسات جمالية التلقي في النقد الغربي.

وعلى السوداوية التي تطبع السرد والمأساوية في عرض الأحداث التي تجري في الباطن، فإن السارد يأتي في نهاية القصة بحدث يحدد موقفه وهو انهيار الجبل، ومن ثم انهيار المنجم على مجموعة من العمال الذين كانوا يشتغلون داخله. هذا الحدث يؤكد به عبثية الحياة التي يعيشها إنسان اليوم المهمش، خاصة الذي يستعد عن المعنى الحقيقي للوجود الإنساني فيظل يدور في دوامة البحث عن الحيز والجنس. والسارد لا يأتي بالحدث كي يزيد من تعميق الإحساس بالمأساة، ولكنه يعبر به عن بداية الرجوع إلى الطريق المستقيم الذي يبدأ به التغيير على المستوى الذاتي والجماعي. يقول:

هو شيء آخر، على كل، لم نكن نستطيع تحديد مصدر هذا الخوف المبالغ... (8).

المأساة والأمل

وتدور القصة كما يتبين لنا من عنوانها حول منجمي يحكي عن معاناته اليومية مع الباطن: باطن المنجم وباطن نادي المستخدمين وباطن الأحياء القدرة التي يعيش فيها مع أمثاله من العمال المقهورين الذين ينفسون عن كآبات اليوم وأحزانه بالفرار إلى الحمر. يقول: «أحس برطوبة الباطن الذي لا يرحم، تطاردني فتتسلل إلى دماغي رغم حرارة الجسد، تعانق عيني للمرة الألف اللافتة الزاهية المثبتة عند مدخل هذا السديم (نادي المستخدمين). وتحول اللافتة في زمن الانتشاء والحلم إلى شوك وإبر تنبه حواسك التي أخذت تتبلد بأنك المستخدم، كنت

«قلت يومها من هنا ينبغي أن يبدأ الرفض. لن يغير الله ما بنا حتى نغير ما بأنفسنا» (11). وهكذا يختم السارد قصته بموقف واضح وجلي لا تردد فيه ليتجاوب مع رؤية القاص وموقفه يقول: «بعد ما استرجعت وعيي علمت أنني نجوت من حادث انهيار الجبل بأعجوبة، أما علال وإبراهيم فقد صرعتهما الحجارة وأطنان التراب التي تدفقت في قسوة من كل جانب.. وكانت تلك آخر ضريبة سدّوها من دمائهم، تساءلت وقتئذ هل كُتب عليّ أن أعيش لأستمر في دفع أقساط ضريبة الاستغلال الحيواني حتى آخر رمق من حياتي؟ وجاءني الرد بعد شهر أنه قد كُتب عليّ أن أركب موج الرفض، وربّاني استعلاء إيماني يرفض الاستغلال بكلتا قدميه ويقودني لإحدى الحسينين» (12). وهذه الخاتمة المفعمة بالأمل والحلم بغد أفضل يمكن عدّها خصيصة من خصائص الأدب الإسلامي الذي يظل عنده باب الأمل في الله مفتوحاً دائماً؛ لأن الأديب يؤمن أنه ما على الإنسان إلا العمل ليأتي التغيير لا ريب فيه. وهاهو ذا كذلك في قصة «دير البلع والناهب الأفعواني» التي يتميز السرد فيها بشفافية بالغة يقول: «قلّبت الصورة في رأسك مرات متتالية، يجب ألا تسقط، يجب ألا يغتالك حلمك، هنا دُفن محمود حياً في الرمال، وهناك هشّموا ذراعاه، تحسّس قلبك في عتمة الليل البارد والعاصف، تسفيك ريح الصحو أيها القلب! إن لم تشتعل عشقاً، عشقاً، تسفيك ريح الصحو إن لم تشتعل عشقاً» (13). ويقول قبل ذلك متوحداً مع الزمن الماضي والزمن الآتي: «ما أجمل أن يشعر المرء بالتوحد المطلق مع القمم الشامخة التي صنعت فجر الأمة أول مرة، ما أجمل أن يحس أن صرخة: الله أكبر، وأحد أحد، تترقرق صافية من بين حناياه التي أضناها السوط والإبعاد... هي امتداد كوني صادق لصرخة بلال أو سمية...» (14). ومثل هذه الرؤية وهذا الموقف هما اللذان يُمدّان شرارين الأدب الإسلامي بدماء التحدي والمواجهة.

أما الفضاء المكاني في المجموعة فهو عبارة عن شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر تتصافر جميعها لتشيد فضاء عام تجري فيه الأحداث. فعلى محدودية المكان الذي يجري فيه الحدث إلا أن الرؤية المكونة للمنظور الفكري للقصص تجاوزت المكان الضيق إلى مكان شمولي عام يعيش في واقعه الإنسان المسلم من وجدة إلى الخليل. وهو مكان

الأخضر الثاوي خلف تجاعيد الحزن وزفرات الألم، تنزل من الحافلة، وتتجه بخطوات وثيدة نحو البيت، وهاتف قوي يصرخ في أعماقك: يا صنّاع الفجر الرباني، لقد سئمتنا ومللنا، فاسقونا من كوثر كم، اسقونا من كوثر كم...» (20). كما أن نقل الأمثلة الشعبية من محيطها التداولي العام إلى محيط تداولي خاص يؤكد محاولة السارد شرح الزمن المحدود إلى محاولة الانفتاح على أزمنة توطر التوجه الفكري السائد، وفي الوقت نفسه تعمل النصوص الغائبة الموجودة بكثرة في النسيج السردى على توجيه الوعي ببتها من زمنها المحدد ونسجها في الزمن الحاضر. ولذلك يمكن أن نلاحظ أن القصص كلها لا تحكي حوادث جرت في زمن معين، وإنما تحتوي على أبعاد غير منظورة تنبع من وعي الكاتب بواقع الذات الحضارية أولاً ومن رؤية فكرية محددة لديه ثانياً من أجل استرجاع الفعل التائه من وسط أدغال الخدعة الحضارية.

ومن الملاحظ أن التناص يطغى على امتداد النصوص ابتداء من العنوان «إن أباكم كان رامياً» لاسترجاع فعل الجهاد والتضحية الذي كان سائداً في الماضي.

أما اللغة الواسفة في المجموعة فتتميز بتركيز القاص على الحالة النفسية الذاتية والجماعية وعلى المواقف، فجاءت اللغة مشحونة بتعابير وتراكيب تعكس تلك الحالة. كما تتميز أيضاً بكثافة شعرية ملحوظة. وهذه الكثافة لا يأتي بها القاص من أجل التزيين الجمالي فقط ولكنها داخلية في نسيج البنية السردية، مما يزيد في تعميق الحدث وتثويره وتحذيره في الوقت نفسه في الفعل الحضاري الإيجابي.

الهوامش

- 1 - مجموعة على درب الله، ص 8 - 9.
- 2 - المصدر نفسه ص 7.
- 3 - نفسه ص 11.
- 4 - د. عماد الدين خليل في حوار له مع الأستاذ سعيد ماجد الكرواني في مجلة المتعطف، العدد 716 - 1993م - ص 203.
- 5 - نفسه ص 201.
- 6 - مجموعة على درب الله، ص 10 - 11.
- 7 - مقدمة إن أباكم كان رامياً، ص 10.
- (8 - 20) مجموعة إن أباكم كان رامياً، الصفحات: 13 - 18 - 16 - 35 - 35 - 78 - 76 - 60 - 60 - 68 - 67 - 103.

للقاص، برغم المحدودية الزمنية التي يتم فيها السرد، (انطلاقة الحافلة من مكان معين على متنها السارد إلى أن تصل إلى نهاية الرحلة) أن يتجاوز المرحلة الزمنية ليساعق الرؤية التي توطر منظوره الفكري والحلم الذي يصبو إليه بوصفه كاتباً إسلامياً يريد تجاوز الواقع المتعفن الذي تهيمس عليه الغلبة الإسرائيلية إلى واقع أفضل يحلم به ويكافح من أجله يقول: «تمسح وجوه العشرة لبرهة بعينيك، وتحلم في إغفاءة القطيع بقومة المستضعف ترسم في الأفق البعيد صورة النصف، رايات تنهاوى، كمادات قهر تتمرّق، أصنام وعجول سامرية تقطع إرباً إرباً، لترمس إلى الأبد. وجباه الموحدين وقد انقشع عنها غيم الغربة، تعلو لتعانق هدير الغضب نحن من خرجنا من أصلاب المستضعفين، نقضم حبل أيامكم ونوقف زحف الزمن العبراني الأعور، ونعلن للعالم أننا المهاجرون ندشن الآن زمن الفتح الرباني الجديد. تهلل نسيبة أم حبيب وهي تدق الرمح في أحشاء مسيلمة ويهوي معاذ بن جبل بفأسه على كل أصنام المدينة... تصحو فيك ملحمة بدر وبطولات كل الصحابة والتابعين صنّاع الفجر في كل مكان، تهتف خلاياك كل خلاياك: يا أيها المهاجرون لزمن الفتح الرباني الجديد اسقونا من كوثر كم، اسقونا من كوثر كم...» (18).

الرؤية المكونة للمنظور الفكري تجاوزت المكان الضيق إلى مكان شمولي عام

لكن الواقع يحضّ الكاتب على العودة إلى محيطه الزمني الذي يعايشه يقول: «وخارج دائرة الحلم، نكتك جراحك أيها الصاحب، وأجل زمن الولادة والانسياب إلى أجل نعلم فيه علم اليقين أن بيع جلد الدب قبل صيده حماقة كبرى لا تغفر» (19). لكن هذا الواقع لا يسيطر عليه فهو - كما قلنا سابقاً - يحاول الانفلات منه ويريد تسطير واقع آخر ينبت في المدة الزمنية ذاتها يقول: «الحافلة تقترب من المحطة الأخيرة وصوت زبيرة التي عذبت يبطحاء مكة حتى عميت ملاماً عليك كيائك، ويدك كل معاقل الخوف والدهشة فيك: أحد... أحد... أحد... ورغم انبعاثه متقطعاً وخافتاً عبر الحقب كان قادراً على أن يفكك شحنة الخوف التي ركبته منذ فترة.... وتبدأ رحلتك زحفاً على المرافق باتجاه حلمك

صاغه بطريقة تحليلية دقيقة مجموعة من التعابير الموحية التي تدفع بالمتلقي إلى العيش في ذلك المكان والإحساس بتأثيره وضغطه المستمر. وبهذا يكون وصف المكان عنده يخدم طبيعة الحالة النفسية والاجتماعية المعيشة.

مفهوما المكان والزمان

أما تعرف المكان فإنه يتم عبر التدرج في الرؤية. فمثلاً نجده يقدم قصة «حالة توحد مع صهيب» كالتالي: «في البدء كانت صومعتان وخمس مداخن...» (15). وداخل هذا الفضاء المكاني المحيط تتدرج الرؤية من النور إلى الظلام يقول: «ونحن من استهلكنا دروب هذه الحياة الرهيبة فعلقناها وقعدنا مع القاعدين، ننسج كل يوم حلة المستقبل الزاهر الذي لن يأتي أبداً... وكلما ازداد هيامنا تنهاوت المراحل أمامنا... حتى نفاجأ بأن سكرتنا الصوفية لم تكن إلا مجرد وهم وخداع وأن الأندال من اليهود قد نزعوا خطام البعير من أيدينا وألقوا بنا خارج حدود شعبهم المختار...» (16).

أما فيما يتعلق بالمفهوم الزمني في المجموعة فنلاحظ أنه يشكل بعداً أساسياً من الأبعاد المكونة للنص السردى. ففي قصة «ياشهداء اسقونا من كوثر كم» نرى القاص مثلاً يستخدمه على مستويين: مستوى المكوّن الإبداعي الجمالي الذي لا

يقتصر على عملية التقديم والتأخير والتذكير، وإنما يتجاوزه إلى ملاحقة القاص لمشاهد غائبة عن سيروية الزمن الحالي لتؤثر في النسيج السردى. يقول: «تصعد نفساً حاراً. وتود في لحظة غضب لو أن ذلك الجندي العين أفرغ رصاصاته في صدرك فأراحك وأراح العباد من غضبتك وعنف كلماتك... هاهي ذي كلماته ترن من جديد في رأسك وهو يخاطب زميله الذي صوب بندقيته باتجاه صدرك الذي كان حينها يعلو وينخفض من هول المفاجأة ومن استسهال الشافهين للقتل وسفك الدماء...» (17). فهذا مشهد من المشاهد التي تمت في زمن سابق لزمن السرد احتل موقعاً بارزاً في عملية الحكى وأضفت بعداً جمالياً على النص كله. مستوى الرؤية والحلم: وهذا المستوى قد أتاح

دَلَالَةُ «أَوْ»



الشيخ أبو عبد الرحمن
ابن عقيل الظاهري

ذكر

الزركشي من وجوه الترجيح بين الأقوال والآراء (عند الاختلاف في تفسير النصوص) رد الجملة إلى ضدها، فقال: «رد الكلمة لضدها كقوله تعالى: ولا تطع منهم أثماً أو كفوراً». الإنسان: 24، أي ولا كفوراً.. والطريقة أن يرد النهي منه إلى الأمر، فتقول معنى: أطع هذا أو هذا: أطع أحدهما.. وعلى هذا معناه في النهي: ولا تطع واحداً منهما».

قال أبو عبد الرحمن: إن «أو» في قوله تعالى: ولا تطع منهم أثماً أو كفوراً تحتل معاني، وقد بين ضد هذه الصيغة أنها هاهنا بمعنى «لا».

والجملة هاهنا ناهية، وضدها الأمر، فإذا حولتها إلى ضدها كانت هكذا: أطع منهم أثماً أو كفوراً، فأو حينئذ للتخيير بمعنى أطع أحدهما.. فإذا أدخلنا أداة النهي كان المعنى: لا تطع واحداً منهما.. فهذا ضد أطع أحدهما. والزركشي عبر بضدية الكلمة،

والمراد بضدية الجملة، وعبر المباشرة بالضدية المباشرة، والمراد بضدية المعنى في ماله؛ لأن الجملة في النفي والإثبات باقية بمفرداتها لا بأضدادها، وإنما الضدية في تحول الجملة من نفي أو نهي إلى إثبات.

ولم يمثل الزركشي بغير مثال «أو» في مثل هذا الموضع، ولو ذكر أمثلة لأدوات غير «أو» لكننا نعد الوجه الأول قانوناً في الاستنباط، وإنما ذكر معنى حرف من حروف المعاني فرغ منه النحاة والعلماء.

فمنهم من قدر معها «لا» للنهي عن طاعة أي واحد منهما.. قال علاء الدين الإربلي: «إذا دخل حرف النفي أو النهي على الإباحة: فقد رفعها.. فلا يجوز له فعل شيء منهما».

ولأنه (1) معها (2) كان له فعل أحدهما أيهما أراد، فينتفي الجائر (3)، فيلزمه المنع مطلقاً، وتبقى «لا» مقدرة مع الثاني كما في قوله تعالى: ولا تطع منهم أثماً أو كفوراً تقديره: ولا كفوراً (4).

ويمكن أن يقال: إنه عند الإباحة أبيض

له واحد لا بعينه (5)، فنهيه عن واحد لا بعينه يستلزم نهيه عنهما؛ لأنه إذا باشر أيهما كان يكون قد خالف ما نهى عنه، والإطناب في هذا موكول إلى فنه (6).

قال أبو عبد الرحمن: اكتفى الإربلي بتقدير «لا» وحينئذ تكون حصيلة التقدير هكذا: ولا تطع منهم أثماً أو لا تطع كفوراً.

وهذا التقدير يحيل المعنى، فلا بد من تقييد التقدير بأحد أمرين:

أحدهما: أن تقدر «لا» كما قال الإربلي وتكون «أو» بمعنى الواو كما قال سيويو والمبرد وغيرهما، فتكون حصيلة التقدير حينئذ: ولا تطع منهم أثماً ولا تطع كفوراً.

وثانيهما: أن أو عطف للإباحة أو التخيير، فهي على بابها في عطف فعل المنهي على فعله، فحصيلة التقدير: لا تطع أثماً أو تطع كفوراً.. وسلط النهي مرة واحدة على الفعل الأول وهو طاعة الآثم، ودخل في حكمه برابطة أو

العاطفة الفعل الثاني وهو طاعة الكفور.
فكان مآل المعنى برابطتي النهي والعطف: لا تطع آثماً، ولا تطع كفوراً.
وقول الإربلي: «ويمكن أن يقال.. إلخ»: يستغنى عنه بما قرره العلماء من كون أو تأتي للتخيير، وتأتي للإباحة..
قال ابن عبد النور: «والفرق بين التخيير والإباحة أن للمكلف المخاطب أن يجمع بين الشيئين في الإباحة وليس له ذلك في التخيير.. يفعل أحد الشيئين ويترك الآخر، وإن تركهما معاً عوقب أو ذم، وكذلك إن جمع بينهما.
وتظهر هذه الفائدة في الأحكام الشرعية في علم الأصول» (7).
قال أبو عبد الرحمن: إذا جعلت الضد الإباحة في قول: أطع آثماً أو كفوراً: كان المعنى جواز إطاعتها معاً، وجواز إطاعة أحدهما، وحرمة مخالفتها معاً.
فلما وردت أداة النهي امتنعت إطاعتها معاً بمدلول التنافي بين الأمر والنهي، وامتنعت إطاعة أحدهما لأن الأداة مسلطة على الأول مباشرة، وعلى الثاني بالعطف، فالمآل عصيانهما بإطلاق.
وإذا جعلت الضد التخيير في قول: أطع آثماً أو كفوراً: كان المعنى النهي عن إطاعتها معاً بمدلول التخيير، وإباحة إطاعة أي واحد منهما دون الآخر، والنهي عن عصيانهما معاً.
فلما وردت أداة النهي بقي امتناع طاعتها معاً بمدلول أداة التخيير، وامتنعت إطاعة أي واحد منهما وحده بمدلول التنافي بين الأمر والنهي.

ومن العلماء من جعل أو هاهنا بمعنى الواو ولا معاً.. قال ابن أم قاسم: «ذكر بعض النحويين أن «أو» تأتي بمعنى «ولا».. وأنشد:

لا وجد ثكلي كما وجدت ولا
وجد عجل أضلها ربع (8)
أو وجد شيخ أضل ناقته

يوم توافي الحجاج فاندفعوا
أراد: ولا وجد شيخ.

وذكر ابن مالك أن «أو» توافق «ولا» بعد النهي، كقوله تعالى: ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً. الإنسان: 24، وبعد النهي كقوله تعالى: أو بيوت آبائكم. النور: 61.

والتحقيق أن «أو» في قوله تعالى: أو كفوراً هي التي كانت للإباحة، فإن النهي إذا دخل في الإباحة استوعب ما كان مباحاً باتفاق، وإذا دخل في التخيير ففيه خلاف.. ذهب السيرافي إلى أنه يستوعب الجميع كالنهي عن المباح، وذهب ابن كيسان إلى جواز أن يكون النهي عن كل واحد (9)، وأن يكون عن الجميع (10).

قال أبو عبد الرحمن: لا تأتي «أو» بمعنى «ولا».. والذي جاء هاهنا بمعنى «لا» إنما هو مدلول ضد النهي.

و«أو» في البيت للإيهام، وإنما جاء معنى «ولا» من دلالة النهي، فأوهم اشتباه منفي بمنفي لإثبات وجَدٍ مُفْعَمٍ غير متصور.

وأما الآية الكريمة فقد مضى الكلام حولها.

وقال ابن هشام خلال كلامه عن أو بمعنى الواو: «ومن الغريب أن جماعة

منهم ابن مالك ذكروا مجيء أو بمعنى الواو، ثم ذكروا أنها تجيء بمعنى «ولا» نحو: ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم. النور: 6. وهذه هي تلك بعينها، وإنما جاءت «لا» تأكيداً للنفي السابق، وممانعة من توهم تعليق النفي بالمجموع، لا بكل واحد، وذلك مستفاد من دليل خارج عن اللفظ وهو الإجماع، ونظيره قولك «لا يحل لك الزنى والسرقة» ولو تركت «لا» في التقدير لم يضر ذلك» (11).

وقال: «التحقيق أن «أو» موضوعة لأحد الشيئين أو الأشياء، وهو الذي يقوله المتقدمون، وقد تخرج إلى معنى بل، وإلى معنى الواو، وأما بقية المعاني فمستفادة من غيرها» (12).

قال أبو عبد الرحمن: أو في آية ولا على أنفسكم: على بابها للإباحة، وهي عطف فعل الأكل في بيوت الآباء على فعل الأكل في البيوت السابقة، وجاء معنى النهي من أداة «لا»، وتجرد «أو» من معنى الإباحة، ولم يبق لها غير معنى العطف، فصارت بمعنى الواو.

والحقيق أن الأصل في «أو» أنها للتخيير.. أي لواحد من الشيئين أو الأشياء دون الجمع بينهما، ولهذا تقول:

خذ هذا، أو هذا، أو هما معاً.
ولو أفادت في أصلها الجمع لكان قول «أو هما معاً» لغواً.

ويحصل بدلالة من خارج أو إضافة معنى إلى المعنى الأصلي، فقوله تعالى عن الكفار: لبثنا يوماً أو بعض يوم. المؤمنون: 113 لأحد الشيئين (اليوم، أو بعضه) إلا أن هذه الأحدية على وجه الشك لدلالة

السياق، ودلالة الواقع أنهم لبثوا آلاف السنين.

وقوله تعالى: **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**. سبأ: 24 جاءت أو لأحد الفريقين المتكلمين أو المخاطبين، وهذه الأحدية على سبيل إبهام الفريق الذي يكون على هدى، وعرف الإبهام بدلالة السياق.

وقولك: **تزوج هنداً أو أختها لأحد الفتاتين**، والأحدية على التخيير؛ لأنه علم شرعاً أن الجمع بينهما لا يجوز. وكون ترك الزواج من إحدهما معصية يقوم على دلالة صيغة الطلب والقرائن الأخرى.

والتخيير قد يكون إباحة لا عزيمة.. إلا أن ميزة التخيير على التقديرين أن لا يجمع ما دخلت عليه أو، وله أن يتركهما معاً إن كان التخيير تخيير إباحة. وقولك: **جالس محمداً أو زيداً** أو من شئت لأحد الأعلام على سبيل الإباحة لدلالة «أو من شئت».

وإذا قام دليل الإباحة فله أن يجالسهم جميعاً، وله أن يجالس أحدهم، وله أن لا يجالسهم مطلقاً.

ودليل الإباحة من خارج.. أما أو فلأحد الأعلام فقط.

ولا تكون أو بمعنى الواو.. وإذا دخل النهي أو النفي في الجملة فإنه يسلبها معانيها فلا يتبقى إلا معنى الواو من العطف والإشراك في الحكم.

أما قول الشاعر جرير:

جاء الخلافة أو كانت له قدراً

كما أتى ربه موسى على قدر

فأو ليست بمعنى الواو، بل لأحد الأمرين: إما مجيئه أو مجيء الخلافة.

وهذه الأحدية على الشك أو الإبهام حسب القرائن.

على أن البيت روي هكذا: **إذ كانت له قدراً**.

وقوله تعالى: **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِثَّةٍ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**. الصافات: 147 لأحد الأمرين: المئة، أو الزيادة.

ثم يبحث في دلائل من خارج هل هذه الأحدية إبهام من المتكلم، أو شك من الجبل المعاصر لهم، أو إضراب.. ودعوى الإضراب ضعيفة هاهنا لانتفاء الخلية البلاغية.

وهكذا هي في قولك: **الكلمة اسم، أو فعل، أو حرف**.

ومعنى التقسيم جاء من دلالة خارجية، وهي وجود جهة قسمة جامعة. وجهة القسمة الكلمة.

وقولك: **لأقتلنه أو يسلم على بابها لأحد شيعين القتل كافراً، أو الإسلام غير مقتول**.

وليست بمعنى «إلا» في ذاتها، وإنما مآل الكلام إلى معنى الاستثناء؛ لأن صفته غير مقتول أنه مسلم، فالسياق قيّد قتله بكفره، فكانت صفة الإسلام مستثناة من حكم القتل.

وهكذا قولهم **إن «أو» بمعنى «إلى» في قولك: لألزمك أو تقضييني**، فنقدر من الكلام ما يجعلها على بابها فنقول: **لألزمك غير مقض لي، أو تقضييني حقي فلا أمسك بك**.

وهكذا: **ما أدري أسلم أو ودع لأحد**

الأمرين على سبيل الشك.

وأما دعوى التقريب - وقد ذكرها الحريري - فهي غاية المتكلم وقصده من جعل الأمرين على الشك.

وقولهم: **لأضربنه عاش أو مات على بابها.. أي لأحد الأمرين**، العيش بعد الضرب، أو الموت بعده، فالحالات على الاحتمال بعد الضرب.

وأما معنى الشرط الذي ذكره فدلالة الجملة؛ لأنه أوقعها على الشرط.. أما أو فلا تزال على بابها من الشك في أحد الاحتمالين.

وهكذا قوله تعالى: **كونوا هوداً أو نصارى**. البقرة: 135، على بابها لإحدى الطائفتين، وإنما جاء معنى البعضية الذي ذكره من معنى التقسيم، إذ قام دليل خارجي على أن المراد: **ليكن بعضكم هوداً، وليكن بعضكم نصارى**.

الهوامش:

(1) أي لأن النهي.

(2) أي مع الإباحة قبل النهي والنفي.

(3) يدخل حرف النهي أو النفي.

(4) أي ما دام النفي والنهي يشمل الأمرين فيلزم تقدير أدائهما - وهو حرف «لا» - قبل المنفي الثاني، أو المنهي عنه الثاني.

(5) هذه حقيقة التخيير.. أما الإباحة فتعني أنه أباح له أكثر من واحد.

(6) جواهر الأدب للإربلي ص 260.

(7) رصف المبانى، ص 131.

(8) العجول: التكلّي والواله من النساء والإبل، وهي التي فقدت ولدها.. قالت الخساء:

فما عجول على بو تطيف به

لها حنينان إعلان وإسرام

والربيع يضم الراء المشددة وفتح الباء الفصيل ينتج في الربيع.

(9) إذا كان النهي عن كل واحد فهو نهى عن الجميع.. وقوله آخر العبارة: «وأن يكون عن الجميع»: يعني أن مراده أن يكون النهي عن واحد منها لا بعبته.

(10) الجنى الداني، ص 230 - 231.

(11) المغني، ص 90.

(12) المغني، ص 95.



فراج الطيّب السراج:

لا يضيق بالنقد

إلا ذو النجاج المهزول

أجراه من قسم التحرير:
حسين حسن حسين

خطر على الشعر العربي، وعلى أذواق قرائه؛ لأن الوزن هو أساس الشعر العربي، فإذا فقد الوزن لم يعد شعراً.

وهذا الشعر لا يأتيه إلا قليلو الموهبة الذين فقدوا السليقة، وانعدمت لديهم الذائقة، ولم تكن موهبتهم الشعرية أصيلة، بحيث تتيح لهم أن ينتجوا شعراً وفق قواعد العرب الأقدمين الذين سطوروا لنا درراً من الكلم، وتركوا تراثاً ضخماً من الشعر الأصيل الذي ينبغي أن نتخذة نموذجاً نحتذي به.

- ولكن دعوتك إلى التمسك بأصول الشعر القديم، يراها بعضهم ردة، وتناقضاً مع مقتضيات التطور والتجديد..

* يراها ردة لأنه هو نفسه مرتد عن أصوله وجذوره، وفي هذا أقول:

وهل يجدد إلا كل ذي بصر

بالشعر يعرف ما يأتي وما يذر؟

لكنه مرض التقليد تنشره

قرودنا بين أغرار فينتشر

فتجديد الشعر لا يمكن أن يقوم به إلا من عرف القواعد التي ينبنى عليها صحيحه، وهذه المهمة لا يضطلع بها إلا من كانت

فراج الطيب السراج، لغوي وأديب وناقد سوداني، يتهمه كثيرون بأنه من الذين يعارضون التجديد سواء في اللغة أو في الشعر، وأنه من الذين يتكلمون لغة غير لغة هذا العصر. وجاءت المقدمة التي افتتح بها قصيدته التي ألقاها في المهرجان الوطني الحادي عشر للتراث والثقافة (الجنادرية)، وهاجم فيها شعر الحداثة؛ لتثير كثيراً من الأسئلة حول موقفه من بعض قضايا اللغة والأدب.

ويأتي هذا الهبوط في مستوى الشعر متفقاً مع الهبوط العام في مستوى جودة اللغة العربية، وفقدان اللغة كثيراً من رونقها وبهائها، كما أن هذا الهبوط ليس وليد اليوم وإنما بدأ من أجيال سبقت.

- في مقدمة قصيدتك التي ألقيت في الأمسية الشعرية، التي تمت ضمن نشاطات مهرجان الجنادرية، تناولت شعر الحداثة. إلى أي حد ترى هذا الشعر خطراً على شعر القافية؟

* شعر الحداثة الذي لا يقوم على الوزن فيه

في هذا اللقاء - الذي حاولنا قدر الإمكان أن يكون شاملاً وحاملاً لكثير من آرائه - يدافع فراج الطيب عن موقفه ووجهات نظره حول تلك القضايا بكثير من الصدق والصراحة. - هناك من يقول إن الشعر من الأجناس الأدبية التي تراجعت مستويات الإبداع فيها؟ ما رأيك في ذلك، هل تتفق معه أم تختلف؟

* نعم هناك كثير من الشعر المعاصر هبط مستواه عن مستوى الشعر العربي القديم من حيث تدني لغته، ومن حيث الخلل في أوزانه وصياغته وتدني مضامينه.

ملكته الشعرية أصيلة عميقة الجذور، أما أن يهذي بعضهم بعبارات غير مفهومة، حتى يُخيل إليه - من خواء مألديه - أنه جدد الشعر العربي، فهذا لا يتفق مع أصول التجديد ومقتضيات التطور.

- فماذا قدم النقد الأكاديمي للشعر؟

* النقد الأصيل منه قدم كثيراً للشعر والشعراء من التوجيه والتقويم.

- هل تؤيد تطبيق مناهج نقدية غربية على

نصوص عربية؟

* تطبيق المناهج النقدية الغربية على النصوص العربية خطأ كبير، لأن اللغة العربية تختلف عن غيرها من اللغات؛ لأنها لغة غنية جداً، ويكفي أنها حوت القرآن الكريم بكل ما فيه من إعجاز إلهي. ولغة بهذا الثراء لا يمكن أن تخضع لقواعد يضعها أعاجم لا يعرفون أسرارها، لأنهم حين وضعوا قواعدهم هذه كان تفكيرهم منصّباً على لغاتهم وخصائصها التي لا يمكن أن تداني خصائص اللغة العربية، ومن ثم يصعب أن تتسع مناهجهم النقدية للغة تفوق لغاتهم ثراء ومعنى.

- فمتى يكون النقد إغناء لنساج

المبدع؟ وإلى أي مدى تهتم به؟

* يكون النقد إغناء لنساج المبدع

إذا كان نقداً صادقاً وأصيلاً وصادراً عن عالم به. فمن أهم أسس النقد البناء أن يكون الناقد عالماً بأسرار

النص المنقود. فمن ينقد شعراً عليه أن يكون شاعراً أو متدوّناً يدرك طبيعة الشعر ولغته، لأن للشعر لغة خاصة. وعليه أن يكون على صلة بتراثنا الشعري على امتداد عصوره وأزمانه، حتى يستطيع أن يحكم على ما في النص الشعري من صور وأخيلة. وهذا الصنف من النقاد يغني معارف الشاعر ويثري لغته، لأنه يكون حريصاً على إظهار الإيجابيات والسلبيات، أما أن يكون النقد تجريحاً ومحاولة للنيل من صاحب النص الشعري من دون إبراز ما قد يكون فيه من نواح جيدة، فهذا لا يكون نقداً، وإنما يكون معولاً من معاول الهدم لا أداة من أدوات التقويم والبناء.

- ولكن الضيق بالنقد حالة عامة بين

الأدباء، لماذا؟

* لا يضيق بالنقد المنصف إلا ذو النتائج الغث المهبزل الذي يخشى أن يفتضح أمره، وأن تبدو عيوبه. أما الشاعر الأصيل الموهبة الواثق من نفسه ومن جودة شعره فلا يخشى نقداً، وكذلك المبدع في أي مجال كان، حتى لو كان هذا النقد متجنياً.

- يقول كثيرون إن مصطلح الأدب

الإسلامي بدعة معاصرة.. ما تعليقك؟

* الأدب الإسلامي في رأيي ليس بدعة؛ لأنه نشأ منذ فجر الإسلام؛ فإله سبحانه وتعالى يقول في محكم تنزيله: والشعراء يتبعهم الغاؤون. ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. الشعراء: 224-227. فقد استثنى سبحانه وتعالى المؤمنين من أولئك الذين يخوضون في

مجامع اللغة العربية هاجعة،

والعامية لا تغني اللغة، وإنما هي

مفسدة للذائقة ومخربة للأصول.

فحش الكلم. والشعر في المفهوم الإسلامي التزام، إذ على الشاعر أن يلتزم الأخلاق الكريمة والآداب العظيمة، فلا يكون شعره إشاعة للفواحش ونشراً للفساد، كما نرى اليوم في نتاج كثيرين ممن يملؤون ساحتنا الأدبية. وهذا الانحلال وغياب الالتزام في الشعر بدأ في العصر الذي تلا عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. فقد كان هناك فحول من شعراء الجاهلية الذين هدامهم الله إلى الإسلام، فكان شعرهم دفاعاً ومنافحة عن مكارم الأخلاق من أمثال حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة. ولكن الفحش انتشر في عصور تالية، وأعتقد أن أول من بدأه عمر بن أبي

ربيعة الذي ولد يوم وفاة أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب، حتى قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم: «أي حق رُفِع، وأي باطل وُضِع». فقد كان يطوف بالكعبة ليتغزل في نساء المسلمين، وتلاه كثير ممن نَحَوْا نحوه، من أمثال الفرزدق وبشار بن برد وأبي نواس الذي يعد شعره نموذجاً فاضحاً وواضحاً لعدم الالتزام. أما الأدب الإسلامي فهو كل أدب يلتزم مكارم الأخلاق، لذا قيل إن الأدب أدبان، أدب الدرس وهو الذي يعني الجوانب اللغوية والفنية من الأدب، وأدب النفس الذي يعني أن يسمو الأدب بالنفس الإنسانية ويعلي من شأنها. وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «أدبني ربي فأحسن تأديبي». فالتأديب يعني التهذيب وحمل النفس على حسن الخلق، ومن هنا سمي الأدب أدباً، أما الأدب غير الملتزم، فهو في الواقع قلة أدب وفسق.

- برصفك مهتماً بعلوم اللغة العربية، لماذا

فقد اللسان العربي - أو كاد يفقد - سليقته؟

* فقد اللسان العربي سليقته منذ

انتشار الإسلام واختلاط العرب بالأعاجم الذين اعتنقوا الإسلام. وسرى اللحن منذ ذلك الحين في اللسان العربي، وقد تنبه إلى ذلك أبو الأسود الدؤلي حين لحن ابنته الصغيرة، فذهب من توه إلى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب، ليخبره بما كان بينه وبين ابنته، محذراً إياه من خطورة انتشار اللحن بين أبناء العربية وفقدانهم السليقة بمخالطتهم للأعاجم، فوضع الإمام علي للدؤلي الخطوط العريضة التي تقوم عليها لغة العرب، قائلاً له انحُ هذا النحو، ومنذ ذلك الحين بدأ وضع قواعد اللغة العربية وتأسس علم النحو. وأعتقد أنه بنهاية العصر الأموي فقد اللسان العربي سليقته، نظراً للاختلاط الكبير الذي تم مع الأمم الأخرى من فرس وروم وسلاجقة وهند وغيرها، لذلك لا يستشهد علماء اللغة بشعر من أشعار العصر العباسي، ويعد شعر بشار بن برد آخر شعر استشهد به، لأنه عاش في نهاية العصر الأموي وشهد بداية

لا يضيق بالنقد إلا ذو النتاج المهزول

- هل تكفي المهرجانات الثقافية مثل الجنادرية في إقامة الجسور بين المبدعين العرب؟

المهرجانات الثقافية كمهرجان الجنادرية وغيره كافية في إقامة الجسور بين المبدعين العرب؛ فهي تقوم مقام الأسواق الأدبية العربية القديمة كسوق عكاظ، والمربد، وذو المجاز، وذو الحجة.

وقد كانت عكاظ سبباً في أن تنبؤ قريش المكانة الكبيرة التي تبوأها بين قبائل العرب، مع أنها ليست من العرب العاربة، ولكن أتاحت لها سوق عكاظ، بما شهدته من مناشدة ومنافرة ومفاخرة بين فرسان الشعر العربي في ذلك الوقت، أن تكون مكاناً امتزجت فيه خلاصة اللسان العربي ولغته الصافية الرقراقة التي نزل الله بها قرآنه الكريم وكلامه المبين. واستناداً إلى ذلك، فإن المهرجانات الثقافية ساحة للتنافس الشريف بين أدباء العرب، يحاولون فيها تقديم أفضل ما جادت به قرائهم، ويستفيدون فيها بعضهم من بعض.

المصطلحات الأجنبية أو العبارات التي لا ترجع إلى أي أصول عربية.

- من واقع تجربتك في حقل التربية والتعليم، ألا ترى أن مناهج النحو ومقرراته تنسم بثقل المادة وصعبتها؟

« مناهج النحو تحتاج إلى المعلم المتمكن من العربية المقتدر على تفهيم الطلاب وتحبيبهم للنحو بروعة أسلوبه وحذقه في جذب الطلاب وتشويقهم لدراسة النحو. فليس المهم أن يكون الكتاب المقرر جيداً، وإنما الأهم أن يكون المعلم عالماً بأسرار المادة التي يدرسها، قادراً على استشارة مكان من الإبداع في ذوات الطلاب، حتى يكون حرصه على حفزهم للتفكير الإيجابي هو الغالب، فلا يعطيهم قواعد النحو في قوالب جامدة يحفظونها من دون أن يفهموها. وإنما عليه أن يقدم لهم نماذج وأمثلة يتفاعلون معها ويستدلون منها على القاعدة، فحينها سيحفظونها عن ظهر قلب من غير أن يكونوا بباغوات تردد ما لا تفهمه.

العصر العباسي. ولم ينبج من اللحن في العصر العباسي كثير من الشعراء، حتى عارض نقاد كثيرون قول أبي نواس:

وداوني بالتي كانت هي الداء.
لأن (الداء) في اعتقادهم خير لكان، ومن ثم وجب نصيبها. وإذا كان هذا هو الحال في العصور القريية من صدر الإسلام، فإنه لا يستغرب أن يتدنى مستوى اللغة العربية في هذا العصر الذي تتعرض فيه لغزو ثقافي عارم من بلاد الأعاجم، ونعاني فيه من انتشار العاميات التي طغت على لغة الإعلام.

- وبوصفك مقدماً لبرامج متخصصة في اللغة، ما جدوى مثل هذه البرامج في زمان (الفصائيات) التي طغت وأسرت عقل الكبير والصغير؟

« هذه البرامج اللغوية مجدية جداً، والناس في حاجة ماسة إليها لتقويم ألسنتهم التي فقدت سليقتها، واعلم أن لها مستمعين كثيراً؛ لأن رسائل إعجابهم بها تأتيني من كل مكان. - فما رأيك في الدعوات التي ترى العامة رافداً يغني اللغة العربية وتطورها؟

« العامة ليست رافداً يغني العربية بل يفسدها ويفسدها، فهي لا تعتمد على قواعد ثابتة، ونستخدمها كيفما اتفق، وفيها كثير مشتق من لغات الأعاجم، ومن ثم فإنها مفسدة للثقافة، وهاجمة للأصول التي تقوم عليها لغتنا العربية.

- هناك من يقول إن مجامع اللغة العربية هاجعة، وإنها أصبحت تتساهل في عمليات التوليد واستخدام المصطلح الأجنبي؟

« أجل بعض مجامع اللغة العربية هاجعة، وبعضها يتساهل في عمليات التوليد واستخدام المصطلح الأجنبي. هذه حقيقة.

- قد يكون ذلك حتى تستوعب اللغة العربية ما يأتي به العصر من مستجدات..

« هذا ليس صحيحاً، فما تمتع به اللغة العربية من غنى وثراء يجعلها قادرة على استيعاب مستجدات العصر من تقنية وخلافها، فباب الاشتقاق يتسع لكل مجال ويجعل اللغة العربية تستجيب لكل عصر، من دون أن يكون هناك داع لإجازة استخدام

فراج الطيب.. في سطور:

- من مواليد أم درمان، السودان 1933م.
- حاصل على دبلوم التربية، معهد بخت الرضا.
- عمل أميناً عاماً للمجلس القومي للأدب والفنون، ومديراً لمدارس أبي روف الثانوية العامة، ويعمل حالياً مستشاراً.
- عضو في العديد من اللجان الثقافية واللغوية المتخصصة.
- كتب الشعر منذ الصبا الباكر، متأثراً بالبيئة الأدبية التي نشأ فيها، فقد كان أبوه الشيخ الطيب السراج - رحمه الله - لغوياً وأديباً وشاعراً. وكانت له ندوة أدبية يؤمها عشاق الأدب وطلاب العلم. ولا يزال الأستاذ فراج الطيب مستمراً في إقامة هذه الندوة يوم الجمعة من كل أسبوع.
- كتب كثيراً من البرامج الإذاعية والدراسات الأدبية واللغوية، من ذلك: "من تراث العرب"، و"رسالة النور" و"في محراب الشعر"، و"يقولون" وهو برنامج في تصحيح الأخطاء اللغوية الشائعة، و"دراسات في الشعر الشعبي السوداني"، و"نور القرآن" الذي كان يذاع في إذاعة وادي النيل بالقاهرة.
- برنامج الإذاعي اليومي "لسان العرب" مضى عليه نحو ربع قرن.
- له مقالات متخصصة منشورة في الصحف السودانية، منها سلسلة مقالات بعنوان "كلام في اللغة والأدب".
- له محاضرات كثيرة في الأدب وفي الإعجاز البياني في القرآن الكريم قدمها في داخل السودان وفي خارجه، إذ قدم محاضرات في مركز الملك فهد بن عبدالعزيز الإسلامي بجنيف، ومركز الشيخ زايد بن سلطان الإسلامي بزيورخ.
- من أعماله المطبوعة: ملحمتان شعريتان هما: "دار السلام.. نحية وقضية"، و"رؤيا عربية على ضفاف الرافدين"، وقصيدة مطوّلة بعنوان "تراثي في مقام الصدق"، وكتاب "المرجع في قواعد اللغة العربية"، إضافة إلى عدة مخطوطات لم تطبع بعد.

الشعر على المدينة

سعيد بو عطة

الشعر رؤية للحياة والكون، وذلك من طريق انفعال الذات الشاعرة تجاه هذا العالم الخارجي. هذا التمازج هو الذي يعطي هذه الرؤية/الموقف.

وما عاشه الإنسان عامة، والغربي على وجه الخصوص، من حروب وتمزقات وهزائم نفسية؛ جعله يرى في تلك الحضارة مكوناً سلبياً يحطم كل المقومات الإنسانية. ولأن المبدع/الفنان أكثر من غيره تعبيراً عن هذا الموقف، فإن خير من قام بذلك الشاعر هو الإنجليزي توماس ستيرن إيليويت T.S.ELIOT في قصيدته «الأرض الخراب» ينعى فيها ما آلت إليه هذه الحضارة. إن هذا الموقف لم يَبْنِ الشعرُ فقط، بل تناوله الرسم خاصة في إسبانيا مع: بيكاسو وسلفادور دالي. كما اهتمت به الاتجاهات الفلسفية، كالاتجاه السريالي بوصفه سليل حركة الدادائية.

إن ما يجمع بين هذه الاتجاهات والمواقف، نظرتها السوداوية والمأساوية لما آلت إليه الحضارة الحديثة. وأبرز ما يمثل هذه الأخيرة: المدينة. إذن كيف نظر هؤلاء جميعاً وخاصة الشعراء منهم إلى المدينة؟ وكيف حددوا علاقاتهم بها؟ سوف نتلمس الإجابة عن هذا السؤال من خلال الشعر العربي الحديث. إن ارتباط الشاعر العربي بالمدينة، أو المكان عامة؛ قديم قدم الشعر نفسه. إلا أن هذه العلاقة تختلف من مرحلة لأخرى، لأنه على مر العصور - كما ترى الكاتبة الوجودية سيمون دو بوفوار -: كان الإنسان في علاقة مع سائر البشر. والعالم الذي ينخرط فيه عالم إنساني، كل موضوع فيه مشبع بالدلالات الإنسانية(1).

فإذا كانت هذه العلاقة علاقة حنين في الشعر القديم (الجاهلي وما تلاه)، فقد تحولت إلى علاقة رثائية في أغلب الشعر الأندلسي. إذ ازدهر موضوع «رثاء المدن» خاصة عند أبي البقاء الرندي، وابن عبدون، وابن اللبانة، إلخ... أما في الشعر الحديث، فإن هذا الإحساس لم يظهر - كما يرى عز الدين إسماعيل - إلا «نتيجة لتأثر الشعراء المعاصرين بنماذج من الشعر الغربي وبقصيدة «الأرض الخراب» لإيليويت على وجه الخصوص»(2). إلا أن التراكم الشعري في هذا الإطار، يشي بأن ذلك يتجاوز التأثير بهذه النماذج الغربية. ويمكن أن نحصر أسباب رؤيتهم السلبية للمدينة فيما يلي:

- تأثرهم بالشعر الغربي المعاصر (كما أشرنا)، وبرؤيته السلبية. - كون أغلبهم من أبناء الريف/البادية: بدر شاكر السياب، عبد الوهاب البياتي، صلاح عبدالصبور، إلخ... - الإحباط الفكري والسياسي لبعض الشعراء.

كل هذا جعلهم يصورون المدينة تصويراً قاتماً لا يحمل سوى معنى المأساة. لكنه من حيث هو موضوع (تناول المدينة)، فإنه يشكل فرعاً من فروع الحداثة الشعرية بمعناها العام. إلا أن «المدينة الشعرية ليست هي بعينها المدينة الواقعية بطبيعة الحال، فكل شاعر يصنع مدينته، ومدينته تعيش داخله»(3).

وعلى ذلك، فإن بينهما ترابطاً وعلاقة جدلية. ولعل هذا ما يجعل موضوع المدينة يختلف من شاعر لآخر، نظراً لاختلاف الرؤية.

إن مدينة أحمد عبدالمعطي حجازي مدينة الأموات والوحشة والضياع. يقول حجازي في ديوانه «مدينة بلا قلب»:

طريق مقفر شاحب

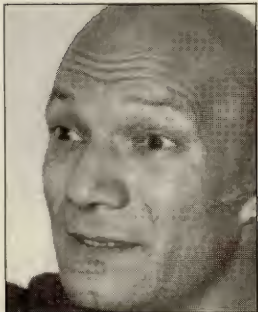
لآخر مقفر شاحب

تقوم على يديه قصور

وكان الحائط العملاق يسحقني

ويخفني

وفي عيني سؤال طاف يستجدي(4).



أحمد عبد المعطي حجازي

كان الصبغة الأساسية لشعر حجازي؛ خاصة في ديوانه «مدينة بلا قلب». وكذا في شعر عبدالصبور. وقد سلك المسلك نفسه، شعراء من قبيل: محمد إبراهيم أبو سنة، وأمل دنقل، وغيرهما... أما المدينة عند أمل دنقل، فترتبط بالإنسان ومستقبله. فهي عنده عنصر هدم ورمز للحكم الفاسد والرجولة المسلوقة. إن أمل دنقل برؤيته هاته، يبحث تلك القيم الإنسانية الخالدة. شأنه في ذلك - كما يرى الدكتور وليد منير - شأن شعراء الزمن المفقود (زمن النبالة، البراءة، إلخ...) (7). يقول أمل دنقل في قصيدته «مقابلة خاصة مع ابن نوح»:

كان قلبي الذي نسجته الجروح
كان قلبي الذي لعنته الشروح
يرقد - الآن - فوق بقايا المدينة
وردة من عطن
هادئاً..

بعد أن قال «لا» لا للسفينة
.. وأحب الوطن! (8).

إن المدينة عند دنقل تتجسد في الإنسان. هذا الأخير الذي يتصف بالخيانة والتكر والفساد. وهو بذلك يحول المدينة إلى مظهر سلبي. ويتكرر لها بسرعة. إنه إنسان المدينة - حسب دنقل - الذي لا يحمل في جوفه إلا السلب. يقول في القصيدة نفسها:

صاح بي سيد الفلك، قبل حلول السكينة:

انج من بلد.. لم تعد فيه روح!

قلت: طوبى لمن طعموا خبزه..

في الزمان الحشن

وأداروا له الظهر..

يوم المحن!

ولنا المجد - نحن الذين وقفنا

نتحدى الدمار.. (ص158).

والتجربة الشعرية المغربية، لاتشد عن هذه الظاهرة. فقد تناولها شعراء أمثال الراحل محمد الخمار الكونني في ديوانه «رماد هسبريس»، والشاعر أحمد بلبداوي في ديوانه «هبوب الشمعدان». إن موقف هؤلاء كذلك، يحذو حذو الشعراء الآخرين. يقول الكونني في قصيدة «مرثية السور الغربي» من الديوان نفسه:

كان ينسل بين العمارات

يخفى ويظهر

حتى إذا ما التوى جهة النهر في المتأى

حاصرته المزابيل

فامتد بين الصفيح

وبين البروج التي هجرتها اللقالق (9).

إن مدينة الكونني، مدينة الشؤم والقلق: المزابيل، الصفيح، بروج هجرتها اللقالق. وإنسانها آلي، يفقد كل علاقة إنسانية. يقول في

إنها مدينة الحزن والقلق الروحي، بقوتها المادية: الحائط العملاق، يسحقني، يخنقني.

ويقول كذلك في الديوان نفسه:

والناس حولي ساهمون

لا يعرفون بعضهم.. هذا الكتيب

لعله مثلي غريب

أليس يعرف الكلام؟

يقول لي حتى سلام (ص113).

إن حجازي يضع في المدينة، بوصفه ذلك القروي المنبوذ داخل المدينة. والذي لا يجد حتى من يبادل له الكلام: أليس يعرف الكلام.

ومن ثم فمعنى المدينة عند هذا الشاعر، يتسع ليشمل معنى الحياة والموت. وهو بهذا الفهم يرسم صورتين لمدينتين: مدينة الأحياء/الريف، ومدينة الأموات/المدينة المتحضرة.

أما مدينة الشاعر صلاح عبدالصبور، فمملوءة بالحزن كذلك. ولا تولد إلا المرارة. يقول في ديوانه «الناس في بلادي»:

يا صاحبي إنني حزين

طلع الصباح، فما ابتسمت، ولم ينر وجهي الصباح

وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح

وغمست في ماء القناعة خبز أيامي الكفاف

ورجعت بعد الظهر في جيبي قروش

فشربت شأياً في الطريق (5).

إن المدينة عند صلاح عبدالصبور، تتجاوز بعدها السلبي، لتصبح مصدر كل شيء. وتجمع المتناقضات في الوقت نفسه. تجمع بين: الحياة والموت، الجميل والقيح، الأمل واليأس إلخ... إن هذا التمزق الوجودي الذي يعيشه عبدالصبور، جاء نتيجة ظروفه الاجتماعية (الفقر). فهو ناع المدينة من ناحية المبدأ والموقف، ومرتبطة بها من ناحية ظروف عيشه.

يقول في ديوانه «أحلام الفارس القديم»:

لقاك يا مدينتي حبي ومبكيا

لقاك يا مدينتي أسايا

وحينما رأيت من خلال ظلمة المطار

نورك يا مدينتي عرفت أنني غللت

إلى الشوارع المسفلتة

إلى الميادين التي تموت في وقدها

خضرة أيامي (6).

إنها علاقة قدرية. إذ على كون

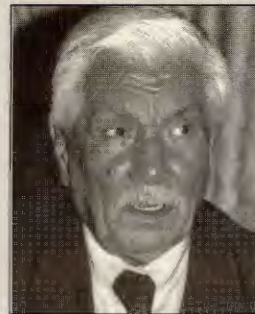
علاقة الشاعر بالمدينة/الحياة، علاقة

ضاربة في الحزن وعدم التوازن؛ فارتباطه

القدري بها لا يكاد ينفلت، بحيث

يصعب انسلاخ الشاعر من المدينة. إن

رفض هذه الأخيرة والحنين إلى الريف،



عبد الوهاب البياتي

قصيدة «يوميات ضد التواطؤ»:

تنصب العلامة

تزدحم الأسماء

(...)

كن لصاً أو مهرباً

كن جثة أو بهلوان

قف أنت، لا مرور

للإنسان.. (10).

إنها صورة إنسان المدينة الآلي. تتحكم فيه العلامات والأنظمة، فيصبح تائهاً ومحاصراً. أما الشاعر بلبداوي فيقول في ديوانه السابق:

بدأ الليل يناقش

أشجاراً موتى ويحاورها

مثنى مثنى بدأ الليل

يلمع أحذيه كلاب

الصيد.. (11).

إنه كذلك موقف يشي بالشؤم والحزن. إن هذا الموقف السلبي تجاه المدينة، يُمكن حصره كما أشار د. إحسان عباس؛ بما يلي:

- موقف يشي برد فعل رومانسي خالص.

- تشكل المدينة بحسب الانتماء العقدي أو الوضع النفسي الفردي.

- اعتبار المدينة واقعاً مسطحاً لا يعكس سوى تمزق الشاعر وتأثره الوجودي.

- اعتبار المدينة رمزاً للحضارة الحديثة التي سلبت كل مقومات الإنسانية (12).

إن تناولنا شعراء لهم موقف السلب من المدينة، لا يعني أنها خاصية الشعر الحديث عامة. لكنها تبقى السمة الغالبة. فهناك من الشعراء المحدثين، من كانت علاقتهم بالمدينة علاقة اشتياق وحب.

يقول الشاعر فاروق شوشة في ديوانه «لؤلؤة في القلب»:

صديقتي كان لنا ألف خيال

في قرأتي الصغيرة

وألف توق وأرف الظلال

إلى المدينة الكبيرة (13).

والشيء نفسه، نجده عند

الشاعر محمد الفيتوري في

قصيدة «رسالة إلى الخرطوم»

والشاعر يوسف الخال في حديثه

عن لبنان.

كما نجد بعض الشعراء نظروا

إلى المدينة بوصفها تلك المغصوبة

والمحاربة في الوقت نفسه. ومن

أهم هذه المدن: القدس،



ت. إس. إليوت

بورسعيد، السويس.. إلخ. إلا أن هذه المدن تجاوزت حدودها الجغرافية، إلى البعد القومي (ولاسيما القدس). يقول محمود درويش في ديوانه «أحبك أو لا أحبك»:

نكتب القدس:

عاصمة الأمل الكاذب. النائر الهارب. الكركب الغائب.

اختلطت في أزقتها الكلمات الغريبة،

وانفصلت عن شفاة المغنين والباعة القبل

السابقة (14).

وعن المدينة نفسها، يقول الشاعر المغربي أحمد المجاطي في قصيدة «القدس» من ديوانه «الفروسية»:

رأيتك تدفين الريح

تحت عرائس العتمة

وتلتحفن صمتك خلف أعمدة الشبايبك

تبشيش القبور وتشيرين فتظماً الأحقاب

ويظماً كل ما عتقت من سحب ومن أكواب

ظمنا والردى فيك

فأين نموت يا عمه (15).

إنه الإحساس بالتشيت، ليس بالمدينة فقط؛ ولكن بقضية معينة. لقد شكلت المدينة محوراً من المحاور الأساسية في الشعر الحديث. إلا أن ما تناولناه لا يعد من قبيل الجامع المانع، وإنما يبقى قولاً مفتوحاً، لأن الموضوع يتميز بالشساعة. بحيث أن تناول المدينة عند شاعر معين، هو تحديد رؤيته وموقفه الفكري. وتحديد هذا الأخير، يتطلب قراءة عامة لإبداعه. وهو أمر يستوجب الكثير، وقد يشكل نوعاً من الإبحار وراء تيار جارف.

الهوامش:

- 1- سيمون دو بوفوار، نحو أخلاق وجودية، ترجمة جورج طرابيشي، ط1، دار الآداب، 1972م، بيروت، ص: 90.
- 2- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1972، ص: 226.
- 3- محمود الربيعي، الشاعر والمدينة، مجلة عالم الفكر (الكويت)، المجلد 19، ع3، 1988، ص: 132.
- 4- ديوان أحمد عبدالمعطي حجازي، دار العودة، بيروت، 1973م، ص: 110، 111.
- 5- صلاح عبدالصور، ديوان «الناس في بلاد»، ضمن المجموعة الكاملة، دار العودة، بيروت، 1972م، ص: 36.
- 6- أحلام الفارس القديم، ضمن المجموعة نفسها، ص: 197.
- 7- وليد منير، أمل دنقل، الشاعر المستباح، مجلة الوحدة (المغرب)، ص7 ع 83-82، 1991م، ص: 259.
- 8- ديوان أمل دنقل، ط2، دار العودة، بيروت 1985م، ص: 163.
- 9- محمد الحمار الكونني، ديوان «رماد هسبريس»، ط1، دار إفريقيا الشرق، 1991م، ص: 65.
- 10- الكونني، الديوان نفسه، ص: 90.
- 11- أحمد بلبداوي، ديوان «هيبو الشمعدان»، ط1، منشورات اتحاد كتاب المغرب، 1990م، ص: 46.
- 12- نقلاً عن: محمد قاسمي، مجلة كتابات (المغرب)، ع7، 1992م، ص: 32، 33.
- 13- فاروق شوشة، ديوان «لؤلؤة في القلب» ضمن الأعمال الكاملة، ج1، المطبعة العالمية، القاهرة، ص: 325.
- 14- محمود درويش، الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط3، بيروت 1973، ص: 55.
- 15- نقلاً عن: محمد مفتاح، دينامية النص، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (المغرب)، 1987م، ص: 79.

قراءة في كتاب:

العالم الإسلامي ومشروع النظام الماليح الحديث

تأليف: عبد الهادي بوطالب

عبد السلام محمد طويل

لقد بات من المؤكد أن العالم الإسلامي هو المستهدف الأول من

الانعكاسات السلبية للتحويلات الدولية منذ انهيار المعسكر الشرقي وحتى

حرب الخليج الثانية ومأساة البوسنة المؤلمة. ومن ثم فإن أي تفكير جدّي في

مستقبل العالم الإسلامي رهن بإجالة النظر وتعميق التفكير جماعياً في

طبيعة مشروع «النظام العالمي الجديد»، وشبكة الروابط والتوازنات التي

تربطه بعالمنا الإسلامي، حتى يمكننا فك الارتباط الظالم بنظام القوة

والمصلحة، وتأسيس قواعد جديدة لنظام قوامه العدل والتعايش والتعاون.

ومن الدراسات القليلة الجادة التي تصدرت

لتحليل هذا الموضوع ومحاربه من

موقع العالم بالتاريخ والسياسة الممارس لها،

المتضلع من الفكر والقانون والاجتماع، الأستاذ

عبد الهادي بوطالب من خلال كتابه الأخير:

«العالم الإسلامي ومشروع النظام العالمي

الجديد» (1). وقد قسمه إلى مقدمة مكثفة اختزل

فيها المشهد الدولي الحديث والمعاصر بكثير من

العمق والاستيعاب، وأربعة فصول:

الفصل الأول: العلاقات الدولية من القطبية

الثنائية إلى القطبية المتعددة.

الفصل الثاني: العالم الإسلامي ومقوماته

الذاتية.

الفصل الثالث: مقومات النظام الإسلامي.

الفصل الرابع: تهديد لقيام نظام عالمي جديد.

ففي الفصل الأول يتجاوز الكاتب شرنقة

الارتهان بين الثنائية القطبية والأحادية القطبية،

مؤكداً أن أية قوة مهما كان نفوذها لن تستطيع

السيطرة على العالم والتحكم فيه، وأن العالم بعد

انهيار القطب الشيوعي أمست تحكمه تعددية

قطبية، ولو أنها في مرحلة التشكل. أما القطب

الأمريكي فلم يتردد عدد من المفكرين، أبرزهم

أمريكيون، في توقع انهياره في المستقبل القريب

بوصفه دولة عظمى (2).

وهي الحقيقة التي جعلت الولايات المتحدة

تنهج سياسة الضغط على الحلفاء المنافسين

واستدراج الدول المجاورة إلى وحدة جمركية

كاملة، واتباع سياسة الاحتضان الاقتصادي

والسياسي للحيلولة دون طموحات اليابان في

اكتساب الأسواق الجديدة في أوروبا، وهو ما

اتضح بجلاء في منطقة الخليج العربي.

لقد عرض بوطالب، بنوع من الدقة المنهجية

والروح العلمية التي تميز بشكل رفيع بين

السياسي والاقتصادي والثقافي، أهم المناطق

والمظومات المؤهلة لأن تؤدي أثراً طلائعياً ومؤثراً

في تشكيل الملاحم الكبرى لمشروع النظام العالمي

الجديد إلى جانب الفاعلين التقليديين: الولايات

المتحدة وروسيا، في مقدمتها الاتحاد الأوروبي

واليابان والصين والهند وأمريكا اللاتينية.

ويلمح الكاتب إلى انعدام التوافق بين التطور

السياسي والاقتصادي من جهة، والتطور

الأخلاقي من جهة أخرى، فليست هناك علاقة

تلازم شرطية تربط بينهما، فالنمو الاقتصادي

والسياسي لا يؤديان بالضرورة إلى نمو أخلاقي،

وهو ما لاحظته بالنسبة لتجربة أمريكا اللاتينية «ومن المفارقات المؤسفة أنه كلما تم انفتاح وتطور سياسي واقتصادي كانت له تبعات سلبية في ميدان المخدرات...».

وبعد أن أوضح إحقاق معظم الدول الإفريقية في إعادة الهيكلة الاقتصادية إذعاناً لشروط برامج المؤسسات المالية الدولية، وكيف أدى ذلك إلى مضاعفة متاعبها الاقتصادية، وترسيخ مختلف مظاهر الانحلال الإداري التي تمس هيبة الدولة وقدرتها على حسن التدبير، يتساءل المؤلف: «وفي هذا الوضع القائم كيف يتأتى لدول القارة السمراء أن تسمع صوتها في عالم تخلى عن المبادئ لبيني مستقبلة على تفاعل القوى؟».

وإلى غاية نهاية الفصل الأول لا نكاد نمسك بأية ملامح محددة للنظام العالمي الجديد، حيث جميع القرائن تتضافر للدلالة على أن الحيرة بدأت تدب في جميع المناطق بما في ذلك الولايات المتحدة وأوروبا، وأن غالبية الفاعلين الدوليين هم في ريبة من النظام الجديد، ولاسيما أن الأحداث قد أخذت تعود بالعالم القهقري إلى سابق مطاحاته. ص 43.

في الفصل الثاني، بعد أن يحدد المؤلف العالم الإسلامي تحديداً عقدياً قبل أي تحديد جغرافي أو اقتصادي أو اجتماعي، لكونه «عالم الرسالة المحمدية العالمية التي جاءت دعوتها موجهة للناس كافة، والتي أمر دستورها «القرآن» أمتها أن تكون الداعية إلى الخير، الناهية عن المنكر في كل مكان»، وبعد أن يحدد الأمة بكونها الأمة التي تلتف حول الإسلام، يقف على المفهومين الجزئي والكلّي للإسلام مشدداً على المفهوم الكلّي الحضاري الواسع حيث يجري الحديث عن الحضارة الإسلامية، والسياسة الإسلامية، والنظام الإسلامي، والثروات الإسلامية، والطاقت الفكرية الإسلامية في إطار مشروع شامل لأسلمة المعرفة بجمع مشاربها. ص 49.

ومع أن لا أحد يجادل في المضمون الكوني للإسلام ورسالته العالمية، فإن عبد الهادي بوطالب إذ يوسع دائرة امتداده واستقطابه وتأثيره لتشمل بعض رموز التراث المسيحي واليهودي مثل ابن العبري الماطلي وابن ميمون الأندلسي وابن جبيرول وابن سهل الشاعر ص 51 قد يشير بعض الحساسيات والاعتراضات من جرّاء انفتاحه الجريء، غير أن هذا الانفتاح في نظره ليس وليد رؤية مستتبلة بقدر ما يعبر عن تصور متكامل أصيل يحسب أن العالم الإسلامي إنما «نشأ وامتد عالماً

تفاعلت فيه الحضارات والثقافات في ظل قيم الإسلام الذي انتشر كدين عالمي، ورسالة تحررية عالمية، فقامت له دولة، وازدهر له فكر، وانتشرت له حضارة...».

بعد ذلك يقوم المؤلف برصد أهم أبعاد العالم الإسلامي: الاستراتيجية الجغرافية والاقتصادية والسياسية والثقافية وذلك بلغة علمية رصينة تستحضر الأرقام والإحصاءات والجداول التوضيحية والمقارنات.

البعد الجغرافي: تناول فيه المؤلف العمق الاستراتيجي المتميز للعالم الإسلامي الذي قسمه إلى ثلاث مناطق مناخية: المنطقة الإفريقية، ومنطقة الشرق الأدنى، والمنطقة الآسيوية.

البعد الاقتصادي: تناول فيه العامل السكاني «الديموجرافي» حيث يبلغ مجمل سكان الدول الإسلامية الأربع والخمسين ما يزيد على مليار نسمة. يضاف إليها 194 مليون من الأقليات الإسلامية. ومع أن العامل

السكاني يشكل لدى بعضهم هاجس تخوف، إلا أن عبد الهادي بوطالب يذهب إلى «أنها من حيث البعد الاستراتيجي قد تصبح من المقومات المهمة لتقدم العالم الإسلامي في حالة توحيد الاقتصاد، معتبراً أن السوق

الإسلامية المفترضة تفوق السوق الأوروبية المشتركة ومنطقة التبادل الحر بين كندا والولايات المتحدة والمكسيك أربع مرات».

الثروات الطبيعية: وفي مقدمتها موارد الطاقة: نفط، غاز... إذ يمتلك العالم الإسلامي 27٪ من الإنتاج العالمي، ويخزن العالم العربي وحده نسبة 62.4٪ من الاحتياطي النفطي العالمي، وهو ما جعل دول العالم الإسلامي تحتل مركزاً مهماً في السوق النفطية الدولية، ذلك أنها تمثل أغلبية داخل منظمة الدول المصدرة للنفط «أوبك»، بل توشك هذه المنظمة أن تكون إسلامية. كما يمتاز العالم الإسلامي بموارده المعدنية ذات الأهمية الاستراتيجية؛ كالفوسفات الذي يحتل المغرب فيه موقع الصدارة من حيث التصدير، وثاني منتج بعد الولايات المتحدة. كما يوجد الأورانيوم بكميات مهمة في النيجر، والحديد في موريتانيا، والمنجنيز في الجابون...

وعلى كل هذه المعطيات فإن الكاتب، انسجاماً مع نزوعه النقدي، يعد «السياسات الاستثمارية التي انتهجت حتى الآن أدت إلى بطلان مردودية الخبرات الإسلامية بالنسبة للعالم الإسلامي» ص 61.

صحيح أن هناك صعاباً وعوائق لا تشجع على الاستثمار في العالم العربي، من قبيل عدم الاستقرار السياسي الذي غالباً ما يؤدي إلى عدم استقرار الاختيارات الاقتصادية، وعدم وجود قوانين ثابتة لضمان الاستثمار وتشجيعه، أو تشعب الإجراءات الإدارية وتعقدها، فضلاً عن عدم توافر البنيات الصالحة لتنشيط الاقتصاد، إلا أننا لا نلمس رغبة حقيقية لدى أصحاب رؤوس الأموال العربية في تدارس هذه المشكلات وإيجاد حل لها.

كما أشار الكاتب إلى المضاعفات الاقتصادية السلبية للحرب العراقية الإيرانية «350 مليار دولار»، وحرب الخليج الثانية بعد اكتساح العراق

يرى المؤلف أن الاستثمار في العالم العربي تحول دونه صعوبات وعوائق سياسية وإدارية، كما أنه لا توجد رغبة حقيقية لدى أصحاب رؤوس الأموال في تجاوز هذه المشكلات

غير المشروع للكويت مهما كانت المسوغات «450 مليار دولار».

وبنبرة متفائلة يشير الكاتب بغد إسلامي أفضل بفضل المقومات البشرية والطبيعية التي يقوم عليها العالم الإسلامي، وبفضل ما يتمتع به من طاقة للإنتاج والاستهلاك كفيلة بأن تجعل منه منطقة مؤهلة للتوسع التنموي، وذات بعد اقتصادي واعد، مع انتقاده الشديد لغياب وعي سياسي بالضرورة المصرية للوحدة الإسلامية.

- البعد السياسي: يشير الكاتب إلى أن العالم الإسلامي بدوله الأربع والخمسين يحتل قرابة 30٪ من مقاعد الأمم المتحدة، كما أنه، على تشبته في إطار تنظيمات جهوية غير إسلامية، أمسى حضوره واضحاً في السياسة الدولية، وبرغم ما يتميز به من قوة بشرية وطاقة هائلة، وخيرات ومواد خام ضرورية في الاقتصاد العالمي، فإنه يعاني من كثرة صراعاته وتناحراته الخارجية والداخلية..

العالم الإسلامي ومشروع النظام العالمي الجديد

قراءة في كتاب:

«الانقلابيون» وفيهم من يريد أن يحقق تغييراً كبيراً «الحضاريون»، ولكنهم كلهم يسعون إلى التغيير، وهذا قاسمهم المشترك «ص 71»، مشدداً على اتباع منهج التغيير الحضاري الذي يحض علي التغيير القيمي والإصلاح الفكري والتربوي وفقاً لسنة التدرج.

- البعد الثقافي: يبدد الكاتب المخاوف التهويلية من الخطر الإسلامي المزعوم، بديل أن قوة انتشار الإسلام وسرعة امتداده في المكان والزمان لا تعود «لقوة جيوشه، ولا لبطش قاداته، وإنما لتقبل شعوب الأرض للرسالة الإسلامية كوسيلة للتحرر من الطغيان السائد على مستوى نظم الحكم، وعلى صعيد البنيات الاجتماعية». ويشدد الكاتب على «أن طاقة الدفع الإسلامي لازالت قادرة اليوم على الفعل والتغيير لأنها طاقة أزلية، تستمد إشعاعها ودوامها من إشعاع ودوام الرسالة القرآنية: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون. الحجر: 9أ. ص 72.

وفي عمق البعد الثقافي يتناول الكاتب مغزى الأمة في النظام الإسلامي مؤمناً أن الأمة الإسلامية ذات بعد عالمي إنساني بحكم أن الإسلام دين الناس كافة، وأن رسالته رسالة عالمية خالدة تتجاوز الحدود القومية والأبعاد الحضارية والفروق الطبقية والحواجز المكانية والزمانية الفاصلة، لتلتقي في الوحدة الإسلامية..

ويؤكد عبد الهادي بوطالب أن الله - تبارك وتعالى - في الأمة الإسلامية هو الموحد والموحد، إذ بتوحيده توحيد الأمة وتصبح: خير أمة أخرجت للناس. آل عمران: 110، مادامت متشبثة بمقوماتها، ملتزمة أهداف دينها الداعي إلى مكارم الأخلاق.

بعد هذه الرؤية الاحتفائية بالذات الباعثة على الأمل تأتي الرؤية الواقعية النقدية لتكشف واقع المسلمين الذين يعيشون هوة شاسعة بين ماضيهم المجيد وحاضرهم الذي تحكمه ظاهرة التخلف الفكري المتمثل في ارتفاع نسبة الأمية، وفي الغيبة الكلية أو الجزئية عن ميدان العلم والتقانة «التكنولوجيا»، وفي اجترار برامج تعليمية لم تعد تستجيب لمتطلبات العصر، وفي تبعية مناهجه التربوية للدول المستعمرة سابقاً، وفي النسب الزهيدة من المبالغ المخصصة للبحث العلمي مما تسبب في هجرة الأدمغة، والارتهاق

ويكشف عبد الهادي بوطالب بأسلوب سياسي عميق مختلف المفارقات التي يعيشها العالم الإسلامي «فهو عالم تجارب أسلحة الأقوياء المتطورة، وعالم التبعية الاقتصادية والفكرية، وعالم التحالفات التي يضطر إليها داخل سباق الصراعات، وبالتالي يخضع لها في تبرير سياسته واقتصاده. والعالم الإسلامي في أكثريته عالم المدبونة للغرب، كما أنه يتحمل ضغوط العهد الجديد الذي لم يعد عهد سيادة الدول على الشعوب، ولكن أصبح عهد سيادة المنظمات النقدية الدولية والبنوك العالمية ومؤسسات القروض، وكلها - كما يواصل الكاتب بأسلوب تحليلي متميز - تفرض قيوداً على الدول الضعيفة المحتاجة، وتوجهها في اتجاه سياسة لاشعبية تخلق لها أزمات اجتماعية» ص 69.

وخلافاً لكل التصورات الوحودية الحاملة نجد عند الكاتب وعياً واقعياً نافذاً، إذ يستبعد وحدة

العالم الإسلامي السياسية في شروطه وظروفه الحالية، لكون «الوحدة كلمة كبيرة معقدة صعبة التحقيق، خاصة بين مجموعات بشرية لها كياناتها وخصوصياتها وأنماط عيشها، وإن انتظمت كلها في منظومة الإسلام أو في قيم الإسلام»، ويقترح بدل الإغراق في مثاليات الوحدة الانطلاق من دراسة المعطيات المشتركة بين دول هذا العالم والمساعدة على تحقيق

مشروع تضامنه الذي قد يؤدي إلى تحقيق وحدته في الأمد البعيد.

وبعد أن يقف بتفصيل عند المقومات الروحية والمعنوية للوحدة الإسلامية يؤكد ضرورة البحث عن الشروط الموضوعية والمادية لخلق وحدة حقيقية، مستحضراً مخلفات الحقبة الاستعمارية الوخيمة على البنيات الاجتماعية والثقافية للمجتمعات الإسلامية التي جعلت منها مجرد سوق استهلاك واسع للعالم المصنّع الذي يستورد منه المواد الخام بأثمان هزيلة ويعيدها إليه مصنعة جاهزة للاستهلاك بأثمان باهظة. ص 70.

وقيل أن يختم أهم تجليات البعد السياسي يثير واحداً من أهم المواضيع السياسية والفكرية وأخطرهما، يتعلق بمناهج التغيير، إذ نجده يميز بين مدرستين: المدرسة التطورية الانقلاية، والمدرسة الحضارية الإصلاحية، آخذاً في الحسبان «أن من بين المسلمين من يريد أن يحدث تغييراً كمياً

الشبه الكلي لفضاء الحضارة الغربية. إذا كان الفصل الثاني يركز على المقومات المادية والطبيعية للعالم الإسلامي، فإن الفصل الثالث يهتم بإبراز أهم الأسس الفكرية والدينية والسياسية للنظام الإسلامي، وكذا أهم المقومات التصورية والفلسفية المؤطرة للمنظومة الإسلامية في أفق التأكيد على «حجم الإسلام ووزنه كمجموعة فاعلة حضارياً واقتصادياً وسياسياً، لها تطلعات على المستوى الدولي، كما أن عليها واجبات تجاه البشرية جمعاء» ص 100.

لقد جاء الفصل الثالث مكثفاً بأهم الإشكالات التي تثار عادة في حقل الفكر الإسلامي المعاصر، والسياسي منه على وجه الخصوص؛ كعلاقة الدين بالدنيا، وعلاقة الدين بالسياسة، وعلاقة السياسة بالأخلاق، وعلاقة السلطة بالمجتمع، وطبيعة السلطة في الإسلام، والموازنة المستفيضة بين الديمقراطية الغربية والشورى الإسلامية، فضلاً عن الموازنة بين منهجية التنمية في كل من الإسلام والغرب.

لقد أوضح المؤلف أن الإسلام جاء نظاماً متكاملاً ومكتملاً لما قبله؛ حينما تأهل الفكر البشري ليرقى إلى مستوى الاستنباط الفلسفي والاستنتاج العلمي. كما أثبت أن الفكر الموضوعي لا يمكنه أن يفصل بين الدين والدنيا، وأن الدين طاقة روحية من صلب طبيعة البشر لا مفر منها ولا غنى عنها، فالمرجعية الأسى للنظم السياسية في الإسلام هي القرآن والسنة.. إذ ما من عمل مؤسساتي إسلامي لا يستهدف تدبير أمور المجتمع في إطار الأحكام الإلهية «ص 103»، ومن ثم فإن الفكر السياسي القائم على الشريعة الإسلامية حافل بالقيم والمبادئ والممارسات، يعتمد على تنظيم وتطبيق يجعلان منه نمطاً خلقياً متميزاً كاملاً في معالجة شؤون الحياة كافة، وهو ما جعل الكاتب يستخلص باطمئنان علمي واثق أن علم السياسة لم يكن علماً دخيلاً على الإسلام، ولا مستقلاً عنه كما كان للديانة المسيحية، فالأخلاق جزء من السياسة، والسياسة بدورها أخلاقية محض، وفي هذا تجاوز لكل انتهازية أو اصطناع، كما أن المعارضة في الإسلام واضحة المعاني والأهداف، فقصدها الأول هو مساعدة الحاكمين على انتهاز

العالم الإسلامي ومشروع النظام العالمي الجديد

الوقوع في الحكم الفردي المستبد. ويؤكد الباحث أن السيادة في الإسلام لله وحده، وأنه جل وعلا السلطة التأسيسية الخالدة التي تستمد منها كل السلطات البشرية التنفيذية وجودها. وأن نظام الشورى يشكل أساساً لحفظ التوازن ورقابة السلطة القضائية والتنفيذية مع التركيز على الوضعية الخاصة للسلطة القضائية في الإسلام، فقد قاضى الشعب أمام القضاء خلفاءه وملوكه، فخضع هؤلاء وامتلأوا للحكم القضائي الشرعي وأذعنوا لتنفيذ أحكامه. ص 120..

فضلاً عن كل هذه المقومات أبرز المؤلف إقرار الإسلام لمبدأ المساواة بين البشر، وإعلانه للسلام العالمي، وسعيه للتعايش السلمي، كما أوضح أن السلام في الإسلام هو القاعدة، وأن الحرب هي الاستثناء.

وفي الفصل الأخير الذي تميز بنزوع نقدي واضح لكلا العالمين الإسلامي والغربي، وبعمق سياسي وفلسفي ملحوظ، دعا المؤلف إلى التعاون والمشاركة في إرساء نظام عالمي جديد يحكمه التعاون لا المواجهة، ويحل محل النظام القديم الذي أوشك أن يستنفد كل شروط وجوده ومسوغات استمراره من جراء ما أصابه

من تصدع واعتراه من خلل، مع تشديده على إدخال الإسلام في الحساب ضمن المراكز التي سوف يحدد بمقتضاها النظام العالمي الجديد وذلك لما للمسلمين من حجم وثقل، وما تحتضنه تعاليم الإسلام من قيم ومثل يمكن الأخذ والاقتباس منها في صياغة نظام عالمي جديد. فسواء من حيث الضخامة السكانية، والانتساع الجغرافي، والمؤهلات الطبيعية، أو من حيث المقومات الذاتية القمينة بتوفير التماسك والانسجام للمجتمع البشري فإن الإسلام يبرز حالياً بهذه المعطيات طرفاً أصيلاً في معركة التحول الحضاري.

الهوامش:

1- صدر عن دار الساقي، بيروت، لبنان، 1995م.

2- أبرزهم لستير ثوروز Lester Thurow والمؤرخ بول كينيدي Paul Kennedy.

للإجماع؛ ولا يغدو الاجتهاد مقصوراً على الفقهاء، وإنما يتعداهم إلى الخبراء (ص 120)، وهو ما يجعلنا نشدد من جهتنا على أن الشورى ليست سلوكاً أخلاقياً ضيقاً، وإنما هي آلية من آليات الارتقاء النوعي للمجتمع الإسلامي في الإطار السياسي، ووسيلة من وسائل تحسين القرار من الوقوع في محاذير الأوهام والأهواء الشخصية للحاكم. فالشورى ليست شكلاً من أشكال أنظمة الحكم لنقول إن نظام الحكم في الإسلام ثابت ومنصوص عليه، وإنما يختلف النظام باختلاف المجتمعات والظروف.. غير أن الشورى آلية من آليات إنتاج القرار التي تتوخى الوصول إلى الواقع، فهي في الحقيقة عملية استبانه واستظهار للرأي من يتلون رأياً، وهو ما يجعلنا نتحفظ على رأي المؤلف بخصوص التحديد الحصري للشورى بكونها: «مؤسسة آلية لتطبيق نظام الخلافة» ص 114.

فالغاية العملية السالفة الذكر للشورى لا بد أن تؤدي بروحية أخلاقية سامية تجسد مفاهيم الأخوة والتراحم، وهما عنصران ضروريان،

أوضح المؤلف أن السلام في الإسلام هو القاعدة، وأن ما تضمنته تعاليم الإسلام من مثل عليا يجعل من الإسلام طرفاً أصيلاً في معركة التحول الحضاري الراهن

باعتداهما تفقد الشورى خصوصيتها الإسلامية وتحول إلى مجرد آلية خالية من الروح؛ فالديمقراطية لا تقاطع مع الشورى إلا في واحدة من مراميها وهي مشاركة الأمة في القرار لكن غايات المشاركة ليست واحدة.

كما نسجل على الأستاذ الجليل انعدام مساهمته للتجربة السياسية الإسلامية كما طبقت في التاريخ لا كما هو منصوص عليها، وعدم كشفه عن مظاهر الانحراف عن روح مبدأ الشورى آلية لكشف الواقع بوصفه نمطاً تربوياً إنسانياً قوامه التراحم والتآخي والتوالي، مع إيماننا أن الانحراف في التطبيق التاريخي للشورى لا يضر في أصل المفهوم، مادام مصدر التشريع إلهياً والانحراف بشرياً.

وبدل الفصل القاطع بين السلطات وما ينتج منه من أزمت سياسية، يدعو المؤلف إلى الأخذ بمنهج الإسلام في التكامل والتعاون بينها من دون

السياسة الأكثر عدلاً وارتباطاً بالنظام الإسلامي من طريق المراقبة التقويمية (ص 104). أما الغرض المقصود من الحكم فهو إقرار الحق في حكمة وتوازن بوساطة حاكم مدرك للقانون نصاً وروحاً، ومعتمد على مؤسسات وأجهزة تساعد على تنفيذ الأحكام.

ويستحضر الكاتب قول ابن قيم الجوزية: «حيثما يوجد العدل فثم شرع الله»؛ ليستخلص أن الحكم في الإسلام إنما يؤكد الربط الكامل بين الحكم والعدل مصداقاً لقوله تعالى: وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل. النساء: 58.

كما يشير الأستاذ عبد الهادي بوطالب إلى أن ثنائية الراعي والرعية - خلافاً لثنائية الحاكم والمحكوم - تفيد أن علاقتهما بشرية متمثلة في وعي كل منهما لدوره ومسؤوليته، فالكل راع والكل مسؤول عن رعيته.

ويلاحظ المؤلف أن السلطة في الإسلام روحية أكثر منها مادية، فكما أنه لا إكراه في الدين، فلا إكراه ولا قهر في السياسة، فرقابة الضمير الديني المتمثل في رقابة الله التي هي رأس الحكمة، هي

سلطة الحكم الإسلامي الضاربة جذورها في أعماق المجتمع، وهي سر انسجام المجتمع الإسلامي وتلاحمه. ص 108.

وبعد أن يلخص شروط الحاكم في الكفاءة والنزاهة والثقة والعلم والاجتهاد يحدد البيعة بوصفها نوعاً من التعاقد الحر، مميزاً بين البيعة العامة المنصبة على اختيار الخليفة، والبيعة الخاصة المتعلقة باختيار نخبة من أهل الحل والعقد أو الهيئة البرلمانية بلغة العصر.

وبرغم إقرار المؤلف باختصاص الله تعالى بالتشريع، إلا أنه أقر للمجتهدين باختصاص فرعي في التشريع كلما انعدم النص.

ويعد النظام السياسي الإسلامي الأمثل هو ذلك النظام الذي يقوم على الشرعية «مطابقة السلوك السياسي للنص الديني» والمشروعية «الرضا والموافقة من طرف الأمة» معاً، وأن الشرعية بمفردها لا تغني عن المشروعية شيئاً، وأن الشورى مقوم أساسي من مقومات الحكم في الإسلام، كما أنها ملزمة وواجبة شرعاً، وهي اجتهاد لا يلغي ولا يحل محل التشريع القرآني، وإنما يصار إليها للتشريع في المجالات التي لا يوجد فيها نص شرعي، أو يوجد لكنه غامض محتمل؛ كما يكون في القضايا المستجدة والنوازل العارضة في غير العبادات، أي في الأمور الدنيوية بحيث تصبح الشورى وسيلة

المرأة والإشاعة

د. نوره صالح الشملان

يرفض سلوكهم فيتخلصون من هذا السلوك المشين بإلباسه للآخرين. ويكون دافع الإشاعة أحياناً محاولة الرضا عن الذات وتعليق الأخطاء على شائعة الآخرين، ولأضرب مثلاً على ذلك: الطالب الخفوق الذي يلجأ إلى اتهام المدرس بالخبائبة والخيانة، وأن إخفاقه يعود إلى ذلك المدرس الذي لا يفرق في المعاملة بين الطلبة أو الذي لا يعطي الدرس حقه، أو غير ذلك من العلل، كذلك الرجل الذي أخفق في الوصول إلى مركز معين كان يسعى له، فيتهم من حصل على ذلك المركز بشتى التهم، ويعمل على إشاعة هذه التهم بين الناس وغرضه تحطيمه ورواد نجاحه.

والإشاعة تكون أحياناً تعبيراً عن أمنية لدى الناس، ولعلنا نتفق جميعاً على أن ما يشاع في كل سنة مالية جديدة من أن الدولة ستزيد رواتب الموظفين هو إشاعة تعبر عن أمنية لدى الموظفين. كذلك المرأة التي تطلق إشاعة عن طلاق أو اضطراب حياة امرأة أخرى هي بذلك تعبر عن أمنية تود تحقيقها.

ولا يفوتني أن أقول: إن الإشاعة أحياناً تبدأ خيراً صحيحاً تماماً، فإذا تناقله الناس زادوا عليه بقصد أو غير قصد حتى يتحول الخبر إلى قصة مغايرة تماماً للخبر الأصلي. والإشاعة أنواع، فمنها الإشاعة السريعة والإشاعة البطيئة، فالأولى تنتشر بين جماعات كبيرة في زمن قصير، وغالباً ما يكون موضوع هذه الإشاعة مهماً مما يدفع الناس إلى تناقلها والاهتمام بها، أما الإشاعة البطيئة فهي التي تروّج ببطء وتتأقلمها الناس بحذر وبطريقة سرية.

إن العلاقة بين أهمية موضوع الإشاعة وسريانها هي علاقة طردية، فكلما كان موضوع الإشاعة مهماً عند الناس كان سريانها سريعاً، كذلك فإن غياب الحقيقة أو غموضها يؤديان إلى كثرة الإشاعات وإزدهارها. والإشاعة في الحرب أحد الأسلحة التي يستخدمها المحاربون، ولها (استراتيجية) معينة، فهي ليست عملاً ارتجالياً، وإنما لها أهداف، فمن أهدافها تغيب الحقائق أو خداع العدو من طريق إطلاق الشائعات إلى جانب الحقائق فيضطرب ويصعب عليه معرفة الموقف أو الخبر الصحيح؛ فالجرب النفسية لا تقل عن حرب القنابل والطائرات، وغالباً ما تكون الإشاعة أهم وسائل الحرب النفسية. إن الإشاعة سلاح فتاك، فكم حطمت وكم هدمت.

لقد تعرضت أم المؤمنين عائشة لإشاعة ممتة ولكن الله أنقذها منها في قرآنه المنزل فأخرس الألسنة وكم الأفواه المعرصة.

إن الإشاعة تشيع البغضاء وتفتت الصفوف وتخلق البلبلة والاضطراب، فالناس أمامها بين مصدق متحمس لها، أو مكذب محارب، أو متردد لا يدرى أين وجه الحق. إن الفراغ والانحراف عن مبادئ الأخلاق الحميدة والإخفاق والإحباط والغيرة من نجاح الآخرين والرغبة في التحطيم من الأمور التي تجعل الإنسان مستسلماً للإشاعة توليداً وترويضاً، فكفانا الله وإياكم شر الشائعات المخرصة الهادمة، وأبعدنا عن مروجيها وشغلنا بأنفسنا عن غيرنا.

وأختم هذه المقالة بقول الحق تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين. الحجرات: 6.

وبعد فالإشاعة عمرها قصير؛ لأن البقاء للحق والحقيقة فأما الرّيب فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال. الرعد: 17.

ويبقى السؤال معلقاً يبحث عن إجابة: هل المرأة أكثر من الرجل اهتماماً بالإشاعات؟

هل صحيح أن المرأة أكثر من الرجل اهتماماً بالإشاعة خلقاً وترويضاً وتصديقاً؟ هل صحيح أن معظم الإشاعات تقول: ابحث عن المرأة؟ وهل صحيح أن الاهتمام بالإشاعة: تداولها وتصديقها يتناسب عكسياً مع الوعي والثقافة والعمل الجاد؟ قبل أن نخوض في الإشاعة لابد أن نعرفها أو نحدد مفهومها. جاء في لسان العرب: قال أبو إسحق: معنى شيعتُ فلاناً في اللغة اتبعت... وشيعته على رأيه وشايعة، كلاهما: تابعه وقواه... ويقال شاعك الخير أي لا تفارقه... ومنه تشيع النار بالقاء الحطب عليها بقربها، وشيعه وشايعة، كلاهما: خرج معه عند رحيله ليودعه ويلفقه منزله (1).

ويرى الراغب الأصفهاني أن الشيع هو الانتشار. يقال شاع الخبر أي كثر وقوي، وشاع القوم أي انتشروا وكثروا، وشيعت النار بالحطب أي قويتها. والشيعنة من يتقوى به الإنسان. قال تعالى: وإن من شيعته لإبراهيم الصافات: 83. وقال تعالى: هذا من شيعته وهذا من عدوه. القصص: 215 (2). هذه هي بعض المعاني اللغوية لكلمة إشاعة ومشتقاتها؛ أما إذا بحثنا عن المعنى الاصطلاحي؛ فالإشاعة هي: بث خبر من مصدر ما في ظرف ما ولغرض ما يغييه المصدر من دون علم الآخرين، وانتشار هذا الخبر بين أفراد مجموعة معينة. أو هي الأحاديث والأخبار التي يتأقلمها الناس، والقصص التي يروونها من دون التثبت من صحتها أو التحقق من صدقها، أو هي أخبار مشكوك في صحتها، ويتعذر التحقق من أصلها، وتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة إليهم، أو هي النبأ الهادف الذي يكون مصدره مجهولاً.

ويبدو لي أن التعريف الأخير يختصر كثيراً من التعريفات الأخرى. إنه من الصعوبة، بل من الاستحالة أن يخلو مجتمع من الإشاعة، فهي قديمة قدم الإنسان، والقرآن الكريم وقصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تبين أن أكثرهم تعرض للإشاعة، فموسى عليه السلام أشيع عنه بأنه ساحر في قوله تعالى على لسان فرعون الذي أطلق الشائعات عليه: إن هذا لساحر عليه. يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماداً تأمرون. الشعراء: 34 و35. ومريم ابنة عمران أشاع عنها قومها ما أشاعوا، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك حين قال على لسان اليهود: يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً. مريم: 27 - 28.

والرسول الكريم أشاع عنه قومه أنه كاذب فسجل القرآن بطلان هذه الإشاعة في قوله تعالى: أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين. يونس: 38. ولا أريد أن أفصل في هذا الموضوع لأنه موضوع طويل ومتشعب، وحسبي الإشارة إلى أن الإشاعة حقيقة متكررة في كل زمان ومكان، وأن الأنبياء والصالحين لم ينجوا منها.

لو تساؤلنا كيف تنشأ الإشاعة لأدركنا أن هناك عوامل متعددة تتضافر وتتحد حيناً، وتنفصل أحياناً في خلق الإشاعة. ولعل عامل الحقد والرغبة في تحطيم الآخرين، ولا سيما إذا كانوا من الناجحين، يعد من أسباب ظهور الإشاعات حولهم، أو اختلاق القصص الوهمية، أو تفسير سلوكهم تفسيراً مغايراً للحقيقة والواقع. ومخالق الإشاعة هنا يحاول أن يكسب نصراً وهماً على أناس لا يستطيع أن يحرز عليهم نصراً حقيقياً.

والإنساق عامل مهم في ولادة الإشاعة وترويضها، وقد أثبتت الدراسة النفسية أن المتحررين في السلوك هم أكثر الناس إطلافاً للإشاعات، لأن إسقاطهم عيوبهم على الآخرين يجعل تلك العيوب شائعة، ومن ثم يقل ازدراء الناس لها، أو أن عقلهم الباطن

الهوامش:

1- لسان العرب، مادة: شيع. ويفرد ابن منظور صفحات لمعاني كلمة شيع تكفي منها بما أوردها.

2- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مادة: شيع.

علي بن محمد السنوسي بين عهدي

1315 - 1363 هـ



د. عبدالله أبو داهش

ينتزع

للباحث أن الأدب في تهامة عبر القرن الثالث عشر الهجري وما بعده قليل لم يكن بأحسن حالاً من القرون السابقة قبل القرن الثاني عشر الهجري، إذ المعروف أن تلك الفترة لا توصف بالضعف (1) الذي اقترن بالأدب في بقية البلدان الأخرى في جزيرة العرب وفي غيرها؛ وذلك لعدة أسباب أهمها: اتصال الأدب عبر تلك القرون بما سبقه، وتوافر الأدباء والأمرء النابهين المشجعين لحركة الأدب والفكر في بلادهم؛ فلقد تهيأت البيئة العلمية الخصبة ذات الأصول الفكرية المزدهرة، فضلاً عن محافظة البيئة الأدبية وتربطها، وعدم وضوح الترف المادي في ربوعها، أو شيوع العجمة بين أهلها وأمرائها، مما هياً لذلك العصر حياة أدبية يقظة، وجعله يختلف عن الواقع الأدبي المعهود في القرون الأخيرة الماضية الذي يمكن أن يوصف بمظهر الاعتدال، إذ لم يحدث في هذه المدة الأخيرة شيء من مظاهر التجديد، وإنما محافظة على النهج التقليدي المعهود، لولا وجود بعض الظواهر الأدبية البارزة المعروفة، مثل: شعراء الحنين وما نجم عنه في ميدان: البعد والاعتراب وما عرف من شعر: بكاء المدن، ورتاء الحجاج (2).

وإذا كان عهد محمد بن علي الإدريسي (1326 - 1341 هـ) في الربع الثاني من القرن الرابع عشر الهجري قد نبه على شيء جديد من أسباب اليقظة: العلمية، والأدبية، فإنه لم يسلم من مظاهر الغلو المذهبي الناجم هنالك عندئذ، ولم يكن واقع الأدب في هذا العهد بقدر ما كان يؤمل فيه لوجود شاعر مثل الإدريسي نفسه الذي كان معروفاً

بشاعريته في مصر بحكم دراسته وتلقيه العلم هنالك، فكان من المؤمل تأثره وتأثيره. ولكن هذا الحال لم يلبث طويلاً حتى تبدل بظهور الدولة السعودية الثالثة التي بدأت تبسط نفوذها، وتنشر سلطانها على بلدان تهامة، وتؤثر بقدر في حركة الأدب، مما عكس أثر هذه الصحو التي بدأت تأخذ بأسباب الثقافة الأدبية في الحجاز، وبقية مراكز الفكر الأدبي في بلدان العالم العربي. ولعل من أسباب هذا الانتعاش: شيوع الدوريات (3)، ووجود التشجيع المعنوي من لدن الأمراء المحليين (4)، وظهور تلك الصحو الدينية التي حققها الشيخ عبد الله القرعاوي (5) ومن شابعه من أبناء تهامة، ناهيك بتشجيع الملك عبد العزيز نفسه للأدب.

وعلى اشتغال هذا الواقع الأدبي في تهامة على تلك الأسباب، نلاحظ أن شاعراً مثل: علي بن محمد السنوسي (1315 - 1363 هـ) (6) لم يفد بوضوح من وجودها، وإنما كان مقلداً لمن سبقه، محافظاً على نهجه وأسلوبه المعهودين، وخاصة في العهد الإدريسي، إذ يمكن القول بأن شعره الذي بين أيدينا الآن في هذا العهد يمثل شيئاً من مستوى الشعر بتهامة في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، ويشير إلى حقيقة شعر السنوسي ومسيرته الأدبية. فإذا علمنا بأن عودته من تهامة اليمن إلى صبيها كانت في سنة 1334 هـ/1915م (7)، فإن هذا يدل على أنه نظم شعراً في هذه الأثناء، وأن القصيدة اللامية في مدح الإدريسي التي نظمها سنة 1337 هـ/1918م، وأن عمره عندئذ نحو اثنتين وعشرين سنة، وأنه نظم بعض قصائده الأخرى في

نحو منتصف العقد السادس في هذا القرن نفسه، أي إن عمره كان يدنو من أربعين سنة، بمعنى أن أسلوبه قد قوي وتمرس، وأن شاعريته قد نضجت واستقامت (8). ولعل السبب في ذلك يعود إلى دربة الشاعر وما انعكس على حياته عندئذ من أسباب نفسية واجتماعية، وهو ما يفرق بين مستوى الشاعر السنوسي في العهدين: عهد الإدريسي، وعهد الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

ومهما يكن الأمر، فإن ملامح القيمة الأدبية في ذلك النتاج الأدبي بين العهديين تأتي متفاوتة، إذ نلاحظ أن قيمة قصيدة هذا الشاعر السابقة التي أنشأها في سنة 1337 هـ ومطلعها:

يا سادتي يا بني إدريس لم يزل

قلبي عليكم مقيماً أينما يحل

تأتي مثله لبداية مراحل تطور شعره، إذ قالها في وقت مبكر من بداية نظمه للشعر، مما يشير إلى اضطراب في تكوينها الفني، فهو على تناوله لموضوعه الشعري لم يلتفت إلى نهج القصيدة العربية المعهود، من حيث: المنهج، ومظاهر التقسيم، وإنما انطلق إلى موضوعه الشعري الذي تمثل في مدح السيد محمد بن علي الإدريسي، والتعرض إلى موضوع النقاش الأدبي الذي تم بينه وبين المعلمي في مجلس الإدريسي عام 1337 هـ نفسه، والذي تسبب في نشوء خصومة أدبية جادة (9)، فلنلاحظ على أبيات القصيدة أنها لم تخل من معالم الغلو ومظاهر التصوف، مما يجعل الناقد يتحرز من تناول الشاعر في هذه المرحلة المتقدمة من عمره، فقد صبغ السنوسي مقدرته الشعرية المعتدلة بملامح الغلو الصوفي الظاهر في مثل قوله:

أرض بها السرُّ مبثوث وما عَرِيَتْ
من سادة هم نجومُ الأرض أو دُولٍ
كانها القدس في يمين التهمة ما
أنقى مساجدها من أنجس الزلل
حتى غدت كعبة الزوار واحتفلت
في تربها أولياء الله فلتقل (10)

فالقاموس اللفظي هنا قاموس صوفي لم يسلم من مظاهر: المحلية، وسطحية المعاني، فضلاً عما أصاب القصيدة عامة من المبالغة، والغلو، مما أثر في الدلالة الشعرية، وصرفها نحو الضعف والابتذال، ووسمها بمنحى صوفي ظاهر، ناهيك بما وقع في نتاجه عندئذ من المآخذ الدلالية، والأسلوبية، والعروضية، وما نهجه من محافظة شكلية على كثير من التعاليم الأدبية المعهودة في القرون الوسيطة الماضية، ولا أتدد في القول: إن هنالك كثيراً من النتاج الشعري الذي لم يصل إلينا لهذا الشاعر، ولا يعدو هذا المستوى الفني السابق (11).

وإذا أحيط بشيء من مستوى شعر الشاعر علي بن محمد السنوسي في العهد الإدريسي، فإن شعره في العهد السعودي الحاضر كان أظهر، وأكثر حضوراً، إذ صرف هذا الشاعر معظم نتاجه نحو مدح الملك عبدالعزيز آل سعود وبنيه، وعماله الأمراء في جازان، ولم يفسح كثيراً لعواطفه الخاصة بالتعبير والحديث، وإنما أتى هذا الجانب متفرقاً في ثنايا شعر هذا الأديب على ضياعه، وندرته، ومع ذلك فإن معنوية في هذا العهد كانت أكثر ثقة من ذي قبل، فهو عندئذ يصدر عن طمأنينة واضحة، مؤداها الثقة بمسودحه، ووضوح منهجه السياسي، فضلاً عن توفيق السنوسي في معجمه الشعري الذي كان ينهل منه، يقول مثلاً:

حتى نشأت بهمة غلابه

وعزيمة يرتاع منها الجلمد
أنشأت فيها دولة عربية
بالنصر من رب السماء تؤيد
وأقمتها لله لا تبغي بها
جأها ولا مالاً يبيد وينفد
وحميتها بالمشرقي وصنتها
عن كل طاغية لها يترصد
كانت هي الرُّم التي قد قطعت
حتى استقر بها لديك المقعد (12).

وعلى بعد العهد الزمني المتعبر في عمر هذا الشاعر، نلاحظ أنه في هذا العهد قد عدل كثيراً من

قدرته الشعرية، وتمكن من استعمال الدلالة اللغوية المناسبة والإفادة منها، فهو عندئذ يوظف تلك الدلالات في معان مقبولة تخدم الغرض الشعري، وتنهض به، فالناظر في هذه القضية السابقة يلحظ أن الشاعر بالفعل قد أفاد من عمره الأدبي، واستطاع أن يُحمّل ألفاظه المعاني التي يريد تحقيقها، والتحدث عنها، مما عكس تطور هذا الشعر في ميدان أسلوب التعبير والدلالة اللغوية، فهو مثلاً يلون تلك الألفاظ الدلالية بشيء من ملامح المبالغة المقبولة ذات العمق الدلالي، ولا غرو فهي تناسب أفعال الممدوح، انظر إلى قول الشاعر:

ما فوق ربتك الرفيعة سؤدد

أبدأ ولو أن الخجرة مقعد

طَلَّت الزمان وأهله بسيادة

فقساء يقصر عن مداها الفرقد (13).
فالأفعال المستخدمة في البيت الثاني تزيد من توظيف الكلمة، وتعبر عن معانيها، ويمكن قياس ذلك على أبيات إحدى قصائده الأخرى الموسومة بـ«وجودك جود يشحن السفن بعضه» التي أنشأها سنة 1359هـ، لولا أن السنوسي في هذه القصيدة قد اتكأ في مدحه لمسودحه على بعض المصطلحات العلمية التي لم يكن استخدامها مقبولاً في هذا العهد، فهو يقول:

كأن زمني عنده النحو والصرف

فأنفق حتى راح من يده الصرف (14).
فعلى طرفة المعنى، لم يكن مقبولاً من السنوسي حينئذ أن يخضع معانيه لهذه الأساليب المتكلفة التي ربما قللت من مقدرة الشاعر المعهودة، إذ ربما تفوق بها على بعض معاصريه، حيث يفترض فيها نضج هذه الدلالة، فقد كان الشاعر يعد في الموهوبين، ويحقق ذلك تناوله الشعري في هذه القصيدة الفائقة التي نلاحظ فيها تدفق شاعرية قائلها عبر أبياتها، مما يدل على قدرة الشاعر المعتدلة، فالتكوين الفني ظاهر غير خاف على الناظر، لولا ملامح هذه التقليدية المتكلفة، انظر في قوله:

وجودك جود يشحن السفن بعضه

فليس بتسأل يولده العطف
ولكنه جود بمحض تفضّل

يبد به منك التكرم والألف (15).
فكأن القارئ يلمس تدفق الموهبة، والقدرة الشعرية في فكر الشاعر الذي يتميز إلى حد ما بقدرته على توظيف الدلالة الشعرية في معظم شعره المنشور (16).

ومع ذلك كله يمكن القول: إن الحكم النقدي على ما وقع في أيدينا من شعر السنوسي لا يمكن الاطمئنان إليه، إذ ليس بدقيق، بحكم قلته، وعدم الإحاطة بشعر قائله كله، ولذلك فالشعر الذي عُرف للسنوسي في بعض المصادر المطبوعة المنشورة قد لا يكون يبعيد من هذا المستوى، ولذلك يمكن القول: إن السنوسي لا يعدم الموهبة الشعرية، ولا تنقصه، ولكنه لم يطورها، أو يدل في نهجها وأسلوبها، وخاصة إذا علم وجود الأسباب الداعية لهذا التحول أو التجديد، فمن الواضح أن الشاعر ظل محافظاً على نهجه التقليدي في شكل قصيدته لم يدل في أسلوبها ولا تكوينها مع أنه أحاط بمعان جديدة من تساعده لو استغلها في تحقيق ما يطلبه عصره من مظاهر التحول والتجديد، إذ ورد شيء من ذلك إلى تهامة، وخاصة شعر رواد المدرسة التقليدية ممن لهم أثر في نهضة الأدب العربي الحديث، أمثال: البارودي، وشوقي (17)، حيث لم يمكن هذا التأثير للسنوسي شيئاً من التجديد أو التطور الشعري، بل ظل يحافظ على نمط القصيدة التقليدية المعهودة لا يحدد عنه، ولا يميل. وذلك كله جعله في العهدين من المحافظين التقليديين ليس في قصائده السابقة فقط، بل في شعره المعروف.

الهوامش والتعليقات:

1. يتحقق ذلك في نواح نثر من أدباء تلك الحقبة، مثل: القاسم بن علي الدوروي، والقاسم بن علي بن هبيل في القرن السابع الهجري، والجراح بن شاجر الدوروي، ومحمد بن عمر القصدي من شعراء القرن العاشر الهجري وغيرهم.
2. انظر: «الحياة الفكرية والأدبية في جنوبي البلاد السعودية» للباحث.
3. مل جريدة أم القرى، وصوت الحجاز، ومجلة النهل.
4. مثل: محمد بن عبد العزيز الماضي، وخالد السديري، ومحمد بن أحمد السديري.
5. انظر ترجمته في: «علماء نجد» للسام 632/2 و«روضة الناظرين» للقاظمي 40/2.
6. انظر ترجمته في: «المفقود من شعر السنوسي» للباحث.
7. علي بن محمد السنوسي، «السماء الممدودة»، مجلة النهل، ج 3، مع 38، ربع الأول 1396هـ، 207.
8. انظر مجموع: «شعراء الجنوب»، و«المفقود من شعر السنوسي».
9. يوجد هذا النقاش الجاد مخطوطاً في مكتبة الحرم المكي الشريف، قسم المخطوطات، وقد حققه الباحث، وتم نشره في مجله عالم الكتب.
10. قصيدته المخطوطة السابقة، توجد صورتها لدى الباحث.
11. انظر: «من شعر علي بن محمد السنوسي» للباحث.
12. جريدة أم القرى، ع 643، س 13، الجمعة 20 محرم 1356هـ، 3.
13. المصدر نفسه 3.
14. مجلة النهل ج 2، مع 4، س 4، محرم 1359هـ، 22.
15. المصدر نفسه 24.
16. انظر: «مجموع شعراء الجنوب»، و«المفقود من شعر السنوسي»، و«شعر علي بن محمد السنوسي».
17. ورد بعض شعرها في أحد «مجاميع الصفري المخطوطة»، مما يدل على معرفة شعره تهامة بهما، ووعيه بما كان يجري في الساحة الأدبية، ولكن التأثير كان ضعيفاً إلى حد كبير.

جُلُوفُ والتحول الثالث

سيرة مالكولم إكس

الهندي عن مالكولم إكس، وكيف أنه أحد أبرز دعاة الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان مالكولم قد اغتيل قبل هذا الحوار بنحو ثلاثة أعوام، وأعطاه صاحبه كتاب «السيرة الذاتية لمالكولم إكس» الذي وضعه الكاتب الزنحي المعروف أليكس هيلي.

قضى حذيفة أوقات فراغه في الأيام التالية في مطالعة سيرة مالكولم إكس أو مالك شباز كما عُرف بهذا الاسم بعد إسلامه، فكانت هذه السيرة بداية تعرفه الطريق الصحيح، ومعرفته بالدين الإسلامي، الذي لم يكن يعرف عنه من قبل شيئاً يذكر.

وشكر حذيفة الله كثيراً أن وجد زميلاً آخر في السفينة يحمل معه نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم، إذ كان في داخله يتوق إلى معرفة كل شيء عن هذا الدين الذي جذب مناضلاً مثل مالك شباز، وحوّله من داعية لرد العنف بالعنف، إلى داعية لتحقيق السلام بين البشر، ومن خلال ترجمة معاني القرآن الكريم، عرف حقيقة النصرانية، وغيرها من الديانات، واكتشف للمرة الأولى أين يجد الحقيقة الكبرى، حقيقة الألوهية والربوبية، بعيداً من خزعات البوذية، وانحرافات النصرانية، وتحريفات اليهود، وجد الحقيقة الكبرى في رحاب كتاب الله، حيث ينزه الخالق المتعال عن الصفات التي تشبهه بخلقه - تعالى الله عما يقولون - ويتعالى ويتسامى في ملكوته.

وجد حذيفة مفهوم الألوهية في القرآن الكريم واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، فالله أحد، فرد، صمد، ليس كمثل شيء، لم يكن له زوجة ولا ولد، بل هو محيط بكل شيء، وبكل شيء عليم خبير.

عندئذ وجد حذيفة شيئاً خفياً يدفعه إلى قبول الإسلام ديناً، والإيمان بالله الواحد الأحد رباً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وخاتماً للرسل صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

ووسط هذه الفرحة باكتشاف الحقيقة التي طالما سعى لمعرفة، جاء تأنيب رسمي لحديثه عن الدين في السفينة، التي كان من بين قواعدها العرفية غير

الطبول، وجد أن البروتستانتية لا تحمل أي غذاء لروح، فبحث عما يملأ الحواء النفسي في داخله، وكان التحول الثاني باتخاذ البوذية طريقاً للخلاص الروحي، ودافعه إلى ذلك ما وجدته في التقاء البوذية مع النصرانية في عقيدة التثليث، حيث يعبد البوذيون إلهاً مثلثاً يسمونه «فو»، فضلاً عما تحويه البوذية من تعاليم تخاطب السلام الداخلي للإنسان، فكان لجوّه إليها بحثاً عن هذا الأمان الذي يفقده، ولفترة أحس بأنه وجد ما يبحث عنه، إلا أن هذا الإحساس ما لبث أن تلاشى، كما يتلاشى البخار، ولم يعد منه ما يعينه على مواجهة الحياة، وتحقيق الأمن النفسي. وكان - آنذاك - يدرس علم الأحياء الدقيقة بالجامعة.

برنامج ميداني

وشاءت عناية الله أن تتم دعوته للالتحاق ببرنامج عملي للتدريب الميداني يؤهله للحصول على امتياز في دراسته في الكلية، وكان يعمل في الوقت نفسه في إدارة الأجواء والمحيطات التابعة لوزارة التجارة، وكُلف بأن يكون ضابطاً مسؤولاً عن التدريب في سفينة أبحاث تتبع القوات البحرية، كانت مهمتها الأساسية رسم قاع المحيط، وفيما كان على السفينة التقى أحد سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر)، وتعاونوا، وذات يوم سأله الهندي الأحمر وقد عرف منه اهتمامه بالبوذية: هل تعرف مالكولم إكس؟

حار بطلنا في إجابته، ثم شعر بالرجل حين حدثه

بانت قصص التحول إلى الإسلام من ديانات أخرى لا تنتهي، فكل إشراقة شمس تحمل لنا نبأ العديد من حالات اعتداء أناس إلى شريعة الحق، ودخول أفواج جديدة في دين الله، إلا أن هناك قصصاً تستحق أن تروى، ومنها قصة إسلام المهندي الأمريكي حذيفة عبدالرحيم.

ولد حذيفة لأبوين يعتنقان المذهب الكاثوليكي النصراني، وشب على منوالهما يعتنق عقيدة التثليث، ويذهب إلى الكنيسة كل يوم أحد، وانبهر خلال زيارته للكنيسة بالمكانة والاحترام والتبجيل الذي يلقاه القس من رعايا الكنيسة، فتمنى في صغره أن يكون قساً حين يكبر، لعله ينال احترام الأسرة وتوقير المجتمع، إلا أنه حين كبر تراجع عن هذه الأمنية، بعدما عرف بموضوع حظر الزواج على القسس، إذ رأى في هذا حرماناً غير مشروع للإنسان من تلبية حاجات فطرية أودعها فيه الخالق، لتجيء الكنيسة وتحظرها عليه دونما سبب منطقي، وكأنها تدفعه إلى نيل وطره بالوسائل غير المشروعة.

التحول الأول

كانت ثمرة هذا الموقف التحول الأول في حياته، حيث ترك الكاثوليكية، وإن لم يترك النصرانية، إذ اعتنق المذهب البروتستانت. وظن أنه بذلك قد انتهى إلى الطريق الصحيح.

لكنه كان واهماً، فبعد عامين من ذلك التحول صاحب خلالهما القسيسين والرهبان، يضرب لهم

حي المعلم

شعر: بدر عبد الحميد إبراهيم

أعطى الحياة حياته بل أكثرها
متألِّفاً صاغ العلوم جواهرها
من عاشقٍ عَشِقَ النجوم مفاخرها
أو مَنْ يسابق جهده ياهل ترى؟
خضعت له كل المعالي في الذرا
يُمسي على فيض الأمانى زاخرا
حتى يظلّ العود أخضر ناضرا
يبقى على الأيام جلداً صابرا
مُلِكٍ عظيم قد رآه عامرا
إن ضاقت الأقدار يبقى شاكرا
متعقفاً صُلِبَ الإرادة طاهرا
يبقى يقاسمه الطريق وآخرا
هذي القوافي في يدك وأبحرا
تفنى نزول وأنت تبقى شاعرا
فضلاً كبيراً في الخلود مُسطراً

حيّ المُعلِّمَ شامخاً فاق الورى
واذكر على الأيام فضل جهاده
يا أيها الركب الكريم تحيةً
هذا المعلم من يداني فضله؟
وَسَمًا يطاول أنجماً وكواكبا
كالبحر يصبح بالعطايا مثلما
كالشمس تشرق بالضياء مُجدداً
هذا المجاهد إن شكا قرنأوه
فشعاره: هذي القناعة والرضا
إن ضنّت الأيام يبقى حامداً
فطريقه الإخلاص يحدوه التقي
وسلاحه «الطبشور» أوّلَ عهده
لو قلت شعراً سيدي لتكسرت
ما الشعر إلا نفثة ميمونة
هذا العظيم فحيّه واذكر له

المكتوبة ألا يتحدث أحد في الدين أو السياسة بحكم أن السفينة تتبع جهة عسكرية.

إشهار إسلامه

وصلت سفينة حذيفة إلى قاعدة من قواعدها تقع بين أوكلاند وسان فرانسيسكو تسمى «جزيرة الكنز»، ويبدو أن التسمية جاءت في محلها، إذ عثر حذيفة فيها على الكنز الذي يبحث عنه، فقد كان يسعى للعثور على أي شخص مسلم ليعرف منه أكثر عن الإسلام، ولأنه محدود المعارف بالدين الإسلامي، فقد ارتأى أن يبحث عن شخص مسلم بين مرتادي أندية موسيقى الجاز في وسط المدينة، فقرر قراره أن يركب حافلة ويسأل سائقها عن أحد هذه الأندية، وبالفعل وقف بمحطة الحافلات، وحين توقفت حافلة بحذائه سأل سائقها عما إذا كان يعرف نادياً للجاز، فرد السائق معتذراً بأنه مسلم ولا يرتاد مثل هذه الأندية التي تحدث فيها المنكرات.

لم يصدق حذيفة أذنيه من المفاجأة، فها هو مَنْ يبحث عنه أمام عينيه، وتعرف إلى السائق. ومن خلال ذلك السائق المسلم السني، عرف الكثير عن الإسلام، واكتشف أن الإسلام ليس ديناً خاصاً بالعرب أو السود، بل هو دين البشرية جمعاء، هو الدين الذي نادى به الرسل جميعاً قبل أن يبعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام مكملًا للناس دينهم، ومختتماً الرسالات السماوية.

ومن خلال ذلك الرفيق المسلم حصل حذيفة على مجموعة من الكتب الإسلامية، منها «رياض الصالحين» و«في ظلال القرآن»، و«الفرق بين المسيحية والإسلام» فضلاً عن ترجمة لمعاني القرآن الكريم، وعرف للمرة الأولى طريقه إلى المسجد، وبدأ يتعلم كل يوم شيئاً جديداً عن الإسلام، حتى جاء يوم فرحته الكبرى، الذي ما يزال يذكره كأنه حدث بالأمس، ففي اليوم التاسع والعشرين من شهر أغسطس 1979م، وفيما كان في المسجد، وجد الإمام يلتفت إليه ويسأله: ماذا تنتظر يا أخي؟ وجاءت الإجابة على لسان حذيفة الذي بادر بنطق الشهادتين، منتقلاً بهما من ظلام الليل إلى ضوء النهار الساطع، ومنقذاً روحه من عذاب يوم ترجف فيه الراجفة.

فضيلة الشيخ
عبدالله الجبرين

وصف الوقت

إذا وصف أحدهم الوقت بالشح، وهو يقصد بذلك الوقت المتاح له لإنجاز عمل ما، هل في ذلك سبب للدهر؟

محمد حسن جبر، الرياض.
يجرى على ألسن كثير من الناس قولهم: شح علينا الوقت؛ أي ضاق عن الأمر الذي نريده، وهو محمول على حسن الظن بمعنى أنه لم يتسع لإنجاز الأعمال التي يريدونها من كتابة أو مراجعة أو وصول إلى الغرض المقصود، ومع ذلك فإن هذا الوصف مكروه، وفي النفس منه شيء، فإن الوقت زمان محدد له أول وآخر وليس هو الذي يضيق بنفسه، وإنما العامل الذي فوت بعضه، أو ظن أن عمله قليل فزاد في العمل بحيث انقضى الوقت قبل الفراغ منه. فالأولى التعبير بما لا كراهة فيه وما يؤدي المعنى المقصود. والله أعلم

نشرات الأخبار.. والمذيعات

مشاهدة نشرات الأخبار أصبحت ضرورة لمعرفة أحوال العالم. ما حكم مشاهدة النشرات التي تقدمها مذيعات ومراسلات، ولا سيما في القنوات الأجنبية؟

عبدالله محمد عسيري
أبها، المملكة العربية السعودية.
لاشك أن النظر إلى المرأة المتكشفة المتبرجة حرام؛ لأنه مما يخشى منه الفتنة والوقوع في الحرام، ولو أن كثيراً من الناس قد اعتادوا هذا النظر فإن ذلك لا يسوغ الجواز، فعلى هذا إذا عرضت هذه النشرات اقتصر على السماع دون النظر كما في سماع الإذاعة الصوتية، وقد يكتفى بالنشرات المقرؤة في الصحف والتي يذيعها التلفاز بصوت الرجال أمام الرجال دون

النساء حرصاً على صيانة البصر والقلب عن كل ما يجلب السوء أو يوقع في الفحشاء. والله أعلم.

الوفاء بالنذر

إذا نذر أحدهم بأنه سوف يقيم وليمة لأصدقائه عند تحقق أمنية من أمنياته، وأخّر الوفاء بالنذر لضيق ذات اليد مع أنه عازم على إقامه، هل في ذلك بأس؟

صالح عامر صالح
القاهرة.

لا بأس بالتأخير حتى يقدر على تحقيق ما نذره ووعد به مع أن هذه النذر ليس طاعة ولا عبادة، فلو كفر عنه كفارة يمين لكفاه ذلك، فإن الوفاء الواجب إنما هو نذر العبادات؛ كما لو نذر صدقة بمال معين أو نذر صياماً أو حجاً أو عمرة أو صلاة أو قراءة أو اعتكافاً، فإنه يجب عليه الوفاء به إذا تحقق الشرط، أما نذر العادات كالوليمة والكرامة للصديق فإنه يُخَيَّر فيه بين الوفاء به أو الكفارة، فإن لم يقدر عليه في الحال وأخّر الوفاء به إلى ميسرة جاز ذلك مادام عازماً على الوفاء به. والله أعلم.

الغيبة والنميمة

إذا عرف المرء صفة سيئة في أحد معارفه، وأخبر بها آخرين حتى لا يقعوا ضحية صاحب هذه الصفة السيئة، هل يعد ذلك غيبة أو نميمة؟

عثمان ساتي زيادة
الخرطوم، السودان.

لا يعد ذلك من الغيبة المحرمة بل هو من النصيحة التي هي تحذير من الشر والفساد والضرر المتعدي، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم استأذن عليه رجل فقال: «بئس أخو العشيرة»، ثم ألان له الكلام وقال: «إن شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه». وثبت أنه قال عن أبي الجهم إنه «لا يضع عصاه عن عاتقه»، وعن معاوية إنه «صعلوك لا مال له»، وكل ذلك من باب النصيحة والتحذير من الشر والضرر المتعدي. فإذا كان هذا الرجل مدخناً أو سكيراً أو سارقاً أو زانياً أو خائناً أو فاجراً أو تاركاً للصلاة أو للجماعة أو نحو ذلك ورأيت من يجالسه أو يمدحه فتكلمت فيه بما تعرف فلا

حرج في ذلك وقد ورد في الأثر: اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذر الناس. والله أعلم

المرور أمام المصلي

ما حكم المرور من أمام المصلين، ولا سيما حين يكون المكان ضيقاً؟

محمد الإدريسي
أغادير، المغرب.

لا يجوز ذلك، فإن المصلي له حرمة وكرامة فلا يجوز المرور أمامه أي بالقرب من موضع سجوده؛ لأنه ينشغل بذلك عن الإقبال على الصلاة ويتشوش ويلهو عن الإقبال على الصلاة فلا يدري ما يقول، وقد ورد في النهي عن المرور أحاديث كثيرة مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه». والمعنى أنه لو علم الإثم والذنب الذي يحمله من هذا المرور لفصل القيام أربعين يوماً، وإن كان ذلك من باب التهديد. وقد ورد أيضاً الأمر بدفع المار مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا صلى أحدكم إلى ستره فليدن منها ولا يدعن أحدا يمر بين يديه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان»، وغير ذلك من الأحاديث. والله أعلم.

المسابقة على هدايا

اتفق بعض الأصدقاء على إجراء مسابقات فيما بينهم، وذلك بأن يسهم كل منهم بمبلغ من المال يشترطون به بعض الهدايا التي تقدم للفائز منهم، هل في هذا الأمر شبهة ميسر أم إنه تسابق حلال؟

إبراهيم عبدالقيوم
الدوحة، قطر.

إذا كانت المسابقة على فوائد علمية أو مباحث مفيدة أو حفظ آيات وأحاديث فلا مانع من بذل الجوائز، ولا فرق بين كونها من المتسابقين أو من غيرهم. أما إن كانت المسابقة على أمر لا فائدة فيه أو فيه مضرة فلا يجوز التشجيع عليه، وقد يدخل في الميسر إذا كان العوض كثيراً يضر بعض الحاضرين الذين بذلوه، فإن كان يسيراً كأن بذل كل منهم عشرة أو عشرين ريالاً فلا حرج في ذلك. والله أعلم.

الألغاز الشعبية في تونس

محاولة في التصنيف وإيضاح الخصائص

خليفة الخياري

تمثل الألغاز الشعبية ركناً مهماً من أركان الثقافة الشعبية ذات الأنماط المتعددة من غناء وشعر وقصص مأثورة وأمثال شائعة.. تتداولها العامة بلهجة هي خليط عجيب من العربي الفصحى المعدل الأبنية، والدخيل، بما في ذلك بعض الألفاظ من مخلفات اللسان البربري القديم. ولأسباب غير معلومة تأخرت دراسة هذا الركن موازنة بالاهتمام المستمر الذي شمل بقية الأركان على تنوع مضامينه وخصوصية دلالاته وانطواء مدونته على خصائص حضارية جديدة بالإيضاح.

نضجها. وهناك تشابه بين عملية جني الشجرة المثمرة وبلوغ السر في الكلام الملغز.

ويقسم السيد عيد الألغاز في دراسته إلى ثلاثة أنواع:

1- اللغز النثري: لم يُعرفه، وإنما ضرب لذلك أمثلة منها: «على جاجه جايه من بعيد بالطبل والزغاريد» والمعنى بذلك المطر يصاحبه الرعد والبرق.

2- اللغز الشعري: ويعني بذلك الأبيات الشعرية عامية كانت أو فصيحة، والتي تقوم على الإشارة إلى لوازم الشيء دون التصريح بذاته. وعزز رأيه بنماذج من شعر ابن الفارض ومحمود يبرم التونسي، وغيرهما.

بالتخمين. وما نلاحظه أن الباحث قد اكتفى بالألفاظ المتداولة في الشرق، واختصر تعريف الأحجية اختصار شديداً. فمعنى الأحجية مستمد من مادة (ح ج ي) من الحجى وهو سداد الرأي وبلاغة القول، وحاجاه أي تبين مدى حجاه. ومن مأثور أقوال العرب: «أحاجيك ما في يدي وحججك ما في كمي» وهذا القول هو أصل العبارة التي نراها متداولة في الأوساط الشعبية وبالتحديد في مجامع التلغيز: «على من حاجاتك...». ونضيف إلى هذه التسميات الثلاث لفظ «الحرفاء» وهو الأكثر شيوعاً في الأرياف التونسية، ويبدو أن معناه مأخوذ من مادة (خ ر ف) واخترف الثمرة أي جناها بعد اكتمال

وانه ليعسر على الباحث في هذا الشأن أن يجد مدونة خاصة أو دراسة قيمة متكاملة يمكن الاستناد إليها في عمله. ومع اهتمامنا بالموضوع منذ عامين لم يشد انتباهنا ما يشفي الغليل ما عدا مقالة مقتضبة سوف نتناولها بالتعليق لاحقاً (1). وقد عرفت القواميس مادة (ل غ ز) على أنها من «لغز اليربوع جحرته وأغزها، حفرها ملتوية مُشكلة على داخلها. ومن الحجاز: ألغز كلامه أي عمّاه ولم يبينه» (2). أما التعابير العامية المرادفة لهذا المعنى فمختلفة باختلاف اللهجات، ذكر منها محمد السيد عيد ثلاثة ألفاظ: الفزورة: وهي مشتقة من فزر الثوب أي شقه لإظهار ما وراءه. والحزر = أي تقدير الشيء

- **اللغز القصصي:** ويستمد التسمية من توافر بناء حكائي يشاكل الأسطورة أو الخبر التاريخي في الحكايات المتوارثة. واستشهد بقصص أوديب والمملك الطاغية في نصّ سوفوكليس، وماكبث لشكسبير، وهاتف الغيب لجمال الغيطاني.

والظاهر أنه يقصد باللغز القصصي الحكايات المتوارثة في الأوساط الشعبية والمروية بطرق مختلفة لانعدام أصل تاريخي محدّد لها، مثل أخبار الهلاليين المأثورة في شمال إفريقيا وفي المشرق كذلك. لأن النصوص التي استشهد بها نصوص ثابتة تنتمي إلى أجناس أدبية محدّدة لا علاقة لها بالألغاز إلا من حيث توظيفها للخبر التاريخي توظيفاً فنياً. وهذا التقسيم لا يخلو من ثغرات،

منها أن القسمين الثاني والثالث خارجان عن المفاهيم الثلاثة التي تفصح عنها التسميات الشعبية التي

أوردها. ثم إن مايسمّيه باللغز النثري هو في الحقيقة شعريّ بينيته الإيقاعية الواضحة. ومن نقائص هذا التقسيم أيضاً عدول الباحث عن التعامل مع اللغز في حدّ ذاته وإسقاطه المفهوم الصحيح للألغاز، أو بالأحرى للتلغيز، وهي ظاهرة بلاغية محض من شأنها أن تحول دون تبين التصانيف الداخلية لهذه اللعبة الفكرية، ودون استشراف خصائصها الفنية والمعرفية وارتباطها الوثيق باللهجات العامية وبنمط عيش له مميزاته الخاصة. لذلك نراه يكتفي في العنصر الختامي بجعل الألغاز مظهرًا من مظاهر اعتداد

الإنسان بأبطال مجتمعه، وشكلاً من أشكال التسلية في مرحلة من التاريخ تكاد تنعدم فيها وسائل الترفيه... وهي محاولة استنتاجية قيّمة لكنها غير دقيقة، وتحتاج إلى مزيد من التوسع والدعم لأنه لا يستقيم المنهج والسبيل من دون ثبوت الشاهد والدليل.

ونطلق في محاولتنا من أبسط تعريفات اللغز وهو الكلام الذي يعني موصوفاً محدّداً، بطريقة مجازية قوامها الاكتفاء بذكر الصفات المميّزة للشيء، قياساً لمدى قدرة المتقبل على معرفة الموصوف بالاستعانة بمعارفه العامة والخاصة... وتقديراً لمدى فطنته ونباهته. ونستند في ذلك إلى مدونة من الألغاز المتداولة في الأرياف التونسية تبلغ الألف

بنية اللغز تمثل امتداداً لبنى الأغاني الشعبية بنغمها الإيقاعي وكثافة قوافيها التي تشبه ظاهرة التصريع المتكرر في الأراجيز الشعبية

لغز (3) وجدناها كافية لإثبات فرضية أولى هي، أن الألغاز مهما تنوّعت، فإنها تحافظ على بنية واحدة يجمع بعض الاختلافات فيها أسلوب معين يساعد على تبين أصولها. وبتفحص هذه البنية ومقومات ذلك الأسلوب يمكن اكتشاف جملة من التصنيفات يمكن أن يبوب في جداولها أي لغز سواء أكان قديماً متوارثاً أم جديداً مستحدثاً، لأن هذه التصنيفات مستخلصة من المعايير الثابتة لما هو متداول من الألغاز أولاً. ثم لأن هذا العدد أفصح عن تطوّر خفيّ تظهره الألغاز مواكب للتطورات الطارئة على المجتمع ثانياً.

فالتعامل مع اللغز الشعبي بوصفه نصّاً أو قصة مقتضبة جداً، بقطع النظر عن مضمونه، يلاحظ أن بنية اللغز تمثل امتداداً لبنى الأغاني الشعبية بنغمها الإيقاعي وكثافة قوافيها التي تشبه ظاهرة التصريع المتكرر في الأراجيز العربية القديمة (4). وإضافة إلى الاقتضاب والإيقاع والتقفية فإنه تغلب على مستهلّ الألغاز ألفاظ أو حروف متواترة يُمكن من خلال إثباتها تصنيف الألغاز تصنيفاً بنوياً. فاللغز إمّا أن يستدئ باسم أو فعل بحيث يكون ذا أسلوب قصصي يسعى إلى الإخبار عن حدث في أدنى ما يمكن من الجمل. وإمّا أن يبدأ بحرف معلوم هو «عَلَيّ أو شيوعاً، وهو قائم على مفارقة خارقة لما هو مألوف وما هو منطقي. وإمّا أن يكتسي صبغة حجاجية فيها نوع من الاستفزاز للمتلقي من قبيل: «كانك قاري وفهّام...»، وإمّا أن يُروى على لسان شخصية مجهولة الأصل تحمل اسم «عبد الصّمد».

واعتماداً على هذه الظواهر الأربع يمكن تصنيف الألغاز بنوياً إلى صنفين: - **ألغاز خبرية:** وهذه الألغاز تنقسم بدورها إلى قسمين من حيث بنيتها السردية:

* **قسم سردي مسند افتراضياً** وغامض الموضوع، ومثله: «عبد الصّمد قال كلمات واصتوا يا شهودي، الأنثى مسلمة والذكر يهودي».

* **قسم سردي مسند افتراضياً واضح** المتن لكن المعنى الظاهر غير مقصود في ذاته، ومثله: «جَنّا ضيف وذبحنا لُو علّوش من الغلّم، كان كَلّا قبل العَصْر حَلالٌ

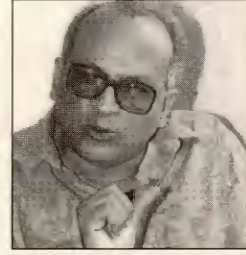
الألغاز الشعبية في تونس

وَكَانَ كَلَاهُ بَعْدَ الْعَصْرِ حُرْمٌ» (6).

- الألغاز إنشائية: تقوم على مباغطة المتلقي بأوصاف محدودة جداً، اختصاراً لدى حجاه وتوسّع معارفه وهي قسمان أيضاً:

«قسم إيمائي تنهض فيه الجملة الواحدة بدور الملخص لأهم العلامات المميزة لموضوع اللغز. ومثله: «على هم في هم قديده تكرر في عظم».

«والقسم الثاني إيمائي كذلك، لكن الجملة الواحدة مختصرة لمميزات الموصوف تكون مسبقة بما يشبه جملة الشرط التي تلخص الإمكانية الوحيدة التي تسمح للمتلقى بالإجابة، ومثله: «كانك قاري وفهام وتقرأ حروف السطر أنيني على أننى خير من ألف ذكر» (7).



جمال الغناني



يوسف التونسي

فالألغاز الخبري مَقْطُعيُّ البنية، أما اللغز الإنشائي فهو يختص ببنية الجملة - التّواة بالمفهوم اللساني الحديث (8). ولا يخرج عن هذين التصنيفين بأقسامهما الداخلية أي لغز من المدونة المعتمدة.

وقد استنتجنا من الحلول المصاحبة للألغاز إمكانية ثانية للتصنيف. ذلك أنه تبين لنا أن مجموع الحلول بوصفها دوالاً لا تخرج دلالاتها عن الحقول المعرفية التي هي في متناول الذاكرة الشعبية ووثيقة الصلة بنمط العيش في البوادي، تبين لنا أنه يمكن انطلاقاً منها تصنيف الألغاز بحسب مصادرها المعرفية إلى ثلاثة أصناف:

ألغاز ذات مصادر دينية:

وأغلبها مستلهم من القصص الوارد في القرآن الكريم. وفي مرتبة ثانية من الشعائر الدينية التي أقرتها الشريعة الإسلامية. فمن القصص القرآني نذكر أربعة نماذج:

- عليّ فعلٌ ونَدَمٌ، نَادِمٌ نَدَمَةٌ شَطَارُهُ
هَبْطُولُهُ فُرْسَانٌ سُوْدٌ وَرُوهُ سَطْرَانٌ
عَارُهُ

وحلّ اللغز قصّة قاييل وهابيل والغرايين المرسلين في القرآن.

- عليّ اسمُهُ بِالْجِيمِ وَالْقَافُ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَصَلَ الْقَافُ لِلْمِيمِ وَرَجَعَ عَلَى تَوَالِيهِ
والمعنى بذلك جبريل عليه السلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه وسلّم.
- عليّ زُورٌ بَنَاتُ كُلِّ وَحْدَةٍ جِتٍ مِنْ
فِيهِ

بَعْدَ مَا دَخَلَ الضَّيْفُ سَكْرُوا
عَلَيْهِ الثَّيِّبَةُ

يلخص هذا اللغز قصة الحمّامة والعنكبوت والغار الذي لجأ إليه الرّسول صلى الله عليه وسلّم في طريقه إلى المدينة.

- عليّ أننى ضَرَبْتُ ذَكَرٌ،
ضَرَبَاتُ ضَرْبِهِ عَظِيمَةٌ

تَلَقَّتْ لَيْهَا وَضَحْكَ، وَنَسَى الضَّحْكَ
دِيمَةً

وموضوع اللغز عصا موسى عليه السلام التي ضرب بها البحر فانفلق.

ومن الألغاز المستمدة من الشعائر الإسلامية نورد مثلين اثنين:

- عليّ زُورٌ ضَيُوفٌ مَلَا حُ، وَاحِدٌ
يَخْدُمُ حُلُوانِي وَالثَّانِي قَبَاضُ أَرْوَاحٍ.

والضيّيفان هما عيد الفطر وعيد الإضحى.

- عليّ صُورٌ مِنبِي مُخْتَمٌ وَالنَّاسُ اللَّي
بَثْوَهُ رَا حُوا

فِي النَّهَارِ بَابٌ مُسَكَّرٌ وَفِي اللَّيْلِ يُطْلَقُ
سَلَا حُو.

وموضوع اللغز شهر رمضان.

والملاحظ أن هذا الصنف من الألغاز المستوحى من القصص القرآني لا يرد أبداً على لسان «عبد الصمد»؛ لأنه ثابت المصدر مقدّس لا ينبغي التصرف في سنده. في حين يُسند اللغز الشعائري إلى هذه الشخصية المفترضة، ولكن بنسبة محدودة جداً (لا تتعدى 30٪ من مجموع الألغاز ذات المصادر الدينية).

ألغاز ذات مصادر طبيعية:

وهي خلاصة تأملات الإنسان لذاته ومحيطه والنظام الكوني الذي هو جزء منه. وهي على صلة خفيفة بالنص القرآني؛ لأنها تعالج معظم الظواهر الطبيعية التي ورد ذكرها في القرآن تبياناً لعظمة الخالق وحكمته المنبثة في تلك الظواهر. ومنها النماذج التالية:

- عليّ أربعة اخوة متفادّرين
يَتَكَلَّمُ وَاحِدٌ يُسَكِّنُ لآخرين
= وجهات الريح الأربع.

- عليّ فائزه طلّت في راس قومان
سَبَّحَانَ رَبِّي نَشَاهَا

اللّي شافها شاف لمان
لا قبلها ولا وراها

= نجمة الصبح (كوكب الزهرة).

- عبد الصمد قال حاح
سرحوا المعيز واحلبوا المراح

= النحل يطرد بالدخان لجني العسل.

- عليّ طير في راسه زور منافر
يُولد أمه من جنبه وتُوت تخليه صغير

= الهلال يكتمل نموه فيصبح قمراً ثم

يعود إلى شكله السابق.

ويبدو هذا الصنف من الألغاز أبسط



في أسلوبه، ويقوم على إيجاد المشبهات المألوفة والعناصر الطبيعية المماثلة للمقصود باللغز، من المحيط الضيق ومجرى الحياة اليومية (الماعز، الطير، الضيف، وبالخصوص الأنثى بشتى تسمياتها ومختلف صفاتها...).

ألغاز ذات مصادر صناعية:

ويعكس هذا الصنف فعل الإنسان في الطبيعة، وتمّ توظيفه من قبل الإنسان تيسيراً لأسباب عيشه. ومن شأن ذلك أن يجعل هذا الصنف نتيجة لسابقه. وبذلك تصبح التصنيفات الثلاثة مترتبة بعضها عن بعض، وتوزع بتطور تاريخي خفيّ مرّ به الفكر الإنساني: (خلق - نشأة - فعل)، أو بعبارة أخرى أشدّ التصاقاً بمنطق التطور الفكري: (تسليم - تأمل - ابتكار) وهي المراحل الكبرى التي قطعتها حضارة الإنسان. ومن الألغاز ذات المصدر الصناعي مايلي:

- عَلَى اسْمِهِ بِالْفَاءِ وَعِنْدَ النَّاسِ الْعُلَمَاءُ

ساقية في الماء ورأسه في جهنم

= الفتيلة المستعملة سابقاً للإضاءة.

- عَلَى سَتِّهِ عَلَى شَطِّ الْبَحْرِ

واحد خَلْفَ الْجُرَّةِ

وخمسة ما خَلْفُوشِ الْأَثَرِ

= أصابع اليد والقلم أثناء الكتابة.

- عَلَى وَلِيدِ مَرْيَانِ فَيَدُ طُفْلِهِ صَبِيَّةٌ

ضربَاتُ يَمِينٍ وَشِمَالٍ

هَبَطَتْ دُمُوعُهُ سَخِيَّةٌ

= الغربال.

- عَلَى صَنْعَتِهِ بِيَدِي وَعَظِيَّتُهُ مَا نَحِبُ

لَا بَيْنَاتِنَا مَحَبَّةٌ وَلَا بَيْنَاتِنَا نَسَبٌ

= القبر.

وفي هذا الصنف أيضاً إلحاح على تأصيل الطارئ على الطبيعة ومحاولة لتطبيعته بنزع كل صفاته المستحدثة

وإلباسه صفات هي عناصر تشبيه مألوفة في محيط الإنسان وطبيعته، فالكتابة تستمد مشبهاتها من آثار الأقدام على الرمل. والغربال يصبح طفلاً بهي الطلعة في حضن صبية (والصبية في العامة تعني الفتاة البكر)، والقبر، وإن كان من صنع الإنسان، يعطيه هذا الأخير أحب الناس إليه لكأن بين الصانع والمصنوع صلة مودّة أو مصاهرة.

واللغز الرابع في الصنف الثالث من هذه الإمكانية الثانية يحيلنا إلى ظاهرة مشهودة في مجالس التلغيز هي بمثابة المحاولة الساذجة لتصنيف الألغاز، إلا أنه لا يمكن أن نعتدّ بها. فالمثلقي عندما يستعصي عليه الحل يطلب

مساعدة من صاحب

اللغز، ما إذا كان الحل

خلقة أم صنعة (خليقه والأ

صنيعه؟). وأهم نقیصة في

هذا التقسيم أنه لا يشمل

كل الألغاز ولا يحلّ

معضلة الألغاز ذات

المصادر المشتركة التي

تجمع الخلق والصنع معاً، مثل لغز العنب

والخمر الذي يبيّن سابقاً، ونسبة نظائره

في مدونتنا مثلت 19٪.

إن التصنيف لا يمثل غاية وإنما هو

مرحلة منهجية لا بد من قطعها ليتيسّر

عمل الموثّق للمأثورات الشعبية، ثم

ليتمكن الدارس بعدئذ من تفحص المادة

منظمة، مبنية في إطار مايسميه دارسو

الاجتماع الإنساني بالثقافة البدائية، والتي

تفرد فيها الألغاز بميزة معرفية تتمثل في

نهوضها بالجانب الفكري من تلك

الثقافة، أي الجانب الذي يحلّ فيه التدبّر

المنطقي للكلام محلّ التعامل الانفعالي

الذي يتّسم به عادة السلوك التواصل

البدوي. فإذا جعلنا الألغاز مجرد وسيلة من وسائل الترفيه نكون قد تعسّفنا في الحكم على قيم هذه الظاهرة، لأن وسائل الترفيه في الأوساط الشعبية لا تقوم على الإجهاد الفكري، ولا تقتضي معرفة بهذا القدر من الثراء والتنوع. هذه القيم لا يمكن الإحاطة بكل جوانبها، لذلك نحاول اختصارها في أربعة عناصر هي أدنى ما يمكن تبيانها منها:

1- القيم التاريخية:

تؤرخ الألغاز لحقبة من تطوّر المجتمعات كان فيها الاجتماع الإنساني أشدّ تماسكاً وأكثر تلاحماً في إطار نظام قبلي خال من وسائل الترفيه الفردية التي تغزو العالم

المجتمع الذي يبتكر فيه الإنسان ألغازاً فكرية دقيقة ومتنوعة، هو مجتمع متميز لا يمكن نكران تحضره

اليوم، وترسخ السلوك التواصلية الاستهلاكية الذي يقتل تدريجياً السلوك التواصلية المنتج، أي المولد باستمرار لطرز تواصلية جماعية مستحدثة قد تكون الألغاز أرقى أشكالها.

وتؤرخ من ناحية ثانية للتغير الجوهري الذي حدث للهجة العامية فتخلّت بعد الفتح الإسلامي عن لغة البربر، ماعدا نسبة قليلة من الألفاظ، لتحلّ اللغة العربية محلّها معدلة وفق الخصائص اللسانية المحلية. هذه اللهجة اكتسبت، نتيجة لتلك التغيرات، مرونة مكنتها من التوفيق بين ثلاثة ألسن متباعدة هي البربرية ثم اللاتينية التي أشاعها الرومان في إطار مايسمى

الألغاز الشعبية في تونس

الاجتماعية: الضيافة، تزيين العرائس، تباريح العشق، الصيد، ركوب الخيل... وقد توظف الألغاز مُعطًى جغرافياً دقيقاً من خلاله يمكن معرفة الجهة التي ظهر فيها اللغز ومن ثم تعرف خصائصها الاجتماعية كما نجد في هذا اللغز: «على كسرة بلاتياب وبرق بلا سحاب وسرج بلا رُكاب» (10) الذي يشير إلى ثلاث مناطق جبلية وعرة المسالك معروفة بآثارها التي تعود إلى العهد الروماني وباحتراف أهاليها الرعي والزراعة.

تلك بعض القيم التي ساعدنا التصنيف على إثبات أهمها. وإن هذه المدونة لتظل مصدراً ناقصاً ما لم تستكمل بإجراء مسح شامل لكل جهات البلاد وتوثيقها التوثيق العلمي الكفيل بجعلها مادة صالحة للتفحص والاستقراء؛ حتى تأخذ الثقافة بمفهومها العام مجراها الطبيعي ويخف وقع القطيعة بين ثقافة النخبة وثقافة السواد الأعظم.

أن يتجمع مثل هذا الركام العجيب من هذه اللعبة الفكرية التي تشترط ذاكرة قوية ودقة ملاحظة... ناهيك عن الأصناف الأخرى من المأثورات الموازية لها، والتي تعكس في مجملها أثر التغيرات الاجتماعية في البناء الحضاري، وأثر التداخل الحضاري في ضروب التدبير والتفكير. فاللغز الديني يعكس طوارئ الحياة العقديّة، واللغز الطبيعي يكشف حالة الانبهار التي لازمت قصور الفكر الإنساني أمام بيعة قاسية هو ملزم بالعيش فيها، واللغز الصناعي هو ثمرة جهود بذلها الإنسان لتلين تلك الحدة وبداية هيمنة الطبيعة الحية فيه على الطبيعة الجامدة من حوله.

4- القيم الاجتماعية:

تصرّح الألغاز بسمات الوسط الذي ترعرعت فيه، وهو وسط ريفي بصفة عامة، وزراعي رعوي بالتدقيق حسب المعطيات التي توافرت في مدونتنا. ففيها توظيف لجملة من التقاليد والأعراف الهوامش:

بسياسة رومنة شمال إفريقيا والتي نجد آثارها في اللغز التالي: «عبد الصمد قال ماشي في ننيّه، عُرْضْتَنِي شَلِيّه، ما فُهِمْتُ مِن الْبَرْشَنِي مِنَ الْبَرْشَنِي» فالبرشني - هو الجدي بالعربية الفصحى - لفظ لاتيني الأصل (Porcinus) (9)، ثم لغة العرب التي أصبحت المصدر الأول الذي تنفّر منه العامية بالتعديل الصوتي لأبنية العربي الفصيح والتعديل الدلالي للمعاني القارة للألفاظ... إلى جانب ذلك تفصح الألغاز عن الكيفية التي تقبلت بها شعوب المنطقة الإسلام بنواميسه وفرائضه... إذ نلمس في أساليب الألغاز سعيًا من اللهجة العامية لاستيعاب الدين الجديد بإقحامه ضمن نسقها الفكري بحيث ينضاف رفقاً جديداً لمآثر الشعوب المتقبلة وامتداداً تاريخياً للتقلبات المتعاقبة التي شهدتها حياتها.

2- القيم المعرفية:

وتتمثل بالتحديد في ما تؤديه الألغاز من دور تثقيفي بما أنها اختصار لجملة من المعارف الإنسانية المتنوعة، وما يمكن أن تتيحها للفكر من حركية واجتهاد، وهي بالتأكيد وراء كل مظهر من مظاهر تطوير مستوى العيش، لا سيما وأن الصبغة الرمزية للألغاز - وتسمّى الحديث بالنحو عند العامة - تثيري الزاد اللغوي وتكسبه متانة وعمقاً. ويتجلى خاصة في ما يمكن أن ننظر إليه بلاغياً على أنه من مظاهر الجنس «العصر والعصر»، وفي ما يبدو للذائقة من ضروب الإيقاع والتقفية.

3- القيم الحضارية:

إن مجتمعا يتكرر فيه الإنسان ألعاباً فكرية بهذه الدقة وبهذا التنوع لهو مجتمع متميز لا يمكن نكران تحضره، لأنه ليس من الهين في حقبة زمنية من تاريخنا شبه خالية من وسائل التعليم وأدوات التشقيف

في المرحلة الأولى من نموها.
10- المنطقة الأولى تسمى كسرى تحريفاً عامياً لاسمها الروماني (Chisura) مستعملة جناساً لكسرة بمعنى النزر القليل من الخبز. والبرق هو جبل برقو وهو أحد معازل الشوار سابقاً ضد الاستعمار الفرنسي. والسرج هو جبل قريب منه ذروته في هيئة سرج.
بُت للألفاظ العامية ومرادفاتها الفصحى:
اصت = أنصت
برشني = جدي
الجرة = آثار الأقدام
حاج = اسم صوت يطلق لتفريق الماشية
دجه = دائماً
زوز = اثنان - زوج
سبران = من السرير
سكّر = أغلق
شاف = رأى
طياب = طابح
علوش = خروف
قبة = قبة
قومان (قاف مثقلة النقاط) = مرتفع / جبل
كانك = إن كنت
كركر = جرّ
لمان = الأمان
نسب = مصاهرة

بعض. والمعنى الثاني المقصود إشارة للعب اغلّ أكله واخرم اعتصار الحمر منه.
7- في اللغز الأول إيهاء إلى صفات الخزلون من حيث صغر حجمه وسرعة انكماشه ولونه القبيح باللحم الخفيف، وكذلك زخفه وهو يجزّ القوقعة خلفه. وفي الثاني حاجة بين البات والمظلي ونوع من الحوار المسرحي فيه استفزاز للمستقبل تحفيزاً لاهته على ضرورة إيجاد الحل وهو الآية الكريمة: ليلة القدر خير من ألف شهر....
8- تعرف الجملة التوبة في اللسانيات التوبة بأنها الجملة الصريحة والفاعلة والخبيلة، مختصرة في مكوناتها الأولية... براجع في ذلك: Dictionnaire de Linguistique ed. Larousse (1973) p. 378. أما المقطع فستعمله بمعنى مجموعة الجمل - التوبة تستغل في نص سردي بفكرة واحدة يمكن تلخيصها في عنوان شريطة أن يشمل كل مكوناتها. والمقطع في الدراسة البنيوية تجريبي لا يمكن تعديده مفهومه بصفة ثابتة.
9- استندنا في هذا السياق بالتحديد من الجهود القيمة التي يبذلها الدكتور إبراهيم بن مراد في بحوثه المعجمية، ولاسيما درسه الجامعي في الاقراض المعجمي. وحلّ اللغز المذكور: فراخ الدجاج لا يمكن التفريق بين الذكر والأنثى منها

1- محمد السيد عبد: الألغاز في التراث العربي - مجلة الفيصل عدد 206 - يناير / فبراير 1994، ص 91.
2- اعتمدنا الشرح الوارد في أساس البلاغة للزمخشري، دار صادر، بيروت 1979م؛ لأنه يتوسع في تفسير المادة الاشتقاقية ثم يعمدها لإثبات الاستعمالات المجازية للفظ.
3- نشكر في هذا السياق كل من ساعدنا على تجميع هذا الكم من الألغاز، ونخص بالذكر حسن الحباري وجميلة الهدباري والمجازية الوسلاوي وفوزية العباري وحبيبة الحفناوي لاشتغالهم بالبحث في أوساط اجتماعية متنوعة، وتبويب المادة وفق جداول دقيقة مددناهم بها.
4- لمراجعة الخصائص الفنية للأراجيز يمكن الاطلاع على بحث خصصنا به هذا النمط الشعري، نشرته مجلة الإنخاف عدد 22، يناير 1990، ص 22.
5- وهي صيغة تعبيرية عامة مختصرة معناها: (أحدلك عن...)
6- اللغز الأول يقصد به يوم الجمعة المقدس عند المسلمين ويوم السبت المقدس عند اليهود. أما اللغز الثاني ففيه تلاعب بالألفاظ بحيث يشترط التوصل إلى حلّه معرفة الجنس القائم بين العصر وهو من مواقيت الصلاة والعصر من عصر

قيمة الكتاب

في الحضارة الإسلامية

إبراهيم نويري

الحضارة الإسلامية أساسها الأول المعرفة، أي إنها حضارة تأسست على قيم الفكر والعلم والنظر وإعمال العقل والوعي منذ البداية؛ وليس أدلّ على ذلك من أن أول ما نزل من القرآن - الأساس الأول لهذه الحضارة كلمة: (اقرأ).. وفي ذلك دلالة أي دلالة على حقيقة الصبغة العلمية والتأسيس المعرفي لحضارتنا.

وبما أن الكتاب هو الوعاء الذي حوى تلك القيم، وحفظها من الضياع والاندثار؛ فقد أردنا تقصي حقيقة موقف الحضارة الإسلامية منه، وكيفية التعامل معه، وطبيعة النظر إليه، بحسبانه وسيلة من وسائل المعرفة والاستنارة العقلية.

حضارة كتاب ومعرفة

حين تصدّى «آدم متز» أستاذ اللغات الشرقية بجامعة «بازل» لدراسة الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، لفت نظره شدة حفاوة هذه الحضارة بالكتاب والعلماء والفكر، فقال: «... وكان في كل جامع كبير مكتبة؛ لأنه كان من عادة العلماء أن يوقفوا كتبهم على الجوامع، ويقال: إن خزانة الكتب بمرو كانت تحوي كتب يزيد درج؛ لأنه حملها إليها وتركها. وكان الملوك يفاخرون بجمع الكتب حتى كان لكل ملك من ملوك الإسلام الثلاثة الكبار بمصر وقرطبة وبغداد في أواخر القرن الرابع ولّع شديد

بالكتب؛ فكان الحكيم صاحب الأندلس يبعث رجالاً إلى جميع بلاد المشرق ليشتروا له الكتب عند أول ظهورها؛ وكان فهرس مكتبته يتألف من أربع وأربعين كراسة، كل منها عشرون ورقة، ولم يكن بها سوى أسماء الكتب. أما في مصر فكانت للخليفة العزيز - ت: 386هـ/996م - خزانة كتب كبيرة؛ وقد ذكر عنده كتاب العين للخليل بن أحمد فأمر خزّان دفاتره، فأخرجوا من خزائنه ثلاثين نسخة ونيفاً، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد [!]. وحمل إليه رجل نسخة من تاريخ الطبري اشتراها بمئة دينار؛ فأمر العزيز الخزّان، فأخرجوا ما يُنيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه، وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد، فأخرج من الخزانة مئة نسخة منها. وقد أراد المتأخرون أن يقدروا عدد ما كانت تشتمل عليه هذه الخزانة، فيقول المقرئ إنها كانت تشتمل على ألف وستمئة ألف كتاب، ويُذكر عن ابن أبي واصل أنه كان بها

ما يزيد على مئة وعشرين ألف مجلد، وقال ابن الطوير: إن خزانة الكتب كانت تحتوي على عدّة رفوف، والرفوف مقطّعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مئتي ألف كتاب (1). وفي هذا الوقت الذي بلغ فيه وكّهُ المسلمين بالكتاب مبلغه، كانت أوروبا سادرة في غيبوبة نومها العميق غير عابثة ولا مكترثة بعلم أو بمعرفة، وحتى التّزّر اليسير الذي كان قد بلغها - حينئذ - إنما كان من طريق الجامعات الإسلامية بالأندلس، لذا لا تعجب كثيراً إذا ما وجدنا - إبان الفترة التي كانت توأكب القرن الرابع الهجري وما تلا ذلك بقليل - أن مكتبة الكاتدرائية بمدينة «كُستانتز» في القرن التاسع الميلادي لم يكن بها إلا ثلاثمئة وستة وخمسون كتاباً، ولم يكن في خزانة كتب الكاتدرائية في مدينة «بامبرج» سنة 1130م إلا ستّة وتسعون كتاباً فقط، بينما كانت مكتبة «دير البندكتين» سنة 1032م تتضمن ما يُنيف بقليل على المئة كتاب (2).

ويندر في تاريخ الحضارات أن نعر على صرعى سقطوا في ساحات المكتبات وميادين الكتاب كما هو الأمر في حضارتنا. إذ يروي التاريخ أن الجاحظ - الذي كان لا يقع كتاب بيده إلا استوفى قراءته، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر - قد مات في حب الكتب، فقد روي أنه مات بوقوع مجلدات عليه؛ وكان من عادته أن يضعها كالحائط محيطة به، وهو جالس بينها، وكان عليلًا



فسقطت عليه فقتلته(3). وهو الذي وصف الكتاب وصفاً لم يسبقه إليه ولم يلحقه به أحد.

ولعل ما نشاهده اليوم لدى بعض الأمم المتقدمة من ولع بالقراءة والمطالعة في الحدائق والساحات العامة وحتى في عربات القطارات والطائرات والحافلات... الخ، هو أثر من آثار الحضارة الإسلامية في حقب الازدهار والسؤدد، فقد كان المسلمون مولعين بالقراءة وحب الكتاب واصطحبوه إلى حد يفوق التصور؛ إذ يحكى عن الفتح بن خاقان - وكان من كبار رجال دار الخلافة - أنه كان يحضر مجالسة المتوكل، فإذا أراد الأخير القيام لحاجة، أخرج الفتح كتاباً من كمه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل حتى عوده إليه.

وفي سنة 275هـ/888م توفي سليمان بن الأشعث السجستاني المحدث، وكان له كُمان: كم واسع وكم ضيق، ف قيل له في ذلك، فقال: الواسع للكتب والآخر لا أحتاج إليه. وفي هذا الصدد يروي التاريخ أيضاً أنه في سنة 355هـ/965م، نهب قوم من الغزاة دار الوزير أبي الفضل بن العميد؛ فلما انصرف إلى داره ليلاً لم يجد فيها ما يجلس عليه، ولا كوزاً واحداً يشرب فيه؛ وكان ابن مسكويه المؤرخ خازناً لكتب ابن العميد في ذلك الحين، وقد روى هذه القصة، فقال: «فأفند إليه أبو حمزة العلوي فرشاً وآلة، واشتغل قلب الوزير ابن العميد بدفاتره، ولم يكن شيء أعز عليه منها، وكانت كثيرة، فيها كل علم وكل أنواع الحكم والآداب، تحمل على مئة وقر، فلما رأيته سألني عنها، فقلت: هي بحالها لم تمسسها يد، فسرتني عنه، وقال: أشهد أنك ميمون النقية؛ ورأيت قد أسفر وجهه، وقال: باكر بها غداً إلى الموضع الفلاني، ففعلت(4). فليس غريباً إذن أن يقول المتنبّي قديماً:

أعز مكان في الدنيا سرّج سابع

وخير جليس في الزمان كتاب
ونحن اليوم حين نقرأ مثل هذه الروايات لنبغ بنا العجب مبلغه، بل إن الواحد منا لا يكاد ينطق بكلمة إلا بتمنعات الإعجاب بعظمة تلك الأجيال التي ارتقت بالمعرفة إلى المستوى الذي دعت إليه قيم حضارتنا ومبادئها، وكنا نحن الوارثين الذين أضاعوا وفرطوا إلا من رحم ربك، كالمفلوطي الذي قال: «خير الأوقات حينما أغلق عليّ بابي وأسلم نفسي إلى كتابي».

إعارة الكتب عند المسلمين

ومن الحرص على الكتاب والاعتناء به انبثقت في الحضارة الإسلامية عدّة أنظمة تقوم في مجملها على خدمة الكتاب، كالنسخ والإعارة وإعداد الفهارس والتصنيف... الخ، والذي يهمنا الحديث عنه، هاهنا، نظام أو طريقة إعارة الكتب، والضوابط الشرعية والتنظيمية التي وضعت لهذه المسألة، لكونها تكاد تكون لصيقة بالواقع العملي لطلاب العلم والأدب، والمولعين بالفكر والمعرفة.

ونظام إعارة الكتب يعنى بكيفية انتقال الكتب من المكتبات العامة أو الخاصة إلى المشتغلين بالعلم والتعليم، أو إلى المشغوفين بالمعرفة والتثقيف. وقد كان هذا الأمر موضع خلاف بين جمهور الفقهاء والعلماء. فقد ذهب بعضهم إلى وجوب إعارة

الكتب للمحتاجين إليها لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلْجَمٍ مِنْ نَارٍ» رواه ابن ماجه والحاكم. وكذا لقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. البقرة: 159.

وحسب علم «أسباب النزول» فإن هذه الآية قد نزلت في أهل الكتاب من أحبار اليهود وعلماء النصراني، إلا أنهم قالوا إن الآية هنا تفيد العموم؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فقد قال أبو بكر الجصاص: «دلّت هذه الآية على لزوم إظهار العلم، وترك كتمانها(5).

ومما يدل على أن مسألة إعارة الكتب قد أثارت بعض الجدل الفقهي ما نجده في مؤلفات بعض المتقدمين التربوية.

وقد جمع عبدالباسط العلموي - 981هـ/1573م - بعض تلك الآراء في كتابه: «المعيد في أدب المفيد والمستفيد»، فقال: «يستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها. وكره عارتها قوم، والأول هو الأصح المختار لما فيه من الإعانة على العلم مع ما في مطلق العارية من الفضل والأجر. روينا عن وكيع: أول بركة الحديث إعارة الكتب. وعن سفيان الثوري: من بخل بالعلم ابتلي بإحدى ثلاث: أن ينساه، أو يموت فلا ينتفع به، أو تذهب كتبه. وقال رجل لأبي العتاهية: أعزني كتابك، فقال: إني أكره ذلك، فقال: أما علمت أن

إعارة الكتب كانت موضع خلاف بين العلماء. ففي حين ذهب بعضهم إلى وجوب إعارتها، منعها آخرون ووضعو لذلك قيوداً وشروطاً

في الحضارة الإسلامية

زيعها الفكري أو العقدي، ومن ذلك ما يُروى عن مكتبة علي بن يحيى المنجم، التي سماها مكتبة الحكمة، وكانت مكتبة عظيمة حوت كل صنوف العلم، كما أن نفقة المتزودين من هذه المكتبة كانت على صاحبها علي بن يحيى، فلما قَدِم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج، وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من «علم النجوم»، فوصفت له الخزانة، فمضى وأهله وهاله أمرها، فأقام بها وأضرب عن الحج، وتعلّم فيها علم النجوم، وأغرّق فيه حتى فسد اعتقاده (12). ومهما تكن مثل هذه الروايات بحاجة إلى التحقيق العلمي، فإن الذي يمكن استخلاصه منها كذلك، هو شدة شغف هذه الأمة بالكتاب وأساسيات العلم والمعرفة.

ومما يلاحظ أيضاً أن اهتمام الدولة - في تاريخ الحضارة الإسلامية - بالفكر والعلم، كان مجسداً على وجه الخصوص في الاهتمام بالمكتبة، حتى إن نشاط قسم «نسخ المخطوطات» - خلال بعض العصور الإسلامية - كان كأنه «المطبعة» قبل قرون من اختراع جوتنبرج للطباعة (13)، ولا شك أن ذلك كله يعكس بجلاء ووضوح الصفة العلمية والمعرفية كمرتكز رئيس وأساس لأمتنا وحضارتنا، وكمدخل صحيح أيضاً للارتقاء بإنسان حضارتنا ضمن منظومة فكرية وسلوكية شاملة، تتناغم فيها كل أشواق الإنسان وتطلعاته، الروحية والمادية على سواء.

الهوامش:

- (1-4) آدم من: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الجزائرية للكتاب، الطبعة الأولى، 1986م، ص 288، 289، 291.
- وقد أثبتت المستشرق الألمانية زيجريد هونكه هذه الحقيقة في الفصل السابع من الباب الخامس من كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، حيث قالت من جملة ما قالت: «إن متوسط ما كانت تحويه مكتبة خاصة لعربي في القرن العاشر، كان أكثر مما تحويه كل مكتبات الغرب مجتمعة».
- (5) انظر: «تفسير آيات الأحكام، للصابوني، ج1، دار إحياء التراث العربي، د. ت، ص 151.
- (6-8) انظر: «كتاب الفكر التربوي عند العربي» لشفيع محمد زيعور، دار الفار، ط 1، بيروت 1986م، ص 217، 218.
- (9) د. يوسف القرضاوي، «الرسول والعلم»، ط 3، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985م، ص 82، 81.
- (10-11) زيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط 7، بيروت 1982م، ص 388، 385، 386.
- (12) آدم من: الحضارة الإسلامية، مرجع سابق، ص 290.
- (13) د. محمد عمارة، التراث في ضوء العقل، دار الوحدة، ط 1، بيروت 1980م، ص 139.

حضارتنا للعلم والفكر وطرائق تحصيله، وأساليب تداوله.

شغف بالكتب يقل نظيره

ومن مزايا الحضارة الإسلامية أنها لم تقصر إدخال حب الكتب إلى قلوب العلماء وحدهم، ولكنها أفلحت في بذر هذا الحب لدى الجميع، ومن كل الطبقات والمستويات، حتى غدا عشق الكتاب صفة عامة.. «من أكبر كبراء الدولة إلى بائع الفحم» (10)، وقد اعترف الكثير من المؤرخين والمستشرقين في الغرب بأصالة الحضارة الإسلامية وتميزها في التعامل مع الكتاب بوصفه آلة العلم وسبيل المعرفة والرقى.

تقول المستشرقة الألمانية زيجريد هونكه: «لقد أقبل العرب على اقتناء الكتب إقبالاً منقطع النظير، يشبه إلى حد كبير، شغف الناس في عصرنا هذا

«لقد أقبل العرب على اقتناء الكتب إقبالاً منقطع النظير.. فنمت دور الكتب في كل مكان نموّ العشب في الأرض الطيبة، وكان بإمكان أي شخص من الناس استعارة ما يشاء من الكتب» زيجريد هونكه

بافتناء السيارات والثلاجات وأجهزة التلفاز. وكما يُقاس ثراء الناس اليوم، بمدى ما يملكون من عربات فاخرة مثلاً، قدر الناس - أي المسلمون - في ذلك العصر - الممتد من القرن التاسع حتى القرن الثالث عشر - الثراء بمدى ما يُقتنى من كتب أو مخطوطات، فنمت دور الكتب في كل مكان نموّ العشب في الأرض الطيبة، وكان بإمكان أي شخص من الناس استعارة ما يشاء من الكتب، وأن يجلس في قاعات المطالعة ليقرا ما يريد، كما كان المترجمون والمؤلفون يجتمعون في قاعات خصّصت لهم يتجادلون ويتناقشون كما يحدث اليوم في أرقى الأندية العلمية» (11).

إن حب العرب والمسلمين للكتاب - أيام المجد الحضاري - بلغ شأواً لا يكاد يدرك اليوم حتى لدى أكثر الأمم تقدماً ونهوضاً، وتعلّقاً بأساليب المعرفة والتثقيف، وإننا لنقرأ في تاريخ حضارتنا عن بعض النماذج البشرية كانت شدة تعلّقها بالكتاب سبباً في

المكارم موصولة بالمكاره؟ فأعاده» (6). ثم ذكر العليمي بعض الآداب التي يجب أن تُراعى من الطرفين، وخاصة من المستعير، فقال: «وإذا استعار كتاباً فلا يبطئ به من غير حاجة، وإذا طلبه المالك فيحرم حبسه. وقد جاء في ذم الإبطاء برد الكتب المستعارة عن السلف أشياء كثيرة نظماً ونثراً روينها في كتاب «الخطيب الجامع لأخلاق الراوي والسامع»، منها عن الزهري: «إياك وغُلُول الكتب، وهو حبسها عن أصحابها. إذ بسبب حبسها امتنع غير واحد من إعارتها» (7).

وقد قال أحد الشعراء في هذا الخصوص:

أيها المستعير مني كتاباً

أرض لي فيه ما لنفسك ترضى (8)

أما المعاصرون من علماء المسلمين فقد حقّقوا في الأمر، ولم يكتفوا بذلك؛ وإنما وضعوا له ضوابط

وشروطاً، ومن هؤلاء الدكتور يوسف القرضاوي الذي يرى وجوب إعارة الكتب لطلاب العلم إذا احتاجوا إليها، إلا أن هذا الوجوب - كما قال - مقيد بهذه الشروط (9):

- أن يكون طالب الكتاب في حاجة حقيقية إليه لا يغني عنه غيره.

- ألا توجد مكتبات عامة يمكنه استعارة الكتاب منها خارجياً أو داخلياً.

- ألا يستطيع شراء الكتاب، لعدم وجوده في السوق، أو لعجزه عن شرائه.

- ألا يكون معروفاً بالإهمال وإضاعة الكتب أو تعريضها للتلف.

- ألا يكون صاحب الكتاب في حاجة إليه، لأن حاجته مقدّمة على حاجة غيره.

وصفوة القول: إن هذا الاهتمام بمسألة إعارة الكتب يعكس وجهاً آخر من وجوه التكريم العلمي في التفكير الإسلامي، والاهتمام البالغ الذي أولّته

خاصة وظروف معينة شاهداً ودليلاً يسوغ لهم الحكم العام على كل الظواهر، سواء في ذلك ما شابهها أو ما كان قريباً منها.

وبين هؤلاء وأولئك فريق من الباحثين، يجعلون طلب الحق غايتهم، والوصول إليه منتهى آمالهم، وهذا وذاك يحملهم على كثير من الروية والأناة، فلا يحكمون بالإيجاب أو بالسلب على واقعة أو حادثة إلا في ضوء المسوغات الكافية الواضحة، التي تقيم حكمهم على أساس من العدل، وهذا يقتضيهم أن ينظروا إلى الوقائع والأحداث نظرة مجردة، لا تنتمي إلى طرف من أطرافها، لأن هذا ليس غايتها، فهم لا يعرفون الحق بالرجال، بل يعرفون الرجال بالحق. إن هذا الموقف يكلفهم كثيراً، وأقل شيء من هذه الكلفة، طول النظر وعمقه، والترجيح بين الفروض والاحتمالات التي يمكن أن تكون تفسيراً للظاهرة. ومما لا شك فيه أن الترجيح لا بد أن يكون له مرجح، والقول بخلاف ذلك نخكم في المنهج لا مسوغ له. ويظهر أن هذا الفريق، كاد وجوده يضيع بين وجود الاتجاهين السابقين، لولا أن الله سبحانه وتعالى يُقيض للحق فريقاً، يظل أفرادهم من الطالبين له، وإذا وجدوه دَعَوْا إليه، وحملوا الناس بالحسنى على الانصياع له والعمل بمقتضاه، ويمكن أن يكون وجود هذا الفريق اتجاهها مستمرا في كل أحقاب التاريخ وأطواره.

مع التاريخ الإسلامي

إذا كان الكلام الذي سبق يشكل الإطار العام الذي تسير فيه هذه الاتجاهات، ويمكن أن يشمل تاريخ الإنسانية العام، فإن ظهور هذه الاتجاهات بهذا الشكل كان أوضح ما يكون في التاريخ الإسلامي. ولن نتكلم هنا عن أشخاص المؤرخين الذين يمثلون هذه الاتجاهات إلا بالقدر الذي يكشف عن الحقيقة التي يتغيها هذا المقال، كما أننا لن نتكلم عن وقائع كثيرة؛ بل سنختار بعض الأحداث التاريخية لنستبين من خلالها معالم الاتجاهات المشار إليها، ولنعرف إلى أي حد كان تاريخ الإسلام مظلوماً، ابتلي من أبنائه بصورة هيأت المناخ لأن يُظلم من أعدائه أكثر وأكثر. وإذا كانت العداوة تغلظ ظلم أعداء الإسلام لتاريخه، فما المسوغ لظلم أبنائه له؟ لا شك أن النفس تشعر بنوع من الأسى عندما نحس أن الظلم الواقع عليها إنما جاءها من مصدر كان ينبغي أن يكون مدافعاً عنها، ومن ثم صَحَّ قول طرفة بن العبد:

رَبِّحْنَا الْمُتَرَيِّعَ عَلَيْهِ بَيْنَ الْجُمُودِ وَالتَّطَرُّفِ

د. محمد عبد الستار نصار

التعامل مع حقائق التاريخ ووقائعه وأحداثه، يحتاج إلى عقل راجح وبصر نافذ، وروح تطمح إلى الحق دون سواه، وهذه كلها تقتضي مؤهلات خاصة واستعدادات معينة لمن ينظر إلى التاريخ، حتى تكون أحكامه صائبة غالباً. وهذا يعني بالضرورة أن أية نظرة تتجاوز هذا المنهج لا تأتي أحكامها - غالباً - متفقة مع الحق والواقع، يستوي في ذلك من ينظر إلى تاريخ البشرية، كأنه أحداث ووقائع لكائنات مقدسة، لا ينبغي أن تقترب إثمًا، أو تقع في رذيلة، ويكون هذا ظاهراً بشكل يلفت النظر، حين يكون متصلاً بطائفة معينة من شرائح الأمة، كالحكام أو العلماء مثلاً، ومن ينظر إلى التاريخ وحقائقه بكل استخفاف، وعدم الثقة في أحداثه، وتفسير تلك الأحداث من وجهة نظر تعوزها الشواهد الكثيرة والأدلة المتعددة.

التي تتصل بدراسة التاريخ، ويتصور أصحابه أن من حقهم، بل من واجبهم، أن يفسروا الوقائع والأحداث منفصلة عن سياقها وعللها، ويقطعوا الوشائج والروابط بين الظواهر المتعددة التي تشكل لحمة التاريخ وسداه. ويمكن أن يدخل في إطار هذا الاتجاه، أولئك الذين يعنون أنفسهم بالأحكام العامة الكاسحة، التي تتخذ من واقعة بعينها ذات ملاسبات

إن هذين الاتجاهين يقفان على طرفي نقيض في مجال البحث التاريخي، يمكن أن نسمي أولهما بالموقف الجامد، الذي لا يحرك أصحابه عقولهم وضمائرهم حين النظر إلى وقائع التاريخ وحقائقه إلا بقدر، كما يمكن أن نسمي ثانيهما بالموقف المتطرف، الذي ينزع الثقة من كلام السابقين، ويُعَيِّن على الثوابت الموضوعية والمنهجية

وظلم ذوي القربى أشدّ مضاضة

على النفس من وقع الحسام المهند
إن البحث التاريخي القائم على الروبة والأناة في تاريخنا الإسلامي قد كشف عن أن كتب التاريخ التي ألقت في الأمصار العراقية: البصرة - الكوفة - بغداد، لم تنج من تعصب المؤرخين ورواة الأخبار لاتجاهات سياسية معينة، وتفسير الوقائع والأحداث بروح غير متحررة، مما أسبغ على كتاباتهم روحاً لم تصب الحقيقة في ذاتها. لقد كتب المؤرخون الذين كانوا يعملون في ظل سلطان العباسيين تاريخاً لحياتهم السياسية والاجتماعية، لا يخلو من مبالغة، كما كتب عن الأمويين فريق آخر لا تخلو كتاباتهم من التعصب لهم، وهكذا.

وقد كانت السمة المشتركة في كتابة أغلب هؤلاء المؤرخين، هي التهاون في تطبيق قواعد الجرح والتعديل التي وضعها المشتغلون بعلوم الحديث، على الروايات التي يتناقلونها، لذلك رأينا في كتاباتهم، الروايات الضعيفة بجانب الروايات الصحيحة، مع عدم التمييز بينها، مما يمكن أن نستنتج منه أنهم كانوا في كثير من الأحيان يفتقرون إلى الحس التاريخي والملكة النقدية التي تخلق الروايات وتمحصها.

وحتى لا يكون كلامنا نظرياً، فإننا سنسوق بعض الأعمال لبعض الشخصيات المشهورة، لنتأكد للقارئ صدق ما نقول، لو رجع إلى ما سنشير إليه من مصادر.

كتاب السير والمغازي

هناك كثير ممن كتب في هذا الجانب من ذوي الثبوت في رواياتهم، توافرت لديهم كل عوامل التحري والتدقيق حتى أصبحوا ثقات، أمثال: أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وعبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمرو بن قتادة وابن شهاب الزهري.

غير أن هناك نفرًا آخر من المؤرخين القدامى، أفرط في كتابته أو فرط فيها، مع التفاوت في درجة كل من هاتين الظاهرتين، إما لدى الشخص الواحد، وإما بالنسبة لبعضهم بعضاً، وكانت الروايات الضعيفة أو الموضوعة من أهم المآخذ على كتاباتهم. ومن هؤلاء: شريح بن سعد، ووهب بن منبه، ومحمد بن إسحق، ومحمد بن عمر الواقدي، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي.

يضاف إلى هؤلاء الذين ذكرناهم مؤرخو الحوليات، مثل: أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي

وسيف بن عمر التميمي، فقد تعصب كل منهما لقييلته، أو لاتجاه سياسي معين، كما فعل عوائد بن حكم الكلبي، فقد اتهم بأنه كان يلفق روايات مكذوبة لصالح بني أمية.

ولا شك في أن انتصار مؤرخ لعصر ما أو لقبيلة ما، ربما كان رد فعل لموقف مقابل، وربما كان وراءه بواعث وأسباب غير طلب الحقيقة التاريخية لذاتها، وربما كان - أيضاً - من بين تلك الأسباب التفاوت الواضح، في إدارة شؤون الحكم بين عصر وآخر، كما هو الحال بين عصر الراشدين وعصر الأمويين. فالمؤرخون الذين ظهرت في كتاباتهم نغمة النقد المغالى فيه لعصر بني أمية، إنما كان دافعهم إلى ذلك أنهم قاسوا هذا العصر على عصر الخلافة الراشدة، ولا شك في أن هذا القياس

انقسم المؤرخون في صدر عصر التاريخ قسمين : منهم من تحرى ودقق في رواياته ، ومنهم من تهاون في تطبيق قواعد الجرح والتعديل

غير مسلم به، فإذا أضفنا إلى ما تقدم أن بعض رموز الحكم الأموي قد صدرت عنهم أعمال كانت سبباً في الطعن على العصر كله، ثم من جانب آخر، قيام دولة بني العباس على أساس معارضة الأمويين ومنافستهم، فإن النتيجة الطبيعية لذلك كله، أن تأتي الأحكام سريعة، قد لا تطابق الحقيقة في كثير من الأحيان.

مؤرخو القرن الثالث

المؤرخون الذين ظهرُوا في هذا القرن، يعدون أبرز المؤرخين على الإطلاق، بل إنهم يُحسبون من المؤرخين العالمين، لما يتمتعون به من حس تاريخي، ولما تشتمل عليه رواياتهم من الاستيعاب والشمول مثل: ابن هشام، صاحب كتاب «السيرة النبوية»، وهو أكمل كتاب في موضوعه، بشهادة ثقات المؤرخين، ولكن مع هذا، فلن الناظر إلى هذا الكتاب يرى أنه لم توضع كل رواياته على مقياس

علمي الرواية والدراية، بل عليه طابع التعصب للقبائل الحجازية بعضهم.

وأما إمام علم التاريخ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب كتاب «تاريخ الرسل والملوك»، فمع أنه يمتاز بإبراز معظم الروايات في الحدث الواحد إن لم تكن كلها، ومع أنه يعتمد طريقة المحدثين في إيراد سلسلة الرواة، إلا أنه لم يكن ناقدًا لتلك الروايات، مما جعل كثيرًا من الذين أتوا بعده يصفونه بأنه كان جامعا للروايات أكثر منه مؤرخًا، والذي يطالع كتابه المذكور يتأكد له صدق هذا القول.

ويمكن أن يقال قريباً من هذا على أحمد بن يحيى البلاذري، فهو من المؤرخين الذين غلب عليهم الحرص على إيراد جميع الروايات في الحدث الواحد، وخاصة الروايات المتعارضة، كالروايات الشامية والعراقية، إلا أنه قبل أحياناً بعض الروايات الضعيفة، كما أن كتاباته كان يقصصها الترابط والتسلسل، ويشبهه في هذه المسألة ابن قتيبة الدينوري. وأما أحمد بن أبي يعقوب البغدادي، فقد كان شيعياً يغلب عليه طابع التعصب المذهبي.

مؤرخو القرن الرابع

من أبرز الشخصيات التي اهتمت بالتأريخ في هذا العصر: على بن الحسين السعدي وحمره الأصفهاني. ويذكر ابن خلدون عن السعدي أنه لم ينبج من التعصب لاتجاهات فكرية وسياسية معينة، مع أنه يتمتع بحس تاريخي دقيق، كما أنه ومعاصره الأصفهاني قد قبلوا في تاريخهما الروايات المزيفة والمفلفة في بعض الأحيان.

أورثت هذه النظرات المتخلخلة إلى التاريخ بين الإفراط والتفريط، الخالفين من المؤرخين الذين أتوا بعد القرن الرابع كثيراً من خطوات المنهج الذي سار عليه هؤلاء. فإذا أضفنا إلى ذلك أن الكتابات التي رصدت بعض جوانب الحياة الاجتماعية الإسلامية - وخاصة الجانب الترفيهي مثل كتاب «الأغاني» - قد فهمت على غير وجهها الصحيح، من جراء النظرة إلى التاريخ الإسلامي في مجراه العام من خلال مثل هذا الكتاب، والحكم عليه من جميع جوانبه، على أن هذه هي حياة المسلمين؛ فإن هذا يمكننا من القول بأن أسلافنا من المؤرخين قد تركوا للخالفين مندوحة بأن يقولوا عن الإسلام وتاريخه ما يتعد من الحقيقة والواقع، قليلاً كان ذلك الابتعاد أو كثيراً.

تاريخنا المفترى عليه

بين الجمود والتطرف

إلحاق القرآن الكريم على تغيير «النفس» من الداخل، حتى تتحول إلى معنى آخر، يعود بالفطرة الإنسانية إلى نقائها، ذلك إلحاق الذي استغرق ثلاثة عشر عاماً في مكة (القرآن المكي) لم يكن في الحسبان، وكأن الإسلام في نظر طه حسين لم يكن أكثر من مجرد إصلاح في الجانب الاقتصادي.

وقد سار في الاتجاه نفسه، ولكن بشيء من الجرأة المستكرهه، أحمد صالح، حين كتب عن اليقين واليسار في الإسلام.

وأما عبدالرحمن الشرقاوي، ففي كتابه «محمد رسول الحرية» يلح على هذا الجانب حتى ليخيل للقارئ أن هذا الهدف كان الأوحى من الرسالة الخاتمة. وأما النظرة التي يرمي إليها الإسلام في الحقيقة والواقع، فلم تكن في حسبان هذا الكاتب. إن الثلاثة - ولهم أتباع غيرهم - يسلطون الضوء على جانب واحد - كل حسب الزاوية التي ينظر منها - من جوانب الدعوة الإسلامية تتوارى خلفه الجوانب الأخرى، حتى ليخيل للقارئ أن هذه الصورة هي رسالة الإسلام الكبرى.

المنهج الذي نريده لقراءة التاريخ وكتابته

لا نريد لحياتنا الفكرية والثقافية والدينية أن تعفَى على آثار السابقين؛ سواء أكانوا مؤرخين أم شخصيات صنعت التاريخ، وإنما نريد لمن يقرأ تاريخنا أو يكتب عنه أن يفعل ذلك بروح متحررة من كل أحكام سابقة، يعوزها الدليل وتنقصها الحججة والبرهان، وأن يفتح عقله وقلبه معاً، وأن يطبق منهج المحدثين في الجرح والتعديل في كل الروايات التاريخية، وهو منهج يحتاج إلى صبر وروية، وأن يكون لديه من الحس الدقيق ما يستطيع به أن يربط الوقائع والأحداث برابط صحيح، وهذا كله يشكل أدوات الفهم لحقيقة الوقائع التاريخية. فإذا انضم إلى ذلك، تصحيح النظرة إلى الإنسان المسلم الذي يؤرخ له - في أي عصر - وهو أنه بشر، يخطئ ويصيب، أيا كان موقعه في سلم الحياة الاجتماعية، فإن الأحكام - حينئذ - ستكون قريبة من الحقيقة والواقع، إن لم تكن كذلك، وبهذا كله، يسلم تاريخنا من الوقوع في دائرة التنفريط أو الإفراط.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

المستشرقين، وهم كما ذكرنا عنهم، وكما يصدّق ذلك واقع أعمالهم في التاريخ الإسلامي.

وأما الكتّاب المعاصرون من العرب والمسلمين، الذين استهواهم التاريخ الإسلامي، ليقولوا من خلاله ما يريدون، فقد دخلوا ميدان البحث العلمي، وهم مزودون بأفكار وآراء ونظريات أغلبها من كلام المستشرقين، حاولوا من خلالها رؤية التاريخ الإسلامي. وأغلب هذه الرؤى كانت تميل إلى تفسير هذا التاريخ في ضوء عوامل اقتصادية واجتماعية. إنهم قدموا المذهب على المنهج، كما يقال، وهذا يعني أن المعول عليه في منهج البحث العلمي، هو أن تكون النتائج والأحكام، وليدة مقدمات مسلّمة، لا أن تفقز النتائج والأحكام فوق المقدمات، ويتحكم في ذهن الباحث منهج

المؤرخ الحق يحتاج إلى صبر وروية وحس دقيق يربط الوقائع والأحداث، كما يجب أن يكون عارفاً بقواعد الجرح والتعديل

الإسقاط، الذي يتجافى عن المنهج الطبيعي في البحث.

إن نظرة إلى ما كتبه بعض من وضعتهم الأقدار على بناييع ثقافتنا، أمثال: طه حسين، وعبدالرحمن الشرقاوي، وأحمد صالح، يتأكد له أن تفسيرهم للإسلام وتاريخه إنما ينبثق من رؤية خاصة. فععيد الأدب العربي يكاد يصرح بأن السبب الحقيقي وراء معارضة سيرة العرب للقرآن الكريم، إنما كان للحفاظ على مراكزهم الاقتصادية والاجتماعية، وكأن القرآن الكريم قد جعل هذه المسألة - الانتصاف للفقراء من الأغنياء - غاية الغايات، وأما ما وراء ذلك مما يمكن أن نسماه: النظرة الشاملة في التغيير، من واقع جاهلي مظلم، إلى آفاق رحبة من حياة روحية وإيمانية عالية، تسيطر على حركة الحياة الإسلامية، فليس داخلاً في صميم الغايات القرآنية، وكأن

المستشرقون والتاريخ الإسلامي

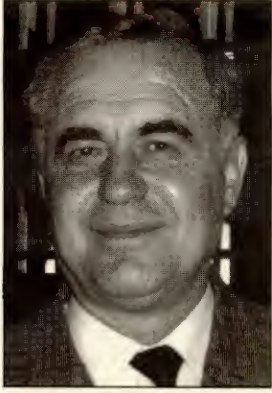
استغل كثير من المستشرقين ما في كتب المؤرخين القدامى من خلل، وأضافوا من عندهم ما يشبع أغراضهم، فكانت نظرهم إلى ذلك التاريخ على أنه أتياب ومخالب. إنه في نظرهم تاريخ دين خرج من بطن الصحراء، لم يستطع أن يقدم حضارة أو يصنع أمة، وقليل ما هم أولئك الذين أنصفوا هذا التاريخ بعض الإنصاف، وهؤلاء قد حكم عليهم من ذوبهم بأنهم عاطفيون، من ثم كانت كتابات أمثال جوستاف لوبون الذي أنصف العرب والمسلمين إلى حد ما، لا تعد مرجعاً أساسياً لدى الكثيرين منهم، وحسب القارئ أن ينظر إلى ما كتبه «الأب هنري لامانس» ومن على شاكلته، ممن تناول التاريخ الإسلامي أو بعض جوانبه بروح حاقدة، تتجافى عن المنهج العلمي.

المؤرخون والكتّاب المعاصرون من العرب والمسلمين

الذي يقرأ كتابات المشتغلين بالتاريخ الإسلامي من العرب والمسلمين المعاصرين، يلاحظ أنهم في معظم كتاباتهم يرددون أفكار المستشرقين أنفسهم، ويستغلون ما فيه من أحداث، تباينت فيها وجهات النظر وتعددت الاجتهادات آنذاك في صنعها، كصنيع عثمان بن عفان رضي الله عنه في تصيب الولاة، وكالخلاف بين علي ومعاوية على الخلافة، ليوسعوا من شقة الخلاف، ويصوروا الحدث التاريخي كأنه يخضع للأهواء والمطامع الشخصية، لا أنه اجتهاد من الأطراف التي شاركت فيه، وأن مخطئهم له أجر، فضلاً عن مصيبهم ذي الأجرين. وليس أمر تفسير هؤلاء المؤرخين لعصور الخلافة الإسلامية، التي مثلها العثمانيون الأتراك ببعيد، إذ يرون في وحدة المسلمين حول شعار واحد، يجمعهم تحت سلطان واحد، استعماراً واحتلالاً، وكم قرأنا لبعضهم يفسر هذه الحقبة من التاريخ بذلك التفسير العجيب، وقد ينسى أو يتناسى هؤلاء ما حققته تلك الحقبة المضنية للإسلام من انتصارات وفنوحات، ربطت الأمة الإسلامية آنذاك بماضيها المشرق.

ومما يؤسف له أن القائمين على تدريس التاريخ الإسلامي في أكثر جامعاتنا الإسلامية والعربية، إنما يخضعون لهذا المنهج الذي أشرنا إليه، لأنهم استقوا معلوماتهم التاريخية، إما من المصادر القديمة، من دون نظر فيما فيها من مثالب، وإما من مصادر





عبد اللطيف الأرنؤوط

الأدوات الفنية في الفِصَّة القصيرة

قليلة مبدعة، ولعلمهم أكثر عظمة وإبداعاً من أولئك العظماء المتفوقين الذين غيروا مجرى التاريخ أو سطوراً قصة حياتهم بالأعمال المجيدة، والأفعال الحارقة، ذلك أن نزعة القاص إلى تغيير الواقع تدفعه إلى الهرب منه إلى عالم خيالي يرسم فيه عالماً مثالياً يتمناه، فيبدو أكثر جمالاً وواقعية من عالم يصنعه الأبطال أنفسهم في الحياة. نحن نصارع في الحياة لنتصغر، فَمَنَّا مَنْ يخوض غمارها، ومنا من يصارع بالكلمة لا بالفعل، والقصة أبداً هي حكاية صراع يجد فيه الإنسان ذاته، والتاريخ نفسه ليس إلا حكاية صراع تمت فصولها في الأمس المنصرم.

تري...!!

ما الذي يشدنا ونحن نستمع إلى القصص أو نقرأها...؟؟؟

أهو الفضول الذي يحفزنا إلى الكشف عن عوالم الآخرين...؟؟؟

أم هي رغبتنا الجارفة في تغيير واقع حياتنا الرتيب، الذي غدا في نظرنا قصة مألوفة تثير السأم...؟؟؟

إن القصة تغذي نفوسنا بألوان من المشاعر والرغبات، وتفتح عيوننا على عوالم من السلوك والمغامرات التي تجدد حياتنا، وتظهر نفوسنا، وترقي بقيمتنا إلى الأعلى.

كاتب القصة شخص مبدع، يشارك في رسم

حينما كنت موظفاً في إحدى قرى ريفنا في جنوب سورية، عانيت من عزلة قاتلة دفعتني إلى التخلص منها بالعيش مع الفلاحين، والنفاذ إلى صميم حياتهم بالتعرف إلى قيمهم وعاداتهم.

كانت سهراتنا في المضافة من أغنى التجارب التي مرت في حياتي، ولعل أغنى ما اكتسبته منها ذلك الفاصل القصصي الذي كان يحتل جانباً كبيراً من السهرة، حيث يخيم الصمت على الفلاحين نساء ورجالاً، وينطلق صوت أبي نبيل الحكواتي لينقل المستمعين إلى عالم البادية، حيث الحب والحرب والمغامرات.

شجي، حتى دفعني إلى التساؤل فيما إذا كان القصاصون المحدثون قد أضافوا شيئاً جديداً إلى ما تركه هؤلاء المبدعون من عامة الشعب.

وعلى مر الزمن أدركت أن عظمة القصة لا تكمن في غرابة أحداثها أو مفاجأتها، وإنما تكمن في عناصر كثيرة متشعبة منها: العرض وبراعة التركيب والقدرة على التحليل، وإثارة القارئ، وحفزه إلى التمسك بالقيم الإيجابية، والأخلاق الفاضلة، مما يجعل هذا الفن مدرسة عظيمة للتهديب.

وما لاشك فيه أن الإنسان فطر على الخيال والإبداع، فإن لم يتح له أن يكتب قصة حياته المثلى بأعماله وممارساته في الواقع، كتبها بخياله على الأقل. على أن أولئك الذين يقدرّون على كتابة قصص حياتهم المتمنة بالخيال، ليسوا إلا فئة

وأبونبيل إنسان عادي، لكنه يتمتع بقدرة على السرد والتدفق في التعبير، مع حافظّة عجيبة وفن في ترتيب الأحداث، وإطالة في أمد العقدة، لتشويق المستمعين، مثلما يتمتع بمهارة فائقة في تلوين صوته.

كانت القصة تجري على لسانه، وكأنها تمثّل في الحياة، بل كأنها الأحداث والشخصيات تتحرك أمامنا في مسلسل تلفازي، يوم لم يكن التلفاز معروفاً آنذاك.

وكان أبو نبيل يصف الوقائع والأشخاص والمواقف، ويعني بأدق التفاصيل. وأعترف بأنني تتلمذت على يده، وبأنه كان أستاذاً بارعاً في السرد، يملك من خصائص الفن القصصي ما لا يملكه الكتاب الكبار، ويقطع المواقف السردية بزلجل بدوي يعزز تأثير القصة، ويوقعها يلحن

خطوط حياة وهمية على الورق، لها جذورها المستمدة من الواقع، إنه مشاهد نهم، ليس في العالم أكثر تنبهاً منه، ومتأمل من الطراز الأول حسب تعبير الكاتبة البلجيكية نللي كورنو.

إنه أشبه بالصيد الذي يحرك طريدته لبيعت الحياة في سكون الغابة، فالقاص صياد صور ومشاعر قديم، كالطفل الذي يبنى من خياله عوالم تتجدد في كل لحظة، وتتغلب فيها الأسطورة على الحدث في حرية مطلقة لا يقيدّها إلا منطق القصة ذاتها.

القصة في نظري نسخة من الوجود، ونزعتها المثالية تجعلها تسمو على الواقع، لأنها تعريه من رتابته وسكونه.

ومن هذا المنطلق، فإن أجمل القصص هي التي تكتب ذاتها بذاتها، وليس للقاص دور في التحكم بمجرأها، وليس له أن يناقش منطقيتها أو يكبح تدفقها اللاشعوري. ذلك أن الواقع أغرب من الخيال أحياناً، والكامن في الأعماق هو الدافع لكتابتها، وليست إرادة الكاتب الواعية..

إن القصة تنسج الواقع، وتبدعه إبداعاً جيداً بعيداً من إرادة القاص، وإذا كان للقاص دور أو مشاركة فإنما يتجلى في موهبته الخاصة في الانسحاق مع ذاته الداخلية التي تملي عليه ما يكتب، فمن غير موهبة الكاتب وقدرته على التأليف الدقيق البارع، تبقى القصة عاجزة عن التكون، وتبقى أجمل الموضوعات بليدة تافهة.

القصة رؤية يكونها الكاتب من أي موضوع، ورؤية القاص هي التي تحدد قيمتها الفنية، وهناك بعض الموضوعات القصصية تكون أكثر إثارة، وأقدر على إخراجنا من جوها، أو ألصق بأعمقنا من سواها. ومنها موضوعات الحب والأسرة التي تعد منبع العواطف الإنسانية، الفردية والاجتماعية. على أن أعظم الموضوعات التي تتناولها القصة اليوم هي تحليل النفس الإنسانية في منحى «سيكولوجي» ينفذ إلى الأعماق، على أن يتناول ذلك التحليل العلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة.

فالكائن الحي يؤثر في البيئة ويتأثر بها. ومن هذا التفاعل يرسم القاص شخصه، فيجعلهم من لحم ودم، يتحركون ويسعون وفق ميولهم واتجاهاتهم، مدركين بالحس، وليسوا إلا نماذج ساكنة مجردة من الإحساس أو الحياة.

والقاص لا يستعين بوصف صور لرسم أشخاص قصصية فحسب، بل يصورها عبر سلوكياتها الذاتية وميولها ورغباتها المميزة لكل شخصية إنسانية. وهو في عمله هذا مراقب حذر، يعرف كيف يمنح أبطاله حرية التصرف، والكلام، والحركة. أو يعدل ذلك كله في ضوء ما يميله عليه إحساسه بوجودها، وواقعيتها المتخيلة.

إن الإبداع الفني يكمن في تجسيد تلك التفاصيل الدقيقة، التي تؤلف إطار القصة، مثلما يكمن في تكثيف الأحداث واختصار الزمن، ورسم البيئة والمكان بضربات ريشة مختزلة، توحى أكثر مما تعرف، وبهذا يبدع القاص الإطار الفني لقصته أو جوها أو عالمها العام.

ولا يمكن للقصة أن تنفصل عن الزمان أو المكان، إن شخصياتها تتحرك عبرهما، غير أن زمان القصة لا يساير مفهوم الزمان في الحياة، إنه زمن وهمي يتقلص فيه الزمان الخارجي ليحل محله شعور داخلي بالزمان ينبع من إطالة أمد تحليل الشخصيات، والاستغراق في عالمها الداخلي على حساب الزمن الخارجي الذي يفقد تأثيره بعمل القاص، غير أن العمل القصصي يرتبط بالزمان والمكان والأشخاص فتكون جميعها كلاً واحداً منسجماً.

ولانس دور المتلقي في المشاركة بخياله وهو يقرأ، فالعالم الذي يتخيله القارئ وهو يقرأ القصة هو عالم مستمد من تجربته الحياتية، فمن البدهي أن يكون لكل قصة مذاقها الذاتي، وإثارتها الخصوصية في نفس القارئ، في ضوء ثقافته ومشاعره وقدرته على التجريد ومنحه النفسي وتكوينه الإنساني، وقد لمست ذلك جلياً وأنا أستمع إلى أبي نبيل؛ ذلك الرجل المبدع، كان الفلاحون بحكم وعيهم وتجاربهم مشدودين إلى الجانب القيمي والوصفي من القصة بحكم التصاقهم بحياة البادية.

أما أنا ابن المدينة، فكنْتُ منصرفاً إلى كشف عالم بكر بالنسبة لي، هو عالم البادية وما فيه من قيم وأعراف ومشاهد.

ولعلّ من المناسب أن أشير إلى أخلاقية القصة، فقد تكون جمالية القصة هي الغاية في كتابتها، غير أن ذلك لا يمنع من أن يكون لها مغزى فلسفي أو أخلاقي وليس لها بالضرورة أن

تشيد بناء خلقياً، فحسبها أن تكون منطلقاً لتفكير أخلاقي معين، على أن هذا التفكير الأخلاقي لا صلة له بحكمنا القيمي عليها، إنه نظرة ذاتية بحث تنبعث من رؤية الكاتب الخاصة، ومن الزاوية التي يحكم فيها على الأمور، ورغبته في أن يرسم الحياة كما يجب أن تكون في محاولة منه للبحث عن ذاته التي يجدها فيما كتب، فالقصة في آخر المطاف موقف وعي من الكاتب يعكس شعوره بالقلق على مصيره ومصير العالم الذي يعيش فيه، والكاتب المبدع هو الذي يوفر لقرائه المتعة الجمالية والتحرك العميق لما يهمه وبهم القراء، فالأثر الفني لا يجوز أن يكون محايداً.

يقول الكاتب الفرنسي فرانسوا موريك: «إن قيمة أي أثر ما، هي بقدر ما ينعكس فيه مصير ما». فالقصة تصدر عن فلسفة كاتبها ونظيرته إلى الحياة، وبهذا تكتسب بعدها الإنساني ومشروعيتها، حتى ولو كانت حلماء، فلا بد من أن يجد فيها كل إنسان شيئاً من نفسه، ولا يعني ذلك أن ينصب الكاتب من نفسه معلماً للأخلاق، وإنما يعني أن تحمل القصة هموم الإنسان ومعاناته وصورته العامة من خلال الملامح الخاصة للشخصيات، دون أن تسقط في برائن النفعية والنزعة التعليمية الجافة، مما يفسدها ويدفع بها إلى العقم والتفاهة.

ولعلّ أروع ما تقدمه موهبة الكاتب هو التأليف، وهو أشق جوانب العمل القصصي. وتكمن براعته في الاصطفاء والاختيار والربط بين الأحداث في حبكة منطقية يتحرك فيها الأشخاص، ويسعون كأنهم أحياء، لكن حياتهم وهمية. والتأليف بالنسبة إلى القاص هو مرادف للتعبير بمعناه الداخلي والخارجي، وهو يمثل وحدة تندرج فيها اللغة ورسم الشخصيات وخلق الأجواء الملائمة، وعلى هذا التعبير يتوقف نجاح الكاتب. ولكل كاتب يبدع عادة أسلوبه وأدواته ونظامه في التعبير، ومن هذا التنوع تتعدد أشكال القصص، مثلما تنوع الأزهار التي تبدعها الطبيعة. فيكون لكل منها لونه المتميز وشكله الخاص ورائحته المعروفة، وليس باستطاعتنا أن نحكم على أن زهرة من الأزهار أفضل من زهرة أخرى. فالفن متنوع المظاهر بتنوع النفوس التي أبدعته، وألوان الحرية التي صاغته.

الوطن وإحساس عشقه له، فيشارك ألوان
الفجر والشمس والصبح في رسم الصورة،
وتشخيص الوطن الحي الذي يستمد حياته
ورونقه بين طلعة الكون البهية كل صباح:
يُكحَل فجر الهدى مقلتيه

وللشمس في جفنه مروود

ومن مهجة الصبح في كل يوم

على رأسه راية تُعقد

وكان قصيدتي الشاعر السابقتين لم تغيا
بغايتهما في حب الوطن وإجلاله وتصوير
روائعه، ودرجة العطاء التي يستأهلها،
والتضحيات الرائعات في سبيله. فجاءت
قصيدة «الوطن والعطاء» تنويجاً لجمال
الوطن الساحر، إذ بدا:

كزرقاة البحر كالأشجار كالمطر

كلوعة النغم المفتون في الوتر

لذلك يحق له أن يناجيه بمثل هذا الفيض

من الحب والقداسة والتضحية والإباء:

ها أنت يا موطني في داخلي وهج

وفي سمائي شعاع مطلق البصر

وفي فؤادي انطلاق يزدهي ألقاً

وفي خيالي افتتاح رائع الصور

خذني إليك ومزغ كل أوردتي

على ثراك فداء واختصر عمري

ففي دمي أنت بصمات معتقة

من الحضارات والتاريخ والسير

فاضت بي الأرض عشقاً فيك أجمعه

منذ البدايات حتى حان يا قدرتي

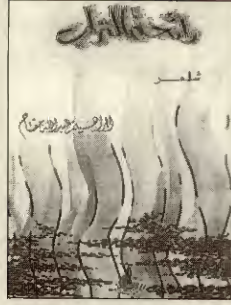
وعدُ العطاء فأعطيناك أعيننا

دماً تكحَل في الأجفان بالسهر

وهكذا يستمر الشاعر المفتاح على هذا

المنوال في حب الوطن، وعشقه لتراثه وعلمه

في القصائد الوطنية الأخرى.



غلاف الكتاب



إبراهيم عبد الله مفتاح

العنوان: رائحة التراب.

المؤلف: إبراهيم عبد الله مفتاح.

الناشر: نادي جازان الأدبي، ط1،

1416هـ/1995م، 101ص.

حواس

هذا الديوان للشاعر إبراهيم مفتاح

خمساً وعشرين قصيدة.. توالى

على الشكل التالي: وطن على صدور

الأوسمة، خفقه على رمش الوطن والعطاء،

علمي، حالة عصيان استثنائية، البسوس تهب

من جهة أخرى، تقاطعات، لاخراج بعد

المطر، على بوابة التناوب، الغياب، يا أنت، يا

تواشيح الخضاب، ساعتني، رائحة التراب،

حالة، يا صباح الشعر، ضياع في زحمة

العناوين، حتى تهدأ الريح، جفاف، لكي لا

تجي، سباعية للسهيل، يبش بعد الغياب،

أبها داخل الأسئلة، من وحي الغوص

والسفر، القصار، شهرزاد تتحدث نهراً.

قرأنا هذه القصائد، وجدنا بوئاً شاسعاً

بينها.. فقليلة هي القصائد التي تستثير،

وكثيرة التي تمر بلا تأثير. وكانت القصائد

المثيرة هي التي تخاطب الوطن والأرض، إذ

بدا فيها الشاعر كتلة من العواطف المتقدة

بالانتماء والحلول في أعماق الثرى، والتنفس

بأجواء الوطن الأثيري، والملاصقة الحميمية

التي جعلت كل شيء في الوطن ينطق

ويتحرك بمقدار ما في قلب الشاعر من وجد

ونبض وعشق وحنين وانفعال. وقصائد

الوطن ثمان أو تسع هي: (وطن على صدور

الأوسمة، خفقة على رمش الوطن، الوطن

والعطاء، علمي، رائحة التراب، يبش بعد

الغياب، أبها داخل الأسئلة، من وحي
الغوص والسفر، القصار. وإن درجة
الانفعال الوجداني لدى الشاعر المفتاح، في
هذه القصائد الوطنية، يرافقها انفعال فني
عريض يتسع لاحتواء مشاعره الوجدانية،
ويتخذ هذا الاحتواء الفني قوالب منسجمة
مع فيض الإحساس والشعور الذي تبلوره
تلك القوالب بأشكالها الفنية من تصوير
وتشخيص وحلول رومانسية. ولنقف عند
بعضها:

إن حب الشاعر في (وطن على صدور
الأوسمة) يتألق.. حين يجد الوطن في غاية
الروعة والفتنة والجمال، فيخاطبه على هذا
الأساس من الإحساس، فترجمه الصورة
المشخصة المعبرة عن فيضه الوجداني،
وتتوالى تلك الصور عبر أبيات القصيدة
العشرة، ونكتفي بمطلعها وختامها؛ وليس
هما الأجودين؛ لأن كل بيت أروع من
الآخر:

هذي المفاتن في عينيك تأتلق

وفي لحاظك هذا السحر والألق

.....

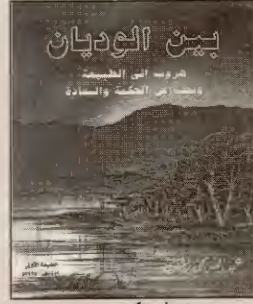
فأنت في مهجتي نبض وفي قلبي

حرف وفي كل عام يزهر الورق

ونجده مرة ثانية في «خفقة على رمش

الوطن» رسماً ماهراً يحسن تصوير مفاتن

العنوان: بين الوديان. هروب إلى الطبيعة وبحث عن الحكمة والسعادة.
المؤلف: عبد الله محمد المقرن
الناشر: مطبعة سفير، الرياض، ط1،
1416هـ/1995م، 127ص.



غلاف الكتاب

تتأب المرء، أحياناً، حالات من الاستياء والقهر والمرارة من الواقع اليومي الصاحب بالمدنية وأناسها، والمادة وهميتها.. ولاسيما إذا كان هذا المرء مرهف المشاعر والأحاسيس، نقى السريرة والفطرة، ميلاً إلى المثل السامية والطهارة.

ويبدو أن هذه الحالات هي التي انتابت أدينا المقرن، حين كتب كتابه: بين الوديان، وكان دافعه هو: «هروب إلى الطبيعة وبحث عن الحكمة والسعادة»، وحاول أن يكون عمله درامياً لاصقاً بالواقع؛ حالماً صور وداعه لأسرته أو طفلة التي لم تتجاوز العاشرة، والتي عارضت قرار والدها الذي صمم على الرحيل بقوله لها: «.. ولذا فلن أجد سعادتي هنا.. سأجدها حتماً بين الجبال والتلال حيث لا أرى هناك غير الطير والطهر». ثم أردف بقوله: «أن أغيب عنكم شهراً كاملاً أخذ فيه إجازتي وأرحل إلى خارج المدن.. إلى حيث لا تعلمون». فكانت رحلة فكرية ونفسية ووجدانية عاشها المؤلف أو «خالد» بين أحضان الطبيعة مع الأشجار والأزهار والجبال والوديان.. ومع الخيال والفلسفة والحكمة والفلاسفة والحكماء.. بحثاً عن السعادة والحقيقة. وإذا كان هروب خالد من المدينة والناس والمادة، والتجاؤه إلى الطبيعة ولوحثها الفنية الربانية وسحرها الشعري.. طلباً للهدوء

ولقد وفق المقرن في طريقته الأسلوبية الشائقة، ولاسيما اللغة الشعرية، التي استطاع من خلالها أن يبلور هموم الإنسانية بأجمعها، ويكشف حقائق ربانية وبشرية لهذا الكون وتلك الحياة.

ولهذا فالكتاب، على نزعة الرومانسية الفطرية والروحانية، يعج بمعاني الواقع ومرارته، ومفردات السلوك الإنساني المعاصر.. من خلال استمرار آلام خالد النفسية مع فكره، وقلقه الذي لم يثبت على حال. ويبدو أن قلقه كان عاملاً في استمرار شقائه، أو أن عقله سبب تفكيره، لأن البحث عن الحقيقة يزيد القلق فالشقاء. فخالد ظل «يبحث عن الكمال في كل شيء، ويحس بالنقص الذي يعيش فيه»، كما أن «الوضع الصحيح هو التفكير المستمر.. فذلك هو قدر الإنسان من أجل إعمار الأرض. فعليه أن يقلق طوال عمره، وأن يترك السعادة للأطفال. الوضع الطبيعي إذن هو أن يشقى الإنسان بسبب ذلك العقل، وهكذا كأنك يا خالد أو يا زيد ماغزيت!». ولم تكن كلماته الأولى في الرحيل غير خطوط رومانسية صيغها بشتى الألوان الموسيقية والشاعرية.. مثل هذه النصوص وغيرها: «جاء هاتف في الليل.. أن اذهب يا بني. يا من بكى ليااليه الطوال، يا من بكى لياالي الزمن، وشكا نهراً طويلاً.. شكا نهار حر وهجير. اذهب هناك ستجد الليالي.. ليالي صيف بارد وربيع. وستجد النهار.. نهار شتاء دافئ بلا ثلوج أو صقيع». أو مثل قوله وهو يحس جمال الطبيعة: «.. هكذا هي الأرض منذ آلاف السنين.. هدوء وزهور وشمس وماء. لم يعكر صفو هذا الجمال إلا عقل الإنسان وطمعه فتباً للعقل والطمع».

والسكينة والصفاء والطهارة؛ فإنه لم يجدها.. لأن الفكر قاده إلى الإنسان ومعاناته المعاصرة. ولهذا استحال الكتاب إلى حوار فكري بين خالد والشجر والزهر والخيال الذي استحضر له ثلاثة حكماء أشقاء، فكانت القضايا المثارة التي تنغص خالد، تدور في ذلك الإنسان مع واقعه ونفسه ومراحل حياته.

وهكذا زرع المؤلف خالداً في خضم الخواطر والأفكار والرؤى والتساؤلات، وهو يحاور أولئك الحكماء الذين أصبحوا يشاركونه معاناته وهمومه ومشكلاته، كما أصبحوا، في الوقت نفسه، يشاركونه حلّها، والوقوف عند جذورها.

ومن هنا حاول المؤلف، دوماً، أن يلطف جو الفكر والحوار، ويطرد الضجر عن قارئه، بالعودة من حين لآخر إلى الطبيعة وحياتها الفطرية بمنأى عن البشر وأطماعهم وشروورهم، ولكن هاجسه الأول كان إبراز الهموم والمعاناة، لذلك ظل خالد يحمل معه هموم البشرية بأسرها، ومعاناة الإنسان المعاصر في هذه الحياة، كما ظل في حوار مستمر مع الشجر والفلاسفة الحكماء وغيرهم، وفي تساؤلات عن أمور كثيرة أرهقت فكره ومشاعره، وخصوصاً تساؤله عن السعادة، وكان ذلك كله ترجمة للواقع الإنساني المعاصر.

كن مع طليعة الصفوة المثقفة
واحرص على اقتنائها

أهل التاريخ

مجلة العرب الأدبية

قضايا الحياة الثقافية
يتناولها أعلام الفكر والأدب

أكثر من ٦٠ عاما
في خدمة المثقف
العربي من المحيط
إلى الخليج

فتش عن الثمين
واحرص على اقتنائه

نحن نضع العالم بين يديك

تصدر عن دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص ب ٢٩٢٥ ت ٦٤٣٢١٢٤ فاكس ٦٤٢٨٨٥٣

الجيولوجاء

غمامة تولد فيها النجوم والكواكب

عدنان عضيمة

في خلال إحدى الرحلات المثيرة لمكوك الفضاء الأمريكي التي أنجزت بنجاح قبل نحو ثلاث سنوات، قام الرواد بإصلاح الرؤية المشوشة لمقرب (تلسكوب) هابل الفضائي الذي كان يدور حول الأرض؛ ليبدأ بذلك عصر جديد من عصور الاكتشافات الفلكية. ويعدّ هذا المقرب النسخة الحديثة لذلك الذي استخدمه جاليليو للتثبت من أن الأرض تدور حول الشمس. ولقد سمح هذا المقرب الجديد للإنسان المعاصر بالنظر عميقاً في رحاب الكون الفسيح. وليس الحديث عن مقرب هابل بحد ذاته غايته من هذا المقال، بل إننا سنتعرض لبدايات الاكتشافات الفلكية المهمة والمثيرة التي حققها.

في التاسع والعشرين من شهر كانون الأول/ ديسمبر من عام 1993م تم توجيه مقراب هابل نحو غمامة الجوزاء Ori-on Nebula. ونظراً لكون هذه الغمامة هي الأكثر سطوعاً، والأقل عمراً، والأقرب من الأرض، بل لعلها أيضاً الأكثر جمالاً وبهاء من بين المجرات والغمامات كافة التي تُرى شتاءً في سماء النصف

الشمالي من الكرة الأرضية، فقد عدّها الفلكيون واحداً من أكثر الأهداف الفلكية أهمية. وتنتشر غازات هذه الغمامة وغبارها ضمن حيزٍ من الفضاء مترامي الأبعاد، مغرق الاتساع، يقدر قطره بنحو 60 مليون مليون كيلو متر. وهي دائمة التوهج والسطوع بفعل النجوم الحديثة التي تولد فيها باستمرار. ويعتقد الفلكي س. روبرت

أو ديل C.Robert O'Dell من جامعة هوستون في ولاية تكساس الأمريكية، أحد العلماء الرواد المتخصصين بتحليل صور التلكسوب هابل، أن هذه النظرة الجديدة التي تحققت بواسطة هابل تبشر بحل العديد من الألغاز المحيرة التي بقيت تكتنف نظام غمامة الجوزاء منذ تم اكتشافها حتى الآن. ومن خلال الإمعان في الصور المبهمة التي

أرسلها المقراب هابل لهذه الغمامة قبل إصلاحه، وقع أو ديل على مجموعة غير متوقعة من البقع لم يتمكن من تفسيرها.

وبدت هذه البقع غير منتظمة الأشكال ومبعثرة على نحو عشوائي ضمن حدود الصورة، فغلبه الظن بأن تكون نوعاً من التشويش الضوئي الناتج من عدم انتظام تقعر المرايا



صورة لغمامة الجوزاء التقطها مقراب هابل الفضائي. تعد الجوزاء من أكثر الغمامات المعروفة سطوعاً حتى إنه بالإمكان رؤيتها بالعين المجردة.



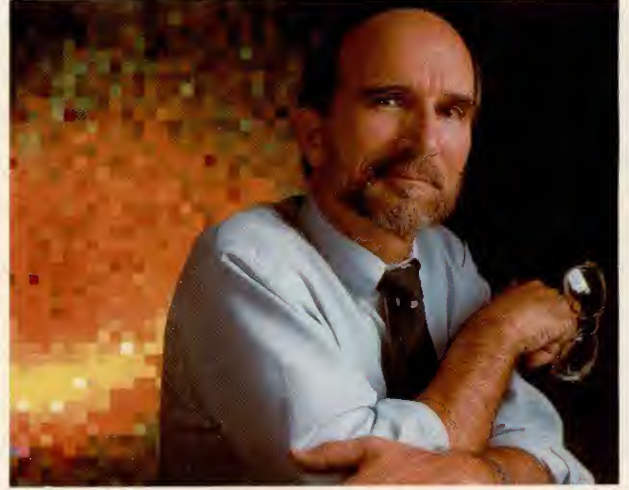
نظامنا الشمسي.

ومنذ نحو الألف الثانية قبل الميلاد راح القدماء يرسمون خطوطاً وهمية تصل النجوم الساطعة لهذه الغمامة بعضها ببعض حتى شكلوا منها ما أوحى لليونانيين من بعدهم بصورة إله الصيد الأسطوري أوريون Orion، الذي وقع في حب الإلهة أرتيميس Artemis ولكن الغيرة المفرطة لشقيقها وتوءمها الإله أبوللو Appollo دفعته لأن يدس في فراشه العقارب لتقتله، وذهبوا إلى تسمية هذه النجوم باسمه.

كيف تُولد النجوم والكواكب؟

وسرعان ما تأكد أو ديل،

يتعارض مع المفهوم الشائع من أنه قد يعني الكون برمته. ثم إن الغمامة تختلف عن السحابة أو الغيمة من حيث عدم وضوح معالمها وحدودها، وهذا ما يتفق مع المظاهر التي بدت عليها الصور المقراية الحديثة للغمامات والمجرات كافة. ولعل من المفيد الإشارة إلى أن الغمامة تتألف من عدد من النجوم تنتشر بينها الغازات والغبار، وهي جزء من البرج Constellation، والبرج جزء من المجرة Galaxy، والمجرة جزء من العنقود Clus-ter. وتنتمي غمامة الجوزاء لبرج الجوزاء الذي هو جزء من ذراع الجوزاء Orion Arm، إحدى الأذرع الأربع الرئيسية لمجرة درب اللبانة Milky Way Galaxy التي ينتمي إليها



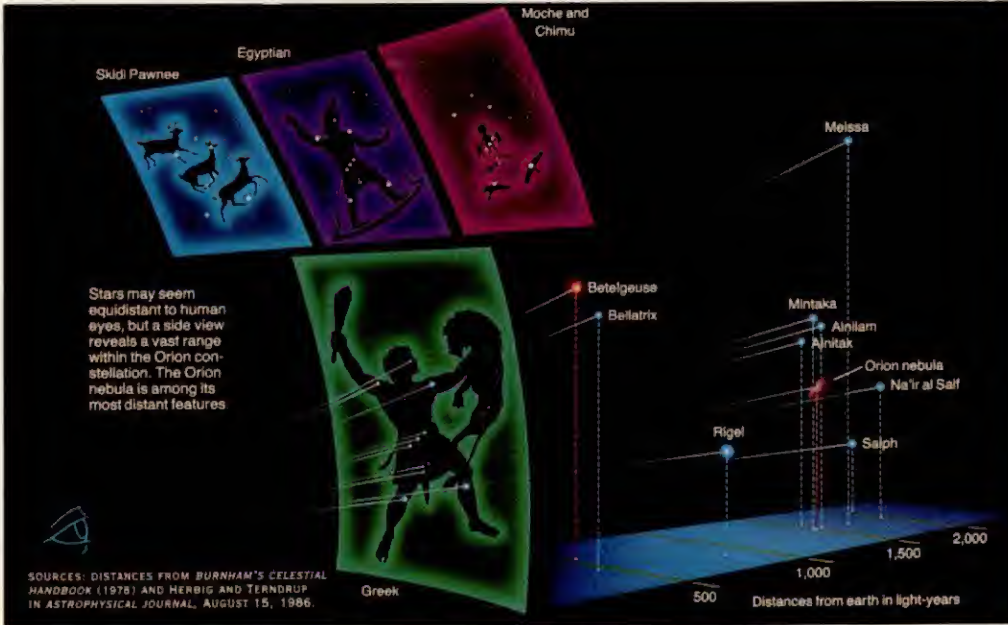
الفلكي الأمريكي روبرت أو ديل

قصة التسمية

لقد اجتهدتُ - غير مرة على صفحات هذه المجلة - باختيار مصطلح (غمامة) مقابلاً للكلمة اللاتينية Nebula التي تعني أيضاً السحابة أو الغيمة، وسماها بعضهم (السديم)، وهو اسم من شأنه - في رأيي - أن

العاكسة للضوء في المقراب. وتحاكي هذه الظاهرة ما حدث في مقراب جاليليو عندما رأى مجموعة من الأقمار الوهمية حول كوكب المشتري كانت قد ظهرت بسبب وجود فقاعات غازية في زجاج المقراب. وتساءل أو ديل: إذا كانت هذه البقع حقيقية فلماذا تبدو على مثل هذا السطوع؟ وماذا يمكن أن تكون؟

لقد شك في البداية بأنها قد تكون أنظمة كوكبية نتجت من تجمع الغازات والغبار حول النجوم حديثة الولادة. فإن كان الأمر كذلك فلا بد أن يؤدي اكتشافها إلى ترجيح الاعتقاد بإمكان اكتشاف الحياة في مكان ما من الكون. وما يسوغ هذا الظن أن الكواكب وحدها هي التي تسودها الحرارة المناسبة لحفز عوامل الحياة بمعناها الذي نعرفه على الأرض.



برج الجوزاء كما تصوره اليونانيون والمصريون وسكان أمريكا الشمالية القدماء

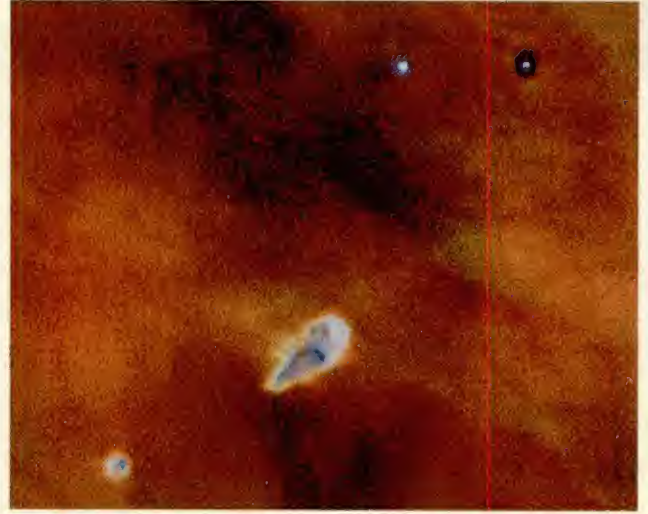
كانت تسبح ضمنها، بالإضافة للنجوم الأخرى كافة، هي في واقع الأمر مصدر المادة كلها، بدءاً من الجزيئات الغازية في غمامة الجوزاء وكواكب المجموعة الشمسية وانتهاءً بالأشجار والأحجار.

وكما هو الحال بالنسبة لنا نحن البشر، فإن النجوم تولد وتكبر ثم تشيخ وتموت. ومع أن السبب الدقيق الذي يؤدي إلى ولادة نجم جديد مازال واحداً من الألغاز الفلكية، إلا أن من الراجح أن للجاذبية أثراً كبيراً في ذلك. فإذا ازدادت كثافة كتلة من الغاز في الغمامة لسبب ما حتى أصبحت أكبر من كثافة المادة المجاورة لها فإنها تبدأ

مفاجأة علمية يمكن أن تفضي إلى المزيد من الاكتشافات الفلكية. ولقد أظهرت عمليات الرصد الأولى لبعض القطاعات الفضائية الصافية القريبة من مركز غمامة الجوزاء 110 من النجوم الواضحة. منها 56 كانت مطوقة بسحب غازية تمثل البقع الغامضة التي سبق له أن ظن أنها نتجت من الأخطاء الضوئية للمقرب.

وسرعان ما تكهن بوجود المزيد من هذه النجوم الأقل إضاءة والتي لا يمكن لمقرب هابل كشفها على حساسيته الشديدة.

ومهما يكن تفسير وجود هذه السحب، فإن النجوم التي

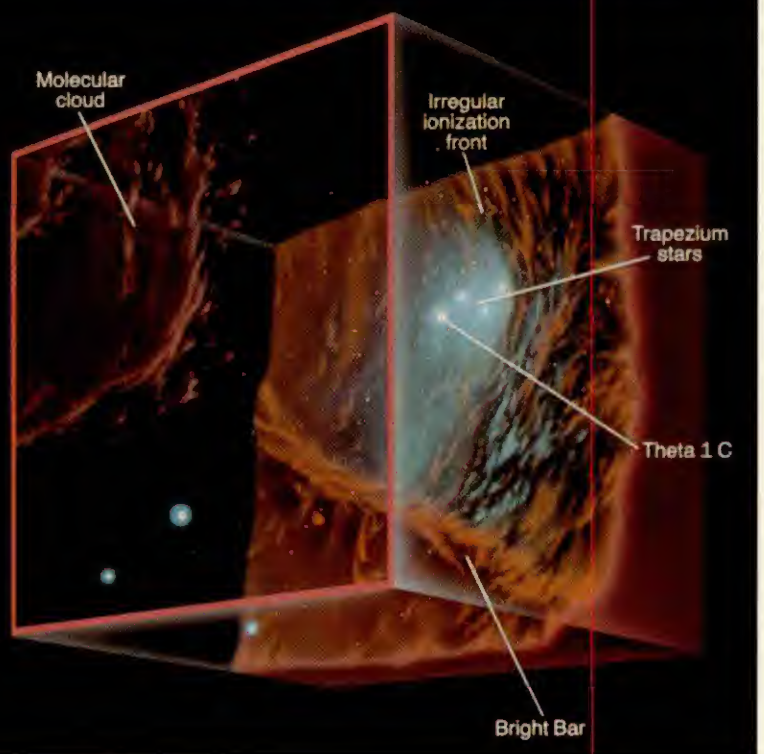
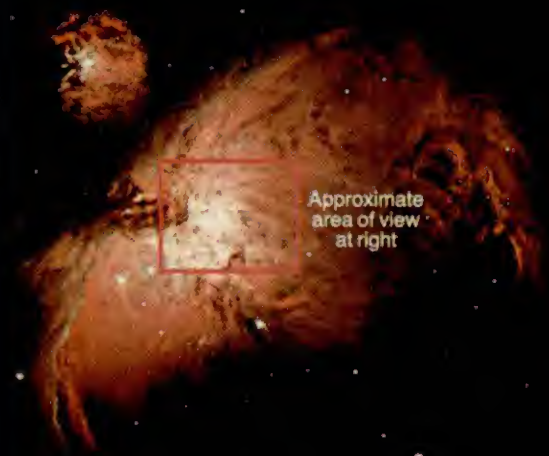


هذه البقعة المتطائلة التي تشبه دموع العين تمثل سحابة يبلغ طولها نحو 80 مليار كيلو متر قريبة من مركز غمامة الجوزاء وتتضمن في جوفها نجماً ولیداً. وإلى يمين أعلى الصورة، بدأ نجم محاطاً بقرص من الغبار يعتقد أنه يجتاز إحدى مراحل التطورية في طريق التحول إلى مجموعة من الكواكب. ولقد شوهدت مثل هذه الأنظمة الكوكبية الأولية حول معظم النجوم المولودة حديثاً في الغمامة.

غمامة الجوزاء كانت واقعية، وخالية من العيوب الضوئية. وهكذا تحقق من أن ما رآه كان

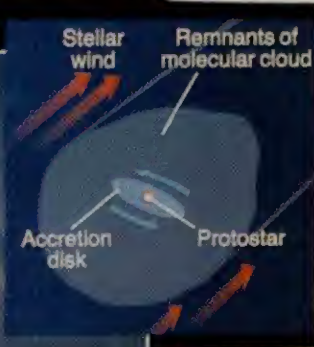
على إثر إجراء المزيد من عمليات التحليل أن تلك النظرة التي حققها المقرب هابل نحو

غمامة الجوزاء: بقعة ساطعة بالنجوم مغمورة ضمن سحابة داكنة من الغازات الجزيئية والغبار ويبلغ قطرها نحو 100 سنة ضوئية

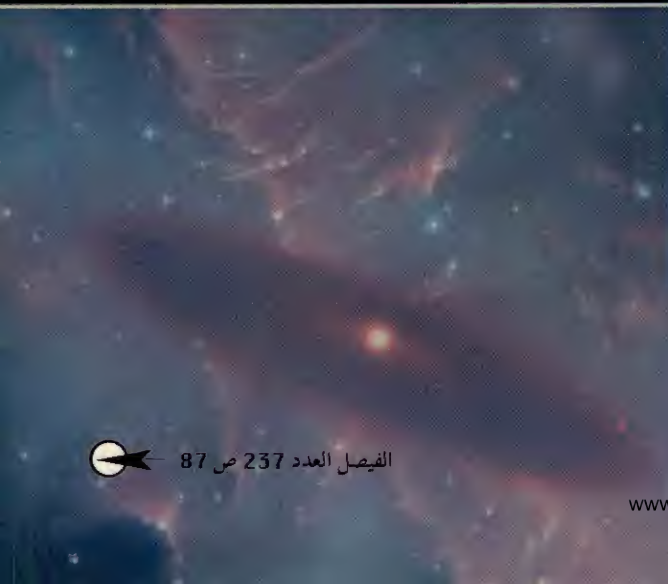




هكذا يولد النجم: تبدأ كتلة ضخمة من الهيدروجين والغاز بالتقلص تحت تأثير جاذبيتها. ويسبب الضغط المتزايد داخل الكتلة تسخين مركزها للدرجة التي توافق بدء تفاعل الاندماج النووي للهيدروجين فتحرر منه الطاقة الكافية لوقف تقلصها (الصورة العليا).



وتتراج الكتلة الغازية التي يتمركز فيها النجم الوليد بعيداً من السحابة الجزيئية جاذبة معها كتلة من بقاياها تتجمع في قرص منبسط يتضمن أيضاً بعض الكواكب الأولية التي ستولد حديثاً (الصورة الوسطى).



وبعد نحو مليون سنة يظهر النجم الوليد ضمن القرص المنبسط الذي يتحول إلى مجموعة من الكواكب

بالانكماش؛ لأن قوة جاذبيتها الخاصة أكبر من تلك التي تبديها المادة المجاورة. ومع استمرار انكماشها بتأثير الجاذبية الخاصة فإن كثافتها تزداد باطراد وتبدأ درجة حرارتها جوفها بالارتفاع (وفقاً لمبدأ فيزيائي بسيط يفيد بأن الكثافة تتناسب عكسياً مع الحجم عند ثبات الكتلة).

وعندما تبلغ كثافة مركز الكتلة وحرارته حدًا معينًا يبدأ تفاعل الاندماج النووي. وبهذا يكون قد وُلد نجم جديد من الأتوم النووي لاندماج الهيدروجين والهيليوم الموجودين داخل السحابة الغازية الدائرية. وكان أو دليل، ومعه العديد من الفلكيين، يعتقدون منذ ربح من الزمان بأن هذه السحابة الدائرية هي المادة الأولية التي تنشأ منها الكواكب. وفي النهاية تنقذف السحابة بعيداً لتميط اللثام عن النجم الوليد الساطع.

واللون الذي يبدو عليه أي نجم يتعلق بدرجة حرارته. فمثلاً يبدو النجم بيتلغوز Betel-geuse ضارباً إلى الحمرة لأنه بارد، لا تتعدى درجة حرارته السطحية ثلاثة آلاف درجة مئوية. وتعد شمسنا من النجوم المصفرة نسبياً لأن درجة حرارتها السطحية 5500 درجة مئوية. والنجوم الكثيفة مثل ريجل Rigel تصنف

ضمن النجوم البيضاء المزرقة حيث تبلغ درجة حرارتها السطحية 10000 درجة

مئوية. ومثل هذه النجوم سرعان ما تستهلك مادتها خلال تحول الهيدروجين إلى هليوم.

وخلال مرحلة الشيخوخة، يقوم النجم الكثيف بتحويل الهليوم إلى كربون، والكربون

إلى حديد. وبذلك يتحول النجم إلى ما يسمى في علم الفلك: العملاق الأحمر Red Giant كما هو الحال بالنسبة للنجم بيتلغوز.

وعندما تخبو نيران الأتون النووي، تؤدي الجاذبية دورها فتحمل النجم على الانكماش. ويسبب هذا الانكماش المفاجئ تحرير الطاقة بانفجار هائل دأب الفلكيون وفيزيائيو الفلك على تسميته: السوبرنوفا-Super nova، وهو حدث فلكي جلل ينتظرون وقوعه للنجم بيتلغوز.

وإذا حدث مثل هذا الانفجار قريباً من سحابة من الغاز أو الغبار، فإن موجات الصدم Shock Waves الناتجة منه من شأنها أن تضغط جزءاً منها حتى يصبح الغاز أكثر كثافة فتتكرر الدورة من جديد.

ومن بين الأماكن التي تشهد ولادة النجوم، والمنتشرة عبر أذرع مجرتنا كافة، ليس هناك أكثر نشاطاً من غمامة الجوزاء. فعلى الرغم من بعدها الهائل من الأرض والذي يقدر بنحو 1500 سنة ضوئية (15 مليون مليار كيلو متر) فإن بالإمكان رؤيتها بالعين المجردة بوضوح عبر السماء خلال فصل الشتاء.

وعندما صوب جاليليو مقرابه من نافذة بيته في مدينة بادوا Padua نحو برج الجوزاء في عام 1610م، كانت حساباته



برج الجوزاء كما يبدو في السماء شتاء



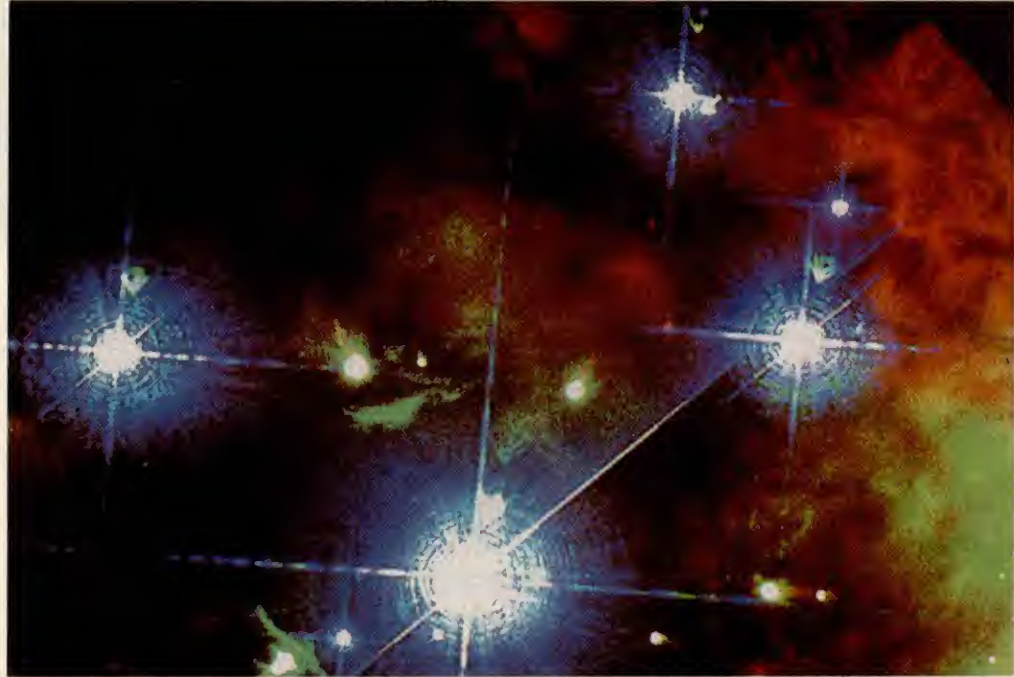
أول صورة مقاربة لغمامة الجوزاء التقطها الفلكي الأمريكي هنري دراير Henry Draper عام 1880م

في التوجيه تعوزها بعض الدقة. ومع هذا فقد كان أول من نجح في رصده في العام نفسه هو المحامي والفلكي الهاوي الفرنسي ذو الاسم الطويل: نيكولا كلود فابري دو بيريسك Nicolas Peirese Claude Fabri De Peirese وذلك باستخدام مقراب قدمه جاليليو هدية له. وبدت له غمامة الجوزاء ضمن برجعها بلون رمادي خفيف. والعين المجردة لا يمكنها أن ترى منها سوى الأجزاء الأكثر سطوعاً، التي تُرى كأنها عديمة اللون. ولا يمكننا أن نرى الحواف الخارجية ذات اللون الأحمر الذي يعود للإصدارات الضوئية الناتجة من الآزوت (النيتروجين) والهيدروجين.

والغمامة في حقيقة الأمر هي قطاع حار من الغازات المضطربة - التي تتألف من الهيدروجين بدرجة أساسية بالإضافة إلى الهليوم والكربون والآزوت والأكسجين - المغمورة وسط سحابة مظلمة من الغاز والغبار تدعى سحابة الجوزاء Orion Molecular Cloud. ويوحى توافر عشرات الأنواع من الجزيئات المادية، بما فيها الماء وأول أكسيد الكربون، بأن السحابة تعج بالمواد الأولية التي تتشكل منها النجوم.

ويقول أو ديل: «عندما ننظر إلى غمامة الجوزاء فأننا نرى مصنعا للنجوم، كما أننا نرى كيف كان حال نظامنا الشمسي عندما مر في عهد

الطفولة». ومعظم النجوم التي تسود الغمامة يتراوح عمرها بين 300000 و3 مليون سنة، بينما يكاد فيزيائيو الفلك المعاصرون يتفقون على أن نظامنا الشمسي قد بلغ من العمر 4,5 مليار سنة. وإن أحدث نجوم غمامة الجوزاء تبدو عبر المقراب مائلة ميلاً واضحاً إلى الحمرة وقليلة الكتلة. وفي ربيع سنة 1995م قام مقراب هابل الفضائي بالاضطلاع بمهمة إعادة مسح غمامة الجوزاء أربع مرات. وتركزت عمليات الرصد على خمسة عشر قطاعاً من قطاعاتها



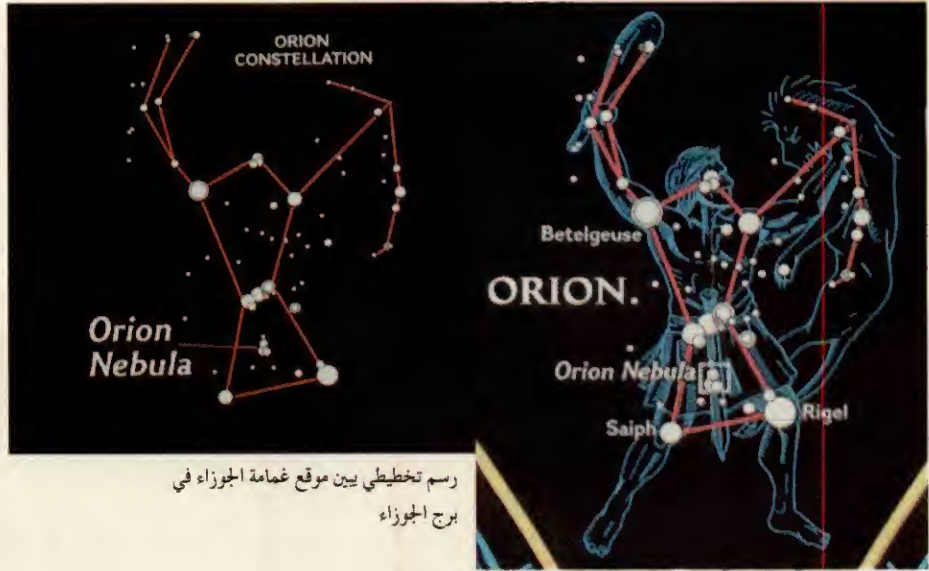
صورة عالية الوضوح التقطها مقراب هابل الفضائي لقلب غمامة الجوزاء تبدو فيها بعض النجوم الساطعة. وهذه النجوم ولدت لتوها في مكان ما ضمن السحابة الجزيئية إذ لا يزيد عمرها على مليون سنة



مصطلح الكواكب الأولية لأننا نرى الدلائل المقنعة لتشكل الكواكب. وتعد الأقراص بمثابة الحلقة المفقودة في معضلة بحثنا عن الكيفية التي نشأت بموجبها الكواكب التي تحاكي الشمس». ويدعو أن أقراص الكواكب الأولية شغلت الفيلسوف والفلكي إيمانويل كانت - Immanuel Kant منذ عام 1755م عندما وضع فرضية تقضي بأن الكواكب إنما تتشكل

السحابة بفعل قوة الجاذبية فإن المجال المغناطيسي ينكمش معها إلى درجة محددة تتحرر عندها الطاقة المغناطيسية من الكتلة الدائرية؛ مما يؤدي إلى تسريع الدقائق الغازية على مسارها حتى تبلغ سرعة عالية جداً. ونظراً لأن قطبي النجم هما المكان الأكثر ملائمة لتحرير الطاقة المغناطيسية فإن هذا يدفع إلى الاعتقاد بأن نفث الغازات يكون مقصوراً على القطبين المغناطيسيين للنجم الوليد.

التي تختلف عن بعضها في المظهر والخصائص. ولقد تمخضت عمليات التحليل الطويلة والمضنية للصور المقترابية بواسطة الحواسيب التي أشرف عليها أو ديل عن صورة مترابطة واحدة لمصنع النجوم في قلب غمامة الجوزاء. فهو مكان عنيف، بالغ الاضطراب، تنطلق فيه المادة بسرعة تفوق سرعة الصوت (نحو 354 متراً في الثانية). وبقيت جبهات الصدم



رسم تخطيطي يبين موقع غمامة الجوزاء في برج الجوزاء

من السحب الغازية الدائرية حول النجوم، حيث تنكمش بعض مادتها لتشكل جوفاً كثيفاً ينفصل عن النجم ويدور حوله. ومعظم أقراص الكواكب الأولية التي شاهدها أو ديل بدت منبسطة بدلاً من كونها كروية مما عدّه دليلاً قاطعاً على أن هناك عملية تطويرية نشيطة تفعل فعلها. فإذا كان للسحابة الغازية

وإذا كانت جبهات الصدم تعطي فكرة عن القوى العاملة في النجم حديث الولادة، فإن أطباق الغاز والغبار التي تحيط بالنجوم الحديثة - التي تسمى الأقراص الكوكبية الأولية Protoplanetary Disks - تقدم الدليل الأقوى على ظاهرة ميلاد الكواكب. يقول أو ديل: «لقد دأبنا على استخدام

Chock Fronts من الألفاظ العلمية لغمامة الجوزاء. ويعتقد الفلكيون أن هذه الجبهات تصدر عن الحواف السطحية لنفثات الغاز المندفعة من جوف النجم الحديث. كما يعتقدون أن سبب تشكلها يعود إلى المجال المغناطيسي المنتشر في السحابة الغازية الأصلية التي تشكل منها النجم. ومع انكماش هذه

أن تلد كواكب فلاد لها أن تكون في حالة دوران، ويؤدي دورانها هذا إلى انبساطها وتحويلها إلى قرص. وعندما عمد أو ديل إلى قياس أقطار الأقراص الغازية المنتشرة حول نجوم غمامة الجوزاء تأكد من أن بعضها يفوق في اتساعه نظامنا الشمسي. ولقد ساعده في هذا القياس الظلمة التي تميز أحد هذه الأقراص الذي تبين أن قطره أكبر من قطر النظام الشمسي بسبع مرات ونصف المرة. وفي مركز هذا القرص يلمع نجم بضوء أحمر خافت قدرت كتلته بثلاث كتلة الشمس.

وأدى هذا كله إلى تنامي الاعتقاد في أوساط الفلكيين بأن العديد من النجوم داخل أقراصها سوف تشكل كواكبها الخاصة بها مثلما سبق لشمسنا أن فعلت قبل ما يزيد على أربعة مليارات من السنين. ولقد يكون من المحتمل أن تنبجس أسس الحياة في بعضها، فالكون مكان هائل الاتساع. وإذا كان العلماء ما فتئوا يرددون اعتقادهم بوجود الحياة في مكان آخر من هذا الكون غير الأرض؛ فإن اعتقادهم هذا أخذ يزداد ترسخاً وتجذراً وتبلوراً مع تطور الوسائل التي سمحت للإنسان بتعميق نظرتهم في أعماق الكون الفسيح، وخاصة منها مقرب هابل الفضائي.



حفل التراث العربي بأنواع
شتى من التأليف، فلم يدع
المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه،
فقد ألفوا في الموضوعات
الجادة في دقائق العلوم
والفنون، ولم يغفلوا
الموضوعات الطريفة، كما
خصوا كل موضوع بتأليف،
وكل مسألة بمصنف، وكل فن
بكتاب أو رسالة، في جد أو
هزل.

قد جاءني وسلم علي وقال: أين يريد
الراكب؟ قلت: اليمامة، قال: ومن
أين أقبلت؟ قلت: من مكة، فجلس
إلي يحدثني أحسن حديث، وقال:
أتأذن في صحبتك إلى اليمامة؟
فقلت: أحب مصحوب، فما لبث
أن جاء بناقة كأنها قلعة عليها أداة
حسنة فأناخها قريباً من مبتي وتوسد
ذراعها، فلما هممت بالرحيل أيقظته
- ولم يكن نائماً - فقام وأصلح رحله
وركب وركبت فقصر على يومي
بصحبه، فلما رأينا بياض قصور
اليمامة تمثل:

وأعرضت اليمامة واشمخرت
كأسياف بأيدي مصليتيها
فلما قربنا من اليمامة مال إلي
أبيات قريبة منها، فقلت: لعلك
تحاول حاجة في هذه الأبيات؟ فقال:
أجل، قلت: انطلق راشداً، فقال: هل
أنت موف حق الصحبة، قلت:
أفعل، قال: مل معي، فملت معه،
فلما رآه أهل الصرم ابتدروه، وإذا
فتيان لهم شارة وأبهة، فأناخوا بنا
وعقلوا ناقتينا، وأظهروا السرور
وأكثروا البر، ثم قال: قوموا إن شئتم،
فقاموا وقمت معهم لقيامه حتى
صرنا إلى قبر حديث التطين فألقى
نفسه عليه وأنشأ:


لئن منعوني في حياتي زيارة
أحابي بها نفساً تملكها الحبُّ
فلن يمنعوني أن أجاور لحدّها
ويجمع شخصينا الجنادل والتربُّ
ثم أن أنات فمات، فأقمت مع
الفتيان إلى أن جهزوه واحتفروا له
إلى جانب القبر فدفنوه، فسألت عنه
فقالوا: ابن سيد هذا الحي، وهذه
بنت عمه، وكان بها مغرمًا، فماتت
منذ ثلاث فاقبل إليها وقد رأيت ما
آل إليه أمره، فركبت وكأني والله
قد ثكلت حميمًا.

منازل الأحاب و منازله الألباب

رأيت ما يندرج في سلك النكت
الأدبية والملمحة الغربية من الأشعار
الرفيعة التي تبعث على الصبوة وتثير
كامن الهوى وتحرك ساكن الوجد،
أحببت أن أجمع في هذه الأوراق
من أخبار من صدرت عنهم تلك
الأشعار، وما يتحقق به أن ذلك
اللطف الذي يوجد في كلامهم
والرقة التي تلعب بالعقول من
أشعارهم من قبيل العفة التي في
سجايهم والصدق الذي جبلت
عليه طباعهم، وأنها صدرت عن
نفوس أبية وقلوب نقية وخلوات
عفيفة وأخلاق شريفة، لم تدنس
بالشهوات ولم تُشَنَّ بالشبهات، قد
ألفت الغرام، فلو بان عنها أسفت
عليه، وتلذذت بالسقام، فلو فقدته
جوانحها التي خبيث عليه حنت
إليه ليصير ذلك لمن تأمله خلقاً
وسجياً.

وقد بدأ كتابه بالحديث عن
المتحابين في الله تعالى، ثم تحدث
عن الاقتصاد في الحب والبغض، ثم
تحدث عن ضرب به المثل من
العشاق، ثم تحدث عن عذرة وأنهم
أرق الناس قلوباً، ثم تحدث عن

كثرت في العربية المؤلفات التي
تعنى بجمع أخبار المحبين
والعشاق وقصصهم وأشعارهم،
سواء ما كان منها مفرداً في تأليف
مستقل، أو جاء في تضاعيف كتب
الأدب والأدب واللغة وغيرها. وبعد
كتاب منازل الأحاب أحد هذه
الكتب التي عنت بحكايات شهاب
الدين محمود بن سليمان بن فهد
الحلي، ولد بحلب وقيل بدمشق
سنة أربع وأربعين وستمائة، وسمع
الحديث والفقه والأدب والنحو،
ولازم الشيخ مجد الدين بن الظهير،
وفاق أقرانه في حسن النظم والكتابة
حتى عين في قضاء الحنابلة، ثم تولى
كتابة الإنشاء في دمشق، ثم في
القاهرة في عهد الظاهر بيبرس، ثم
تولى كتابة السر في دمشق سنة
717هـ خلفاً لشرف الدين فضل
الله بن العمري حتى مات سنة
725هـ عن إحدى وثمانين سنة،
وله أشعار كثيرة، ومن كتبه: «حسن
التوسل في صناعة التوسل» «أهنا
المنايح في أسنى المدائح»، و«مقامة
العشاق» وغيرها.
يقول في مقدمة كتابه «فإني لما



إعداد مختص جديد

صباح كل سبت

أنتم على موعد مع

مجلة

الشرف

AL C14/130

إدارة التحرير والإنتاج

نقلة صحفية في عالم المجلات الأسبوعية

مقالات لأشهر الكتاب والمتخصصين

الجديد والمفيد من الموضوعات التي تهتم كل أفراد الأسرة

نافذة
على ثقافة العلماء

الصراع

من أجل السلام 1

صدر هذا الكتاب «الصراع من أجل السلام» (سبع سنوات حرجة في وزارة الدفاع الأمريكية، أو:

Fighting For Peace, Seven Critical years in the Pentagon من فترة قصيرة، وهو بقلم واحد من أشهر من تولوا وزارة الدفاع الأمريكية (البتاجون)، ونعني به مستر «كاسبر و. واينبرجر» Gasper W. Weinberger. وقد تولت نشره واحدة من كبريات دور النشر في الولايات المتحدة الأمريكية في نيويورك، وهي Warner Bookas, Inc.

في بداية توليه الرئاسة الأمريكية، ولا زالت أحداث أخرى غيرها عالقة في الأذهان.

ولا أظن القارئ العربي قد نسي الغزو الإسرائيلي المحرم للبنان، وضرب بيروت، بعد حصارها حصاراً رهيباً، تحت سمع العالم كله وبصره، ولا زالت حرب الفولكلاند - في جنوب الأرجنتين - وموقف أمريكا المؤيد لبريطانيا فيها في أذهان المجتمع الدولي.

وخلال فصول الكتاب المثيرة نقرأ عن العلاقات الأمريكية اليابانية، في مجال الدفاع، وعن الصلات بين أمريكا والصين، وكذا عن مبادرة الدفاع الاستراتيجية، وعن معاهدة القوى النووية المتوسطة، ويصل بنا واينبرجر (المؤلف) إلى جانب مثير حين يفتح ملف الرهائن الأمريكيين الذين احتجزهم الطلاب الإيرانيون في السفارة الأمريكية بتهران، ثم يصل بنا إلى خاتمة كشابه بفصل مهم عن النجاح الذي حققته السياسة الأمريكية في الخليج العربي.

الكتاب من القطع الكبير، ويقع في خمسمئة صفحة (464 صفحة بالتحديد)، وبه الكثير من المصطلحات العسكرية، والملاحق المهمة، كما أنه تعرض لكثير من أسماء المشاهير في المجالين العسكري

وأهمية هذا الكتاب من خطورة المركز الذي احتله مؤلفه لمدة سبع

سنوات، حيث عمل وزيراً للدفاع في إدارة الرئيس الأمريكي الأسبق «رونالد ريغان»، اعتباراً من كانون الثاني/يناير 1981م حتى قدم استقالته في 23 تشرين الثاني/نوفمبر 1987م. وقد شهدت هذه الفترة عدداً كبيراً من القضايا المهمة، والأحداث العسكرية. وسوف نجد - إن شاء الله - أن المؤلف قد توقف عندها بالعرض المفصل، والتحليل المتأن، وذلك بفضل ما كان تحت يديه من بيانات ومعلومات، وأسرار، بل إنه شارك - بطبيعة الحال - في صناعة القرارات التي اتخذها الرئيس الأمريكي - آنذاك - حيال هذه القضايا والأحداث، وهذا مما يميز هذا الكتاب من غيره من الكتب التي تناول مؤلفوها هذه الفترة من التاريخ الأمريكي المعاصر.

كذلك فإنه قد يكون من المناسب أن نذكر القارئ العربي بأن الرجل قد كتب هذا الكتاب وكثير من الأحداث والقضايا التي تناولها لا تزال عالقة في الأذهان، وعلى سبيل المثال لا يزال الكثيرون منا يذكرون محاولة الاغتيال التي تعرض لها «ريجان»

FIGHTING FOR PEACE

Seven Critical Years in the Pentagon

Caspar W. Weinberger



A Warner Communications Company

تأليف:

كاسبر و. واينبرجر

عرض وتقديم:

أ. د. محمد عبد العليم مرسى



والسياسي، أولئك الذين صنعوا الأحداث التي مرت بالعالم خلال تلك الفترة.

وأخيراً فإذا كان هناك ما يقال حول هذا الكتاب فهو أنه يجمع بين نظرة المؤرخ، وتحليل القائد العسكري، وأسلوب الكاتب القصاص الذي يتعامل مع الحقائق وكأنها جزء من الخيال. ولعلنا بعد هذه المقدمة السريعة نقوم معاً لنمر في سياحة فكرية ممتعة مع مؤلف «الصراع من أجل السلام»، عسى أن نفيد منه، نحن الذين نتأثر منطقتهم - دون شك - بسياسات القوى الكبرى في عالمنا.

في البداية

نجد «واينبرجر» يشير إلى إنشاء وزارة الدفاع الأمريكية عام 1947م، تلك الوزارة التي تتكون من الجيوش البرية والبحرية والجوية، والتي يرأسها جميعاً وزير الدفاع Secretary of Defence. كما نجده يبيد إعجابه بأولئك الذين كتبوا أجزاء من التاريخ بعد أن شاركوا في صناعة أحداثه، مثل «ونستون تشرشل» الذي كتب عن «أزمة العالم - World Crisis» و«دون أتشيسون» الذي أتقن كتابة (الحاضر في طور التخلُّق Present at the Creation)، وكذلك خطابات الرئيس الأمريكي الأسبق «ثيودور روزفلت» Letters of Theodore Roosevelt. إن واينبرجر يبدي إعجابه بهذه الكتابات التي شارك أصحابها في صناعة التاريخ، لأنها - في رأيه - أعظم كثيراً من كتابات المؤرخين وغيرهم، مهما كانت تلك الكتابات منمقة، ومهما كانت المصادر التي اعتمد عليها أصحابها دقيقة وموثقة. والمؤلف، بعد أن يشكر الذين عمل معهم وعاونوه... في العمل... وفي الكتابة، يبين للقارئ أثر والده، في تكوين شخصيته المحبة للتاريخ، من خلال القصص التي كان يقصها عليه في الليل، قبل النوم، هو وأخوه، وكيف كان يحلم بأن يصبح جزءاً فاعلاً من بعضها... وقد كان!!... خاصة حين دعاه الرئيس الأمريكي المنتخب «ريجان» لتسولي وزارة الدفاع الأمريكية ذات يوم من أيام تشرين الثاني/نوفمبر عام 1980م.

ومنذ نعومة أظفاره، وحتى تاريخ اختياره لوزارة الدفاع بين «كاسبر واينبرجر» للقارئ الخلفية التي جعلت منه شخصاً مهتماً بالسياسة وبأحداثها، وخاصة الانتخابات الأمريكية: انتخابات الرئاسة، وانتخابات الكونغرس، ومشاركة والده فيها، بل وكيف كان يصحبه معه في اللقاءات الحزبية، وفي أيام الإدلاء بالأصوات في تلك الانتخابات مما جعله حساساً بكل ما يكتب عن تلك الانتخابات واللقاءات، وكيف

كان ينتقد بعض تلك الكتابات بينه وبين نفسه.

وفي هذا الجزء من الكتاب يعود بنا «واينبرجر» إلى منتصف الستينيات ليحكى عن بداية تعرفه «ريجان»، في 1965م بالتحديد، حين قرر الأخير ترشيح نفسه حاكماً لولاية كاليفورنيا، حيث كان يعمل «واينبرجر» نفسه، ويقول إنه كان هناك خوف بين الجمهوريين الذين ينتمي ريجان إلى حزبهم، خاصة وقد كان الحزب الديمقراطي أكثر قوة آنذاك.

ويحكى لنا «واينبرجر» عن لقاءه الأول بريجان الذي حضر اجتماعاً صغيراً في أحد فنادق «سان فرانسيسكو»، ويقول إن «ريجان» حين دخل إلى القاعة الصغيرة بانتسامه العريضة غير الجو الذي كان سائداً فيها، وأثار إحساساً لدى الحاضرين بالانتصار في المعركة الانتخابية. ومنذ ذلك التاريخ، وحتى بعد أن عمل مع «ريجان» في إدارته يقول: «واينبرجر» بأن هذا الإحساس لم يفارقه، فما من اجتماع للوزراء، أو لقاء مع معارضين أو غير ذلك إلا ويذكر الإحساس نفسه بسبب شخصية «ريجان» الأخاذة والأسرة.

وحين نجح ريجان وعمل حاكماً لولاية كاليفورنيا، كانت لديه فلسفة معينة في عمله، فلقد كانت لديه أهداف واضحة يريد تحقيقها، وكان من أهمها خفض حجم الإنفاق في حكومة تلك الولاية، وكان يقرأ بسرعة مذهشة كل ما يوضع أمامه من تقارير، مهما كان حجمها، كما كان يعطي الأفراد حرية واسعة في العمل. كذلك فإنه كان يمتلك قدرة هائلة على تلخيص ما يريد قوله، كما أنه كان يمتلك ذاكرة رائعة، ولا يمكن لمن يعرف «ريجان» أن ينسى مهاراته في التعامل مع رجال الإعلام، ولا أن ينسى حيويته وهو يوثق صلاته بمستعميه أو بالمشاهدين عموماً، وذلك كله نابع من شعبيته الشديدة وحبه للناس، ودفع مشاعره، والطريقة الدود التي يتعامل بها مع كل من يعرفه. وما فعله «ريجان» في خفض الإنفاق لدى حكومة ولاية كاليفورنيا ونجح فيه، هو نفسه ما فعله في خفض الإنفاق العسكري بالنسبة للأمة الأمريكية كلها، من خلال مبادرة الدفاع الاستراتيجي The Strategic Defence Initiative فيما بعد، وحين كنت مسؤولاً عن الشؤون المالية في حكومة الولاية، حدثت ريجان عن بعض الفوائض المالية التي حققناها، وسألته عن أوجه الإنفاق التي يجب أن يضعها فيها، فكان جوابه المباشر «ردوها إلى أصحابها»، وكانت هذه أول مرة، في تاريخ الولاية، يعود فيها بعض المال للمواطنين.

وقرب نهاية هذه المقدمة نلمح التأثير الكبير الذي تركته كتابات «ونستون تشرشل» في شخصية «واينبرجر»، بل إننا نلمح كذلك تأثره بتاريخ تشرشل

ذاته، خاصة خلال سني الحرب العالمية الثانية، وكيف أنه كان يدرس خطبه ومقالاته وتحذيراته لشعبه، وكيف أنه كان يبين المخاطر والمصاعب أمام أمته قبل أن يزين لها قطف ثمار النصر، وكيف أن الاستعداد للحرب بالتسليح والتدريب لا يقل عن الحرب ذاتها، وكيف أن الحفاظ على السلام لا يأتي إلا من جانب الأقوياء الذين هم على استعداد للقتال في سبيل ذلك السلام، وبكلمات واينبرجر نجده يقول: «لقد صممت على تطبيق كل الدروس التي تعلمتها من الماضي، كما صممت على القتال من أجل السلام، ذلك السلام الذي يمكننا أن نكسبه، وأن نحافظ عليه، إذا ما كنا أقوياء».

فترة الانتقال

تحت هذا العنوان يحدثنا واينبرجر عن انتقال السلطة من إدارة الرئيس الأسبق «كارتر» إلى الرئيس المنتخب «ريجان»، وهو يقدم لهذا الفصل بلمحة ذكية يقول فيها إن قضايا الدفاع ليست من القضايا التي تتأثر بانتقال السلطة من رئيس لآخر، ولا أن ينتظر بعض منها حتى يفرغ الشعب الأمريكي من احتفاله بالرئيس الجديد حين يدخل البيت الأبيض.

وعلى سبيل المثال - يقول المؤلف - فلقد كان العالم يعيش مشكلاته التي لا تنتهي، وفجأة اندلعت الحرب بين إيران والعراق في خريف 1980، وكان الإيرانيون المتعصبون لا يزالون يحتجزون الرهائن من أبنائنا في سفارتنا بطهران، ويعاملونهم بأكثر الطرق وحشية وبربرية.

وكان كل ما يفعلونه ويمارسونه ضد القانون الدولي، كما أن مصالحنا في هذا الإقليم معروفة جيداً للجميع؛ لأنها غير عادية. كذلك فإن ما كان يجري في نيكاراغوا، على مقربة جداً من الأرض الأمريكية، كان جاذباً للاتحاد السوفيتي، الذي حاول أن يقتنص الفرصة، وأن يمكن لنفسه من قاعدة ثانية في البحر الكاريبي (1) هذا بينما هدّد ثوار السلفادور نظام الحكم الشيوعي هناك بينما واصلت أفغانستان قتالها اليائس (Its Seemingly struggle) ضد الغزاة الروس (2)، في الوقت الذي استمرت جنوب أفريقيا في صراعاها الداخلي، وفي مشكلاتها مع جاراتها، خاصة حينما اتضحت مساعدات الروس (والقوات الكويتية) للقوى الماركسية في أنجولا.

وفي الوقت الذي كان الرئيس المنتخب «ريجان» يعد نفسه للانتقال من «كاليفورنيا» إلى مقره الجديد في «البيت الأبيض» بواشنطن، اعتقدنا أن هناك بعض الاختبارات التي يعدها لنا الاتحاد السوفيتي (لقياس مدى قدرة ريجان على التعامل مع الأحداث وما هي اتجاهاته نحوها). وبالفعل فلقد جاء أول هذه

في صفحات ليقرأها الرئيس تأتي في مثني صفحة (200) تحت مسمى ملخص الميزانية "Budget in Brief". .. والسنة المالية للحكومة الأمريكية تبدأ في اليوم الأول من تشرين الأول/أكتوبر كل عام، وتنتهي في 30 أيلول/سبتمبر من العام التالي.

ولا زلت أذكر أننا أثناء أحد الاحتفالات العسكرية، وكنت بجوار الرئيس، أذكر أنه استدار ناحيتي قائلاً أريدك أن تتأكد أن هؤلاء الذين يخدمون في القوات المسلحة هم هنا بكامل إرادتهم، وأنهم لم يأتوا للخدمة العسكرية ضد هذه الإرادة، وليس ذلك فحسب، بل أريدهم أن يعلموا أن الرئيس ووزير الدفاع يقدرانهم، وأن الشعب الأمريكي كله من ورائهم، يقدرهم، ويعرف ما يقدمون من تضحيات، ولن يكون ذلك إلا من خلال ميزانية ضخمة تترجم هذا الكلام والإحساس إلى عمل واقعي يحفظ لهم أرواحهم عالية، ويرعى شؤونهم، ويؤمن لهم كل ما يطلبون من ذخيرة وسلاح وعتاد، ومعيشة كريمة، وقد كان.

ومما يذكر في هذا المجال أن الحكومة البريطانية كانت متعاونة معنا جداً حين اقترحنا تطوير قاعدة «ديجو غارسيا» Diego Garcia في إحدى جزر المحيط الهندي، بحيث تزداد استفادتنا العسكرية منها فيما يتعلق بشؤون الخليج، وذلك حتى تمنع الاتحاد السوفيتي، أو أي طرف آخر، من مجرد التفكير في المساس بمصلحتنا هناك.

محاولة اغتيال الرئيس

في حوالي الساعة الثانية والرابع بعد ظهر يوم 30 آذار/مارس 1981م، وقعت محاولة لاغتيال الرئيس ريجان، من جانب المدعو «جون هنكل»، حينما كان الرئيس خارجاً من فندق «هياتون» بواشنطن العاصمة، بعد أن ألقى خطاباً عقب غداء هناك. وخلال الساعات العصبية التي تلت الحادث راود بعضهم إحساس بأن ريجان قد لا ينجو من الموت، وأن كل التغييرات التي كانت متوقعة قد لا ترى النور.

وفي جلسة أعضاء الإدارة الأمريكية التي عقدت في اليوم التالي مباشرة، وأسسها نائب الرئيس «جورج بوش» طلب من كل واحد منا أن يكتب مرفئاته عن الحادث، وعن كيفية سماعه له، وماذا كنا نعمل قبل أن نصل إلى «غرفة - تقدير - الموقف Situation Room (3)» في البيت الأبيض. ولقد كان الهدف من ذلك أن يكون هناك تسجيل كامل لا يسمح بالاجتهادات، بحيث تتمكن من تصحيح ما قد يشاع

خلال هذه الفترة قد تناقص بنسبة 20٪، ونتيجة لعام الانتخابات الأمريكية واستجابة لضغط الكونجرس، فإن ميزانية الدفاع لعام 1982م قد تضمنت 5٪ زيادة عن عام 1981م. ولقد كان هناك كثيرون ممن افترضوا أنني من هواة تخفيض الميزانيات والاقطاع منها، ذلك بسبب نشاطي في هذا المجال حين كنت مديراً للشؤون المالية في حكومة كاليفورنيا، وكذلك حين أصبحت مديراً لمكتب شؤون الإدارة والميزانية Budget Director of the Office of Management and Enterprise «واشنطن»، لقد اعتقدوا أنني سوف أفعل ذلك مع كل الميزانيات من أي نوع وفي كل الأوقات، ولكن الحقيقة أنني كنت أراعي ظروف كل ميزانية وأهدافها بموضوعية تامة.

وحين نصل للدفاع، يقول «واينبرجر»، فإن مثلاً واحداً بين لنا ما كنا في حاجة إليه من قواتنا المسلحة، ذلك أن القاذفات الاستراتيجية B-52 كانت قد مضى عليها زمن بعيد من الخدمة، عشرون سنة تقريباً، وكان لا بد أن تحل محلها القاذفات الجديدة B-1، والتي كان من المقرر أن تدخل الخدمة في نهاية السبعينيات، ولكن الرئيس «كارتر» ألغى برنامجها كله في 1977م، وكان على الإدارة الأمريكية أن تعيد الأمر إلى نصابه من جديد، وأن تخرج تلك الطائرة إلى الوجود بعد ذلك بعشر سنوات.

وعكس ما كان حادثاً منذ أيام وزير الدفاع الأسبق «روبرت ماكنمارا»، حيث كانت كل السلطة مركزة في يده وفي مكتبه، فإني قد تبنت سياسة جديدة في وزارة الدفاع كان مؤداها أن المسؤولين الكبار عن الجيش والبحرية والقوات الجوية ينبغي أن تكون لهم كلمة في الميزانية وفي التخطيط لها وفي تنفيذها، وذلك لأن من يخطط لعمل ويشارك في وضع ميزانيته يكون متحمساً لتنفيذه، كما أنه يكون مسؤولاً عنه، بل إني قد تبنت سياسة مؤداها أن الضباط الكبار الذين وصلوا لمراكز عظمى في القوات المسلحة ينبغي أن تكون لهم كلمة نافذة - بجوار المشاركة في الميزانية - في اختيار الأسلحة، وفي التدريب عليها، بل وفي وضع خطوط الاستراتيجية الدفاعية لنا، وكان هدفي الواضح هو فك المركزية فيما يتعلق بتنفيذ السياسة الدفاعية من جانب، ومن جانب آخر تمكين وزير الدفاع من التفرغ لصنع القرارات الرئيسية وتحقيق أهداف الأمة، وضمان الحصول على المصادر اللازمة لذلك. (ولن يريدون معرفة شيء عن ميزانية الولايات المتحدة يمكن إخبارهم بأنها تأتي من الكونجرس الأمريكي بكل تفصيلاتها وبكل خيوطها الدقيقة، ولذلك فإنها تقع في ثلاث مجلدات من آلاف الصفحات تزيد أضعافاً ثلاثة عن دليل تليفون ما نهائن (!) في نيويورك، وكيفي أنهم حينما يريدون تلخيصها

الاختبارات في بولندا. ففي هذا البلد الذي يقع في شرق أوروبا كان الناس يضيّقون بالحكم الشيوعي، وبالسيطرة التي تمارس ضدهم من جانب حكاهم المدعومين من الاتحاد السوفيتي. ولقد بدأت بعض الأصوات والتجمعات هناك ترتفع ضد ديكتاتورية الشيوعيين، وبدأ البعض يعبر عن رأيه بشيء من الحرية، وبدأ أن الحكم هناك لا يتحمل ذلك ولا يطيقه، كما أن السوفييت لم يكونوا مستريحين لذلك على الإطلاق، ولما زاد الأمر على الحدود التي لا يحتملها الشيوعيون بدأ أن موسكو تعد العدة لغزو بولندا عن طريق تحريك فرق الجيش السوفيتي على الحدود البولندية الروسية، وذلك تماماً كما حدث في غزوهم لتشيكوسلوفاكيا عام 1968م. وكان السوفييت يعتقدون أن الفرصة سانحة لهم، ما دامت الإدارة الأمريكية مكبلّة اليدين بفعل فترة الانتقال بين إدارة وإدارة جديدة (إدارة كارتر وإدارة ريجان).

وبين المؤلف للقاء كيف أن ريجان قد دعا مجلساً استشارياً للاجتماع به في قصر بلير Blair House في واشنطن العاصمة، ولقد عرف من حضروا هذا الاجتماع، وغيره بعد ذلك لعدة سنوات على أنهم مجلس مستشاري الأمن National Security Council. وكان هذا المجلس يتكون من وزير الخارجية الجديد «ألكسندر هيج»، ومستشار الأمن الجديد «ريتشارد ألن»، و«كاسبر واينبرجر» (المؤلف)، ووزير الدفاع الجديد، و«إدميس» مساعد الرئيس، و«جيمس بيكر» والمدير الجديد للمخابرات (CIA) «وليام كيس».

وبعد أن يدخل بنا «واينبرجر» في تفصيل شخصيات أعضاء مجلس مستشاري الأمن هؤلاء، وفي تفاصيل كيفية تقديم المعلومات للرئيس، وكيف أنهم كانوا يناقشون بحرية وهدوء، عدا ألكسندر هيج، الذي كان دائماً ما ينفعل، كما كان حريصاً على أن يجذب الآخرين لوجهة نظره، أقول بعد كل هذه التفاصيل التي استغرقت قرابة العشرين صفحة يصل بنا «واينبرجر» إلى الموقف الحاسم الذي اتخذته «ريجان» من قضية استعداد السوفييت لغزو «بولندا»، وكيف أن أمريكا لن تترك هذا الأمر يمر بهدوء وسلام، وكيف أن «واينبرجر» هو الذي حمل هذا الرأي وأبلغ للسوفييت عن طريق سفيرهم في «واشنطن» «أناتوك دوبرينين»، في حفل عشاء عادي، يوم 15 آذار/مارس، حيث دار بينهما حديث حول هذا المعنى، دون أن يلحظ ذلك أحد... ويبدو أن الرسالة وصلت لمقصدها، حيث أن الروس قد فهموا أن هناك إدارة جديدة، من نوع مختلف في الولايات المتحدة.

ميزانية «ريجان» الدفاعية:

في بداية هذا الفصل يمهّد «واينبرجر» للحديث عن ميزانية الدفاع الأمريكية من خلال عودة للفترة من 1970 - 1980م فيقول بأن ما استثمر في الدفاع

الصراع

من أجل السلام

الاستعداد، وبينما كانت هناك 8 طائرات من طائرات القيادة والتحكم (وأطقمها) كذلك، مستعدون جاهزون.

ويحدثنا «واينبرجر» عن شيء من الخلاف الخفيف الذي حدث بينه وبين «هيج» (وزير الخارجية آنذاك) حول الاستعدادات التي أمر بها الأول، كذلك يحدثنا عن دهشته هو وغيره من أعضاء الإدارة الأمريكية حين فوجئوا بألكسندر هيج على شاشة التلفزيون وهو يجيب على أسئلة الصحفيين، في غرفة الصحافة بالبيت الأبيض، ولم يكن هذا من حقه (6).

ويصل بنا «واينبرجر» إلى ختام هذا الجانب حين يحدثنا عن وصول نائب الرئيس «جورج بوش» وكيف أنه دخل القاعة حيث كان أعضاء الإدارة الأمريكية، وكيف جلس بهدوء في مقعد الرئيس، وبدأ يسأل الجميع عن الأمور المهمة، وعن الموقف - بصفة عامة - داخل الولايات المتحدة وخارجها، ثم كيف أنه طلب منهم أن تسير الأمور سيراً طبيعياً لا انفعال فيه ولا ارتباك، بل وأنه طلب منهم أن يعدّ بيان كامل بالحقيقة يذاع على الشعب الأمريكي الذي ينبغي أن نكون على مستوى المسؤولية أمامه (بنص عبارته)، كذلك فإنه طلب أن تعد طائرة خاصة للذهاب إلى «شيكاغو» لإحضار أسرة «جيم برادي» "Jim Brady" الذي أصيب مع الرئيس؛ لأن الأسرة كانت تجد صعوبة في الحصول على مقعد في الطيران المدني من شيكاغو لواشنطن، وقد أمنت الطائرة التي طلبها نائب الرئيس من طيران البيت الأبيض فوراً.

أكثر من مجرد حادث فردي، فقال له إنه ليس لديه أية معلومات تتعلق بذلك، وأخبره بأن هناك غواصتين روسيتين على مقربة من الشواطئ الأمريكية (يمكن لهما أن يطلقا صواريخ نووية باتجاه أهداف في الولايات المتحدة.. وكل ذلك محسوب ومعروف هنا).

ولم يكن هذا الأمر خارجاً عن المؤلف؛ لأنه كان يحدث في الأوقات العادية، ويقول «واينبرجر» إنه لما كان لديه - شك في أن حادثة محاولة الاغتيال لم تكن أمراً فردياً فإنه طلب من الجنرال جونز رفع درجة استعداد القوات الأمريكية إلى الحالة 4، وكان معنى ذلك أن يبقى طيارو القاذفات الاستراتيجية داخل قواعدهم بحيث يصلون لطائراتهم ويقفون بها في خلال فترة لا تتجاوز 6 إلى 7 دقائق.

كذلك سأل وزير الدفاع الأمريكي (واينبرجر) عن حالة طائرة القيادة الخاصة بالطوارئ القومية - The National Emergency Air Command Post - وقيل له إنها في وضعها العادي، في قاعدة أندوز الجوية. وأن طيارها على مقربة منها، ويمكنهم الإقلاع بها في مدة لا تتجاوز دقيقتين أو حتى دقيقة واحدة، إذا فاطلب منهم ذلك. وقد اختتم «واينبرجر» سلسلة اتصالاته هذه مع الجنرال «جونز» بأن طلب منه أن يكون جميع ضباط القيادة في حالة الاستعداد، وكذا رجال وكالة المخابرات العسكرية - Defence Intelligence Agency - الذين عليهم أن ينتبهوا لنشاطات السوفييت أو غيرهم، وفي حين كانت تردده أخبار مطمئنة عن عدم وجود أية تحركات معادية وذلك بواسطة أجهزة الاستخبارات المتقدمة إلا أنه كانت هناك 249 طائرة حربية من طراز B-52 في قواعد جاهزة للإقلاع، وطياروها في أقصى حالات

عن الحادث، وبحيث يسمح كذلك بالتخطيط لكيفية معرفتنا بتاريخ 7 نيسان/أبريل، وإن كنت قد انتهت من كتابتها قبل ذلك بيومين، ولقد بين «واينبرجر» في هذه المذكرة كيف عرف بالحادث، وكيف أتى في مكتبه ووصل مسرعاً للبيت الأبيض بعد الثالثة عصراً بعدة دقائق، وكيف عرف من خلال الراديو بتفاصيل إطلاق الرصاص على الرئيس وبين أصيب معه في الحادث من مرافقيه، ومن رجال الأمن، وأن الجاني قد قبض عليه.

ويقول «واينبرجر» إن ذهنه قد استعرض - وهو في الطريق للبيت الأبيض - حوادث اغتيال الرؤساء الأمريكيين مثل الرئيس «لنكولن» والرئيس «كيندي»، كما أن ذهنه قد استرجع بسرعة بعض النظريات التي كتبت حولها والتي تبني أصحابها فكرة أن هناك مؤامرة كبرى وراء كل ذلك. وفيما نحن جلوس في غرفة تقدير الموقف هذه جاءنا خبر بأن الرئيس إصابته خطيرة، وبأنه سوف تُجرى له عملية جراحية استطلاعية.

وفي غرفة الموقف حاولت أن أتحدث في أحد الهواتف الخاصة المؤمنة في البيت الأبيض ولكن «هيم» كان يشغل أحدهما، بينما كان الآخر مشغولاً، خرجت بعيداً عن الغرفة وتحدثت مع «إدميس Ed Meesea» الذي كان في المستشفى مع الرئيس، والذي أكد لي خطورة حالة الرئيس، وقد بادرني «ميس» بقوله إنه في ظل هذه الظروف فإن سلطة إدارة البلاد وقيادتها تقع على أكتافنا أنا، وقد رددت بأن فهمي لها هو أنها تنتقل مباشرة إلى نائب الرئيس، فرد ميس قائلاً بأن نائب الرئيس «بوش» كان على متن طائرة في طريقه إلى تكساس، وقد حولت هذه الطائرة اتجاهها عائداً إلى واشنطن وقد سألت عن الطائرة وعن نوعية الاتصالات Communications 4. ثم إن وصول نائب الرئيس إلى واشنطن كان يستغرق ساعتين كاملتين. وعاد «ميس» للتحدث مرة ثانية عن سلسلة تولي السلطة في البلاد، فأكدت له أنها فعلاً تقع على أكتافنا بعد نائب الرئيس.

ويحدثنا «واينبرجر» كيف خرج من غرفة الموقف وتحدثت تليفونياً إلى «الجنرال ديفيد جونز David Jones» رئيس الأركان، وسألته عن الوضع في القوات المسلحة فطمأنه بأنه وضع عادي، وبأنه في الحالة الخامسة (Defense Condition 5) بصفة عامة، أما بعض طياري وملاحي الطائرات الاستراتيجية فكانوا في حالة الاستعداد رقم 4. ولقد سألت «واينبرجر» عن أية معلومات لديه حول أية نشاطات عسكرية للسوفييت، أو لغيرهم، يكون الهدف منها استغلال الحادث أو أية معلومات أخرى تبين أن الحادث

الهوامش

- (1) المؤلف يقصد هنا بالقاعدة الأولى.. كوبا.. طبيعة الحال التي تحولت إلى النظام الشيوعي منذ انقلاب كاسترو.
- (2) كان هذا هو تقدير القرب عامة (بحكماته وكتابه ومعاهدته الاستراتيجية) لجهاد المسلمين في أفغانستان، في بداية الجهاد، فما كان أحد منهم يتصور أن يستمر المجاهدون في قتال الجيش الروسي الرهيب طوال السنوات التي تلت بعد ذلك، حتى مرّت سمعة الروس العسكرية في التراب، وأرغموا على سحب قواتهم من هناك (يمكن الرجوع حول هذا الجانب بالتحديد لكتاب الدكتور محمد عبد العليم مرسى: أفغانستان المجاهدة أمانة في أعناق المسلمين) من إصدارات جماعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 1410هـ/1990م.
- (3) هذه الغرفة بلا نوافذ، وتوجد في

- (بدرام) Bacement البيت الأبيض، في الجناح الغربي، وتستخدم في الاجتماعات الصغيرة والمهمة، خاصة لجلسات مجلس الأمن القومي (C.N.C.).
- (4) القارئ العربي يعرف - بطبيعة الحال - أن الرئيس هو القائد الأعلى للبلاد، وأن القرارات الاستراتيجية خاصة فيما يتعلق بالخرب، تُتخذ بينه وبين القيادة العليا للقوات المسلحة بفروعها الثلاثة، وكذا بين قيادات الكونغرس. ولذا فإن طائرته - حيثما تكون - مؤمنة بخطوط اتصال سرية تسمح بتبادل المعلومات والأوامر حيثما يكون وفي أي وقت.
- (5) تعتبر حالة الاستعداد رقم 5 أبسط الحالات العادية، فبعض القوات في التدريب، والبعض في إجازات. أما الحالة الرابعة Defcon 4 فتتطلب استعداداً أعلى، حيث يكون هناك بعض ضباط

- القوات الجوية على استعداد للانطلاق بطائراتهم الاستراتيجية فيما بين 12 - 15 دقيقة. أما حالة الاستعداد القصوى أو رقم (Defcon 1) فالكل يكون فيها جاهزاً للضرب المباشر أو الرد، ولا يكون ذلك إلا في حالة التأكد من أن هجوماً سيقع، أو بأنه يكون قد وقع بالفعل على أي مكان في الولايات المتحدة، أو ضد مصالحها الاستراتيجية.
- (6) على الرغم من أن «واينبرجر» حاول - بأدب شديد - في كتابه أن يبين أنه لم يحدث بينه وبين «هيج» أية خلافات، إلا أن الجمهور الأمريكي لا يزال يذكر المآزق السياسي الذي وضع فيه هيج، حين هاجمه «دان راذر» مذيع محطة التلفاز (BS)، لأنه لم يلزم التسلسل القيادي في وطنه، وأنه حاول أن يظهر بمظهر المسؤول عن الأمور في غياب الرئيس ونائبه. المترجم.

القسم الثالث : الإجراءات الجنائية

د. تماضر حسون

كان مريضاً أرحى إنفاذ العقوبة به، وكذلك إذا كانت المرأة حاملاً. كما أنه في العقوبات النقدية، فإن تقسيط الدين ممكن إذا كان المحكوم عليه معسراً. أما العقوبات المانعة للحرية، أي عقوبة الحبس، فقد أوجد التشريع الجنائي الإسلامي نظاماً خاصاً بالسجون يعد من أهم الأنظمة لمراعاة أحوال السجين الشخصية والحفاظ على آدميته وكرامته.

فقد ورد في الرسائل الموجهة من الحكام إلى الولاة أن عليهم أن يحترموا آدمية السجين، وأن يؤمنوا له الغذاء والكساء، وأن يعينوا له أجراً معلوماً كل شهر وأن لا يقيد ولا يقهر.

وكان السجن غير معروف أصلاً في الإسلام، ولما وجد كان لاحتجاز المتهمين ريثما تتم محاكمتهم فقط. وكان يفضل إنزال العقوبات غير المانعة للحرية بدلاً من تلك التي تعزل المحكوم عليه عن مجتمعه. وهذا هو الاتجاه الحاصل حالياً باعتبار أن مساوئ السجن بدت واضحة للعاملين في حقل تنفيذ العقوبات.

وختاماً، لقد استعرضنا هنا نحة حرصنا أن تكون مبسطة وواضحة عن النظام الجنائي في الإسلام، وقد لاحظنا أن جوهر هذا النظام يمثل جوهر المبادئ الجنائية المعاصرة، وقد أكد معظم الفقهاء الغربيين الذين درسوا التشريع الإسلامي والحضارة الإسلامية تلك الحقيقة.

وواضح من المبادئ التي استعرضناها أن الغاية منها إصلاحية ووقائية، فليس الغرض هو العقاب والإيلام، بل إبعاد الفرد عن مواطن الخطورة، ومعالجة أسباب الإجرام.

لقد طبقت المملكة العربية السعودية التشريع الجنائي الإسلامي تطبيقاً كاملاً، وهي تنعم نتيجة لذلك بأمن واستقرار وانخفاض بمعدلات الجريمة لا يوجد لها مثيل في المجتمعات الأخرى، كما تيسر التشريعات الجنائية في الدول العربية في هذا الاتجاه، ولقد أوضح ذلك أن التشريع الجنائي الإسلامي قادر بدرجة كبيرة على مكافحة الجريمة، وأن يحقق للإنسانية أمناً وخيراً.

فالنظام الجنائي الإسلامي، مساند للسياسة الجنائية الوقائية التي تم عرضها في هذه الكلمة، ولاشك في أن نجاح كل نظام متوقف إلى حد بعيد على حكمة القائمين عليه والمنفذين لأحكامه ومقدرتهم، وبقدر ما تتوفر المعرفة مع الحكمة يتوفر تطبيق صحيح وقويم للنظام.

تتم العدالة الجنائية يجب أن تتبع أصولاً وصفت لضمان سلامة الملاحقة كبي الجنائية والتحقيق وضمان حقوق المتهم بحيث لا يتعدى على هذه الحقوق من جرأ تصرفات تعسفية.

وضع التشريع الإسلامي ضمانات لحسن سير العدالة الجنائية، وأولى هذه الضمانات القاضي العادل النزاهة الراجح الرأي فقهاً وعلمياً. تولى القضاء الجنائي الولاة أنفسهم، ومن ثم ولوا قضاة اختاروهم لحسن سيرتهم وعلمهم ونزاهتهم. ثم إن علانية المحاكمة وشفاهيتها هما ميزتان للعدالة الجنائية، ويحق لكل مواطن أن يحضر إلى مجلس القاضي ويتقدم بشكواه مؤيدة بالبيانات اللازمة ويعود للمدعى عليه أن يدافع عن نفسه ويقدم البينة المؤيدة له.

والجدير بالذكر أن سماع الشهود يشترط أن يقوم الإثبات على نزاهة الشاهد واستقامته، بأن يزكى من قبل أشخاص يشهدون بصدقه وحسن سيرته. وهذا يشكل مانعاً من سماع شهادة أي شاهد لما يمكن أن يترتب عليها من عواقب وخيمة إذا لم تكن صادرة عن رجل موثوق بكلامه.

كما أن الفقه مجمع على ألا يؤخذ بإقرار المدعى عليه إلا إذا كان صادراً منه بكل حرية وبعمل إرادته، فالإقرار المستخرج بالإكراه والعنف مردود ولا قيمة شرعية له. قال أحد الصحابة: «الإنسان غير أمين على نفسه إذا أوثقته أو ضربه أو جرّعته».

وهناك خلاف في الفقه حول ما إذا كان يؤخذ بالإقرار فقط في جرائم الحد أم لا. فمنهم من يرى عدم الأخذ بالإقرار فيها إلا إذا عاد فأتاه مجدداً. قال أبو يوسف: «ومن أتى فأقر عنده بالزنا فلا ينبغي له أن يقبل منه قوله حتى يرده، فإذا أثناه فأقر عنده أربع مرات، كل مرة يرده فيها ولا يقبل منه سأل عنه: هل به لم؟ هل به جنون؟ هل في عقله شيء ينكر؟ فإذا لم يكن به شيء من ذلك فقد وجب عليه الحد». وقد ذكرت الأحاديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرض عن المقر ولم يكن يقيم الحد إلا بعد الإصرار.

وبالإضافة لذلك، فإن التشريع الإسلامي سمح بإعادة النظر في دعاوي إذا تبين أن الأحكام التي صدرت فيها كانت مبنية على خطأ. فالرجوع عن الخطأ فضيلة وهو خير من الاستمرار به.

القسم الرابع تنفيذ العقوبات

اتسم تنفيذ العقوبات في الإسلام بمراعاة أحوال المحكوم عليه الصحية، فإذا

مشكلة المهور

في شبه القارة الهندية



حسن بن حسين المهنا وليس الشاب

سمعنا وقرأنا كثيراً عن مشكلة غلاء المهور في مجتمعنا، ولكنها مهما كانت مشكلة كبيرة فإنها لا تقاس بما يعانيه الناس في الهند وباكستان (وباقي دول شبه القارة الهندية)، حيث يواجهون مشكلة عويصة في عادات دفع المهور وتكاليف الزواج، لأن الذي يتكفل بكل ذلك هو والد الفتاة

حسن بن حسين المهنا وليس الشاب

الهند وباكستان، كما أن لهذه التقاليد أثراً غير مباشر في الظلم الذي تتعرض له النساء في شبه القارة الهندية، وجعل تلك المنطقة خصبة جداً لكل من يريد نشر النصرانية أو الأفكار المنحرفة عن تحرير المرأة، وهذه التقاليد الظالمة هي في الواقع ما شجع كاتبة لا تتقن شيئاً من فنون الكتابة مثل تسليمه نسرين على أن تتحدث عن حقوق المرأة وظلم الإسلام لها كما تزعم.

وهذه التقاليد الغربية في الواقع مشكلة كبيرة ومثيرة، وهي في الوقت نفسه سبب لعدد من المشكلات الاجتماعية الأخرى التي تسببت، وسوف تتسبب، في اضطراب المجتمع الباكستاني/الهندي، وتضعف من العلاقات بين أفرادها، وكما هو متوقع فإن أول مشكلة نشأت بسبب هذه العادات هو انتشار كراهية الآباء للبنات، فبعض الكثرين إذا علموا بأنهم رزقوا بمواليد إناث، لعلمهم بأن عليهم جمع المزيد من المال حتى يتمكنوا من تزويجهن، كما انتشرت هناك عادة استعلاء الرجل على المرأة استعلاء غير مقبول، ويزيد بمراحل على ما هو مشهود أحياناً في مجتمعاتنا، بل لا نبالغ إن قلنا

إن أهل الشاب هناك يخطبون لابنهم فتيات من أغنى الأسر ويفتتون في كثرة المطالب المادية، ويزيدون في هذا على ما هو مألوف في مجتمعاتنا إلى حد بعيد، ففي مجتمعاتنا قد يدفع الطمع أهل الفتاة إلى زيادة الطلبات وإرهاق كاهل الخاطب، ولكن الأمر ينتهي بعد الزواج، أو لنقل بأن السلطة عندئذ والقرار يكون في يد الزوج، وتصبح سلطة أهل الفتاة بعد ذلك محدودة، أما في الهند وباكستان فإن المرأة لا تنتهي، فلا تكاد تمر مناسبة (بعد سنوات من الزواج) حتى يطالب أهل الشاب زوجة ابنهم بأن تحضر من أيها شيئاً آخر ذا قيمة، ويستمر ذلك حتى بعد إنجاب الأطفال، فإن لم تفعل ذلك فإن سيف الطلاق يظل معلقاً فوق رقبتها، وأقل ما في الأمر أن أهل زوجها يظلون يُعبرونها بأن زوجة ابنهم الآخر أحضرت كذا وكذا، وغيرت مثلاً أثاث المنزل، أو اشترت مجوهرات ذهبية لحمايتها أو قطعة أرض لحميمها إذا كان أهل الزوجة قادرين على ذلك.

وهذه التقاليد أو العادات هي مما يفسر لنا القصص التي نقرأ عنها من انتحار الفتيات في

بأن كثيرين من الرجال هناك يقومون بإذلال نسائهم، وإذا كان لدينا هنا ما يعزينا بأن الرجل مسيطر لأنه على الأقل متكفل بالأمور المادية، فحتى هذا العزاء ليس متوفراً للسيدات هناك. ولكن يحق لنا أن نتساءل: من أين جاءت هذه العادة الغربية؟ بعضهم يقولون بأنها جاءت من الإسلام، ولكن المنصفين والمتفتحين يعلمون يقيناً أنها جاءت من عادات الهندوس، وهناك دليل مزدوج على هذا، فالشق الأول من الدليل أن الدول الإسلامية الأخرى لا تعاني من هذه المشكلة، بل إن هذه العادات نفسها غير موجودة حتى لدى القبائل التي تعيش في مناطق جبلية في شمال غرب باكستان، وهي مناطق معزولة جغرافياً وثقافياً عن باقي شبه الجزيرة الهندية، والشق الثاني من الدليل أن هذه العادات متأصلة في المجتمع الهندوسي لدرجة كبيرة، بل إن الهندوس حين يدفعون المال لشاب فإنهم لا يترددون في القول بأنهم "يشتررون" الشاب لابنتهم، وهم يتفخرون بأنهم "يشتررون" لابنتهم شاباً ذا شهادات علمية عالية أو تجارة واسعة أو غير ذلك من المؤهلات.

ومن ناحية أخرى فإن هذه العادات والتقاليد تتفق تماماً مع طبيعة المجتمع الهندوسي الذي يتمسك كثيراً بالطبقية والعنصرية، وكثيراً ما حفلت المجلات والجرائد بأخبار هذه الطبقة المفرطة التي تكاد تزعزع البناء المؤسسي القائم هناك، ومن أحدث الأمثلة على ذلك ما نشرته جريدة الشرق الأوسط بتاريخ السادس من شهر صفر الماضي الموافق 1995/7/4م، بعنوان (التحيز الطبقي يهدد اقتصاد الهند)، إذ انتقد وزير الشؤون الاجتماعية الهندي الممارسات الشائعة في بلاده وقال: إن بناءنا الاجتماعي يعوق النمو الاقتصادي.

وكان الوزير المذكور ينتقد بشكل خاص تركيز مؤسسات القطاع الخاص على توظيف الهندوس من الطبقات الهندوسية العالية (من البراهمة) وعدم توظيف المسلمين والنبوذيين (وهي الطبقة الهندوسية السفلى في تصنيفهم) مع أن لديهم شهادات ومؤهلات لا تقل عن غيرهم.

وهناك ملاحظات كثيرة جداً على تغلغل الطبقة في المجتمع الهندوسي، فكثير من الناس

يُلقَّبون بأعمالهم أو مراكزهم، ويتوارثون هذا اللقب، مثل: شودري، ومعناه مالك الأرض، أو غير ذلك. وإن كان بعض الألقاب مما يدل على المراكز الرفيعة، فإن ألقاباً غيرها تدل على غير ذلك؛ ومع أن الألقاب المشابهة كثيرة في كل أمم الأرض (في بلادنا العربية نسمع مثلاً بأسرة حداد أو الحداد أو القطان وما شابه ذلك)، ولكن المشكلة في شبه القارة الهندية أن حامل اللقب لا يعامل معاملة لائقة إلا بناء على لقبه والمركز الذي يدل عليه، وهذا ما أدى إلى قيام الكثيرين من تلك البلاد بإخفاء أسمائهم الأخيرة والاكتفاء بالاسم الشخصي المركَّب. ونحن هنا نرى أسماء الإخوة الهنود والباكستانيين المركبة مثل سيف الإسلام، مظهر الحق، إعجاز الحق، أسد الإسلام، وغير ذلك، وهذا شائع بينهم، مع أنه يُستثنى منهم الناس المشهورون مثل العلماء وأهل السياسة ونحوهم من المعروفين وذوي المنزلة، فهم يحتفظون بأسماء أسرهم.

ونعود إلى مشكلة المهور، بعد أن تحسَّسنا الظروف الاجتماعية المحيطة بها، ولكننا نجد موقف العلماء المسلمين هناك من هذه العادات غريباً وغير مفهوم، إذ إنهم يدعون المجتمع إلى تخفيض مصاريف الزواج، ولكنهم يكتفون بهذا، وهذه الدعوة وإن كانت أمراً جيداً بلا شك إلا أنها تغفل الجانب الأهم من المشكلة، وهو أن هذه المصاريف - سواء كانت بضعة روبيات أو عدة ملايين - فإن الزوج هو المسؤول عنها وهو من يجب أن يتحملها وليس والد الفتاة.

ولدى سؤال بعض الزملاء الهنود والباكستانيين عن موقف العلماء هناك وحيثياته قالوا بأن العلماء يستبدلون بزواج علي وفاطمة الزهراء رضي الله عنهما، ويرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (والد العروس) أعطى بعض الصحابيَّات مبلغاً من المال وطلب منهن شراء جهاز العرس والأثاث. ومن العجيب أن كل الباكستانيين والهنود الذين تمت مناقشتهم يجمعون على هذا، ويظنون أن المبلغ هو أساساً من الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يعرف واحد منهم أن ذلك المبلغ كان ثمن درع الإمام علي (الزوج) رضي الله عنه.

ولا شك أن حالنا أفضل من حالهم والحمد لله، ولذلك فإن بعضهم اقتبس من عاداتنا بعضها وراح ينادي بتطبيقها، ومن ذلك أن أستاذاً جامعياً باكستانياً عمل في السعودية عدة سنوات تحمس كثيراً لفكرة الزواج الجماعي، وقبل أن يعود إلى بلاده وعد ببذل جهده في نشر الفكرة لتخفيف تكاليف الزواج هناك، ولما سئل عن تحويل تلك التكاليف إلى كاهل الزوج بدلاً من والد الزوجة قال بأن تلك العادات متأصلة ومتغلغلة جداً في النفوس ويصعب اقتلاعها.

نحن هنا لا نقول بأن مجتمعنا يخلو من المشكلات المتعلقة بالزواج والمهور، ولكننا، لكي نعرف الفرق بين مشكلتنا ومشكلتهم، يجب أن ندرك الفروق التالية التي تجعل من عاداتهم مشكلة أكثر تعقيداً من مشكلتنا، إن الفتى والفتاة يبدآن الدراسة في سن واحدة، ويتخرجان من الجامعة - مثلاً - في السن نفسه غالباً، ويبدآن الحياة العملية في السن نفسه أيضاً، ولكن الفرق المهم جداً هو في سن الزواج، فبينما الشاب لا يتزوج حتى ينهي دراسته الجامعية (أو متى قرر أن يدخل الحياة العملية) فإن الفتاة تتم خطبتها غالباً في أثناء سني الدراسة، وليس لها أو لوالديها حرية اختيار الوقت المناسب للزواج.

وهنا مربط الفرس، فوالد الفتاة الهندية والباكستانية إما أن يكون بخير من الناحية المادية ويتم الزواج على حسابه، أو أن يقع عندئذ بين فكي كماشة، إذ عليه أن يظل جاهزاً بأمواله المدخرة في أي وقت ليتلقى بها العريس المنتظر الذي قد يطرق الباب في أية لحظة، وقد يغامر الوالد بأمواله في مشاريع أخرى (كبناء منزل مثلاً) وعندئذ قد يتورط مادياً بديون أكبر كثيراً من طاقته إن هو قرر المضي في مشروع الزواج، وقد يقرر أن يشرح وضعه للعريس ويخسره، وهو لا يريد طبعاً أن يخسره لأنه قد لا يأتي بديل عنه، ومن ناحية أخرى لا تستطيع الفتاة أن تنتظر حتى تتخرج وتجمع المال لمساعدة والدها لأنها حينئذ سوف تعدّ في سن العوانس.

والأمر عندنا يختلف طبعاً، فالشاب يدخر من المال حتى يصبح قادراً على الزواج، أي إن الأمر في يده وتحت تصرفه وفي نطاق تخطيطه،

ومتى ما امتلك المال الكافي تقدم للزواج، وإذا رفضته أسرة أو طلبت منه أكثر مما يطيق، فقد يتقدم إلى أسرة أخرى.

وحتى بالنسبة لتخفيض تكاليف الزواج المرتفعة وهي المشكلة المشتركة بيننا وبينهم، فإن الأمر لدينا أسير مما هو عندهم، ففي مجتمعنا قد يساعد الأب ابنه على تحمل تكاليف الزواج أحياناً، ولكن الابن نفسه يكون حينذاك معتمداً على نفسه مادياً بما يكفل أن الأب لن يتحمل وحده تكاليف الزواج كلها (كما هو الحال عند زواج البنت لديهم)، ومن جهة أخرى يمكن للأب أن يزوج اثنين أو أكثر من أولاده في حفل واحد لتخفيض المصاريف، ولكن لا يمكن في الهند وباكستان أن يفعل والد الفتاة هذا، فلا يمكن أن تخطب فتاة فيقول والدها للعريس: انتظر حتى تخطب الأخرى فنزوج الفتاتين معاً تخفيضاً للمصاريف، ولو قال ذلك فلن يرى العريس مرة أخرى، بل قد تفقد الأخت الصغرى أيضاً أية فرصة للزواج.

إن هذه المشكلة تبين بوضوح أن في العالم الإسلامي كثيراً من الشوائب المتمثلة في بعض العادات والتقاليد، ولو أن الناس اكتشفوا بما يطلب منهم الإسلام لكان أسير عليهم وأهون، ولكنهم يكونون أنفسهم بقيود اجتماعية ثم يشتكون ويتحسرون على أنفسهم.

إن هذه العادات محسوبة على الإسلام، لأن العلماء هناك لم يتحركوا أو يبينوا للناس براءة الإسلام منها، بل العجيب أن نرى منهم من يؤيدها، ولا نعجب بعد ذلك إذا قام أناس يدَّعون أنهم غيورون على حقوق المرأة، وتهجموا على الإسلام نفسه.

ومن المهم أن يلتفت العلماء والواعون والمثقفون إلى هذه الشجرة الخطرة؛ لأن هناك اتهامات محددة ومسددة إلى الإسلام في شأن هذه القضية، مع أن الإسلام نفسه لم يأمر بهذا، وفي رأي كاتب هذه السطور أنه يجب تحري هذه المشكلات وتوعية الناس إلى الخطأ فيها، وهذا أولى من الانتظار وعدم التدخل، ثم نتحدث بعد ذلك عن مؤامرة نشر النصرانية والانحلال والإلحاد في تلك البلدان، أو أن نقف بعد ذلك في خاتمة المعارضين لمن يطالبون بحقوق المرأة بينما الإسلام هو أكثر نظام حافظ على حقوقها.

أهمية التجديد الفكري الحضاري العربي

مصطفى بلمشري

عن أزمة الفكر العربي وأزمة البناء الحضاري يكتب

الحديث

حديث محفوف بالخطار والمزالق. لأنه الحديث المجسّد للتأزم الفكري والثقافي وأهمية التجديد في الفكر والعقل، دون الحديث بشيء كبير أو قليل عن السياسة العربية المحيطة بذلك الفكر، فهذه الأزمة ضاربة في عمق المجتمع وفي داخل تلافيف وعيه، وفي صلب هذا الشعب الذي أصبح عاجزاً عن النهوض الحضاري بسبب الجمود الفكري والتخلف الثقافي.

ولا مبالغة في القول، إن الإنسان العربي يعاني أزمة فكرية حقيقية أوصلته إلى الآفاق المسدودة التي أوصلته إليها الحضارة الحديثة في أكثر من مجال وعلى غير صعيد. فالأمة العربية تشعر يوماً بعد يوم بأنها ليست سيّدة مصيرها ولا مالكة زمامها، بالرغم من امتلاكها تقنيات العلم الحديث، واستهلاكها للتقانة المستوردة، لأنها من إبداع غيرها ومن ابتكار الفكر الغربي. ولا شك أن هذه هي الأزمة الحضارية التي يتنفسها المجتمع العربي في كل جانب من جوانب حياته؛ فنحن نستخدم أدوات الحضارة المعاصرة، ونصطنع آلات التقدم، ولكننا لا نعرف بعد روح الحضارة الحديثة، ولا نعرف كيف نستفيد من أهم إنجازاتها وهي منهجيتها العلمية، وإن العائق الحقيقي لتقدم الأمة العربية هو عائق إنساني وخلقي وفكري أكثر مما هو عائق مالي، فإهمال تكوين عقل الإنسان وتنمية القدرات الإبداعية عنده وضالة التربية العلمية التي يتلقاها هي سبب مباشر لتأخرنا، مما جعل الإنسان العربي عاجزاً عن اكتشاف الطرائق العلمية للإنتاج، ويهدد بكبح الانطلاقة الحضارية المنشودة في الوطن العربي.

وعلى هذا الأساس، فإن أزمتنا الفكرية جعلتنا متفرجين لا مشاركين في عملية البناء الحضاري.

إن الذين اقتبسوا رؤانا ومعارفنا، وعلومنا، أصبحوا هم الذين يضعون هذه الرؤى والمعارف والعلوم موضع التطبيق، وأصبح لهم في كل لحظة اكتشاف علمي جديد، واختراع تقني حديث. ولكن تبقى مشكلة التخلف الحضاري في الوطن العربي ذاتية تتصل بجميع وجوه حياة المجتمع، ما دنا ننظر للتخلف والتقدم نظرة إنسانية شاملة تسع جميع أبعاد حياة الإنسان الروحية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهي إذاً المشكلة العربية الأولى، وجميع المشكلات الأخرى متصلة بها علة أو نتيجة.

إن أسباب التخلف يمكن إجمالها فيما يلي؛ الافتقار إلى الأموال، الأمية، الجمود الفكري، قلة الكفاءات العلمية، ندرة المدرسين، البطء في اقتباس المعارف والتقانة (التكنولوجيا). ولا ريب أن هذه الأسباب التي ذكرناها، تستدعي التأمل الصارم، ولكنها لا تستوجب اليأس، ويحسن بنا أن لا يصرفنا ضجيج المشكلات الدولية العارضة عن عمق هذه المشكلة وشمولها، وأول ما يتوجب علينا، لتخلص مما نحن فيه من تخلف، هو أن نحس إحساساً صادقاً بطبيعة تحول التاريخ الإنساني، وما يسوده من ريادة واكتشاف وأفكار جديدة.

ويعني هذا أن تحقيق التقدم في الوطن العربي رهن قبل كل شيء بانتقال المعارف الجديدة والأفكار النيرة البناءة التي يقوم عليها التقدم؛ ولذلك تتطلب هذه العملية جواً سياسياً دولياً إيجابياً، بقدر ما تقتضي جواً سياسياً ملائماً داخل الوطن العربي؛ لأن الاستقلال السياسي من دون كفاية ذاتية اقتصادية يظهر أشكالاً جديدة من الاستعمار

الثقافي، وقد تتصل قضية التحرر الثقافي والحضاري بقضية الصراع المذهبي (الأيديولوجي) بين الغرب والعرب، وتقدمنا الحقيقي رهن بتحررنا من التخلف الفكري لترتقي في معارج الحضارة الإنسانية. ونحن على يقين أنه، ما دام لنا أصل العلوم وتلك تراثاً فكرياً ثرياً وغنياً، لا بد لنا أن نبلغ آفاق المعرفة المتسامية في الفضاء، وكما صنعنا الحضارة بالأمس، فسنعود لصنعها في الغد.

ولا مندوحة من الاعتراف، بأن التلازم العضوي بين التقدم العلمي والتقدم الإنتاجي يجعل انتشار الثقافة العلمية انتشاراً شعبياً شرطاً أساسياً لاطتراد الإنتاج والإنتاجية، فإن المستقبل الإنساني هو مستقبل المواطن الباحث العلمي. ويدعو لنا جديراً بالذكر في هذا الصدد، أن البناء الحضاري يتطلب تجديداً فكرياً متعدد الجوانب، وذلك بالتفتح على العالم والنهل من ثقافته، والبحث في مناهج أو خطط (استراتيجية) التجديد الثقافي العربي. يجب أن يتعدى عتبة التفكير في إعادة إنتاجنا الفكري بشكل مستقل ومتكامل مع ما يجري في محيطنا التاريخي وفي العالم ضمن دائرة الإنجاز الثقافي المبدع لتحقيق الاستقلال الفكري.

وفي ضوء هذه الاعتبارات، يجب على الحوار العربي الأوروبي أن يجد طريقه إلى الحياة الفكرية والثقافية فتتحرك أبعاده حول تبادل الفكر ونقل (التكنولوجيا) والتفاهم الذي هو أحد الأبواب التي يمكن أن يلبح منها المنطق العربي إلى الدول المتقدمة، وأن يكتسب مواقع جديدة في الغرب، فهذه فرصة لاحتكاك الأوروبي العربي المباشر لتوسيع النشاط العلمي والعطاء الفكري، وفتح قنوات للاتصال مع القوى المتقدمة. وغني عن الذكر، أن تحقيق هذا المطلب رهن بالجهود الإعلامية والدبلوماسية والسلوك العربي على الساحة الأوروبية في مواجهة الحصار الحضاري؛ وكلما كان تلاحمنا أقوى، وروابطنا بالماضي أمتن، ازدادت فعالية الحوار الثقافي، وتماسكها. وكلما اشتدت أواصر الروابط الثقافية، كان البناء الحضاري راقياً.

إن الجدلية التاريخية تقوم على حل إشكالية العلاقة بين العرب والغرب، في سبيل تحديد هذه العلاقة على نحو جدلي علمي وحضاري. وهذا الأمر يقتضي، لكي يتضح بأبعاده الحقيقية، التصدي لمواقف زائفة من تلك العلاقة كالتبعية الحضارية أو الغزو الفكري أو الهيمنة الثقافية.

ولهذا، لا ينبغي أن نجدد فكرنا العربي بشكل معزول عن غيره وخارج المقاربة التاريخية والحضارية للظاهرة التحديثية. فتجديد فكرنا العربي وتحديث العقل العربي لا زمان للخروج بالتنمية من مفهومها الاقتصادي الضيق لتضعها في سياقها الحضاري الصحيح، سياق التقدم الثقافي والتطور العلمي، فرى هذا التحديث طوراً من أطوار تفتح الشخصية، وتملكها لعناصر التطور بفضل ما توفره لها المنظومة المعرفية والعلمية من أدوات الفهم والتحرر والتقدم، وللتواصل مع الحضارة الإنسانية تواصل حراً وإبداعاً. وخلاصة القول، إن الواجب هو إنقاذ الفكر العربي من أحادية الرؤية، ومن الجمود الذي يؤخر النهضة الحضارية العربية، وقد حان الوقت لوضع الفكر العربي أمام مسؤوليته ضمن سياق التجديد تمهيداً لصياغة أفكار جديدة تعددية؛ وهذه مسؤولية مضاعفة ومزدوجة تقع على عاتق المفكرين والمثقفين والنخب السياسية. كما تتطلب حضوراً جماهيرياً واسعاً لإقحامها في البناء الحضاري المنشود.

روباو على ليون عشر قور العرب



محمود قاسم

المثقفين الإسبان الذين ناهضوا الجنرال فرانكو، بعد أن تفتحت عيناه على وقائع الحرب الأهلية في إسبانيا، فهرب إلى فرنسا حيث يعيش بها حتى الآن، وقد أقام بعض الوقت في المغرب، والولايات المتحدة. درس القانون قبل مغادرته إسبانيا. ونشر كتابه الأول في عام 1954م: «عندما ظهر كتابي الأول في إسبانيا، واجهت صعاباً مع الرقيب، وأدركت أن عليّ البقاء في برشلونة تحت أمر الرقيب. فتوقفت تماماً عن الكتابة، وكان كل ما عليّ أن أبذله من مجهود هو أن أحكّ يدي أثناء المساء، وأن أستمع إلى الإذاعات، وأقرأ المجلات، من دون أن أتكلم».

في بلادنا.. شجرة للأدب

وقد دفع هذا بالكاتب أن يرحل عن إسبانيا عام 1957م، حيث نشر كتابه التالي في المنفى. وكان سبباً في أن يصدر عليه الرقيب الإسباني الحكم بالسجن غيابياً. فاختر الكاتب لذة عذاب المنفى حتى انتهى حكم فرانكو، وتمكن من العودة إلى إسبانيا. وعلى ذلك لم يترك مقر إقامته في باريس. ويقول الكاتب إنه مرتبط بعدة أماكن في العالم، يجد فيها جميعاً نفسه، وهذه الأماكن موجودة في أربع مدن هي: باريس وبرشلونة ومراكش والقاهرة.

ويقول الكاتب إنه عندما عبر الحدود الإسبانية إلى عالم آخر، لم يكن يبحث عن المعرفة في حضارات أخرى وثقافات تختلف، بل عن مجتمعات تسود فيها المساواة، ويحس فيها الكاتب أنه قادر على الإبداع بحرية أكبر. وفي فرنسا وجد ضالته، فنشرت كتبه مترجمة إلى اللغة الفرنسية، فهو لم يكتب إلا بلغة بلاده. ومن كتبه: «اللعاب يدوية» و«صراع في

جويتسولو: من المهم أن يسكن الكاتب في مدينة عربية.

أليس من حق مثل هؤلاء الكتاب أن نعرفهم ونقرأ لهم؟

إنهم في المقام الأول أدباء متميزون، ينظرون إلى العرب باحترام ووقار، ويكتبون عنهم، ويعيشون مدة طويلة في مدنهم، بل إن بعضهم حين توافيه المنية يطلب في وصيته أن يُدفن في أراضيهم.

وهم في المقام الأول مبدعون، وهم لا يعملون بالاستشراق، أي إنهم ليسوا موظفين لدى حكوماتهم من أجل تعرف العرب، وأديانهم، وحضاراتهم، والكتابة عنهم، بل إنهم يحكم ثقافتهم العامة، ارتبطوا بالشرق ووقفوا عند حضارته.

شرف لمدينة «المرية» الأندلسية في عام 1985م. ونجى أهمية التعرف عليه من أن بعض النقاد يعدونه أهم الأدباء الذين يكتبون باللغة الإسبانية منذ سرفانتس مؤلف «دون كيشوت». بل عدّه بعضهم الآخر «شكسبير» الأدب الإسباني.

وجويتسولو المولود في مدينة برشلونة الإسبانية في الخامس من كانون الثاني/يناير عام 1931م، من أسرة عربية أجبرتها محاكم التفتيش على اعتناق المسيحية كما قال في كتابه الشهير «حفل صيد»، وهو يعد أحد

من أشهر هذه الأسماء الكاتب المسرحي المعروف جان جينيه، الذي دفن بالمغرب عقب وفاته عام 1986م بناء على وصيته، وأيضاً الروائي الإسباني المعروف خوان جويتسولو.

ونجى أهمية الكتابة عن جويتسولو من أنه روائي متميز، بالإضافة إلى ولعه الشديد بالثقافة العربية، فقد درس حضارات الشرق والإسلام، وأعد لها مجموعة من الدراسات ترجم بعضها إلى اللغة العربية. وبدا مبهوراً بالحضارة الأندلسية لدرجة أنه تم انتخابه ابن

الفردوس» و«أعياد»، و«يوميات جزيرة» وهي كلها منشورة قبل عام 1961م. ثم «من أجل الحياة هنا» و«رقصات الصيف» و«الفرصة» و«دون خوليان» وهي منشورة قبل عام 1971م. أما أعماله التي نشرها بعد ذلك، فهناك «خوان بلا أرض» و«مقبرة» و«حفل صيد» ومن كتاباته الأخيرة «شجرة الأدب» و«مصر بعد المعركة» و«الملكة المزعومة».

وقد حصل خوان جويتسولو على العديد من الجوائز الأدبية عن رواياته، ولعل أشهرها جائزة فيينا التي تمنح في فرنسا للأدب المترجمة بالإضافة إلى الأدب المكتوب بالفرنسية، وهي جائزة تحصل عليها الرواية التي تناصر قضايا المرأة، أو تقف إلى جوارها في مواقفها من أجل تطوير المجتمع، كما فاز جويتسولو عام 1985م بجائزة الأدب الأوروبي.

كتابات ما قبل المنفى

استفاد خوان جويتسولو من تجربة المنفى استفادة كبيرة، إذ وجد نفسه أمام ماضيه الذي عليه أن يبحث عنه، ويدافع عن هويته. وقد ساقته هذه الاكتشافات إلى الدفاع عن القضايا العربية الإسلامية، خاصة الثقافية منها، فبعد أن وقف ضد الحكومة الفرنسية إبان حرب التحرير الجزائرية، وجد أن عليه أن يخفي مع زوجته الفرنسية بعض المناضلين الجزائريين في منزلها.

وإذا كان العديد من الكتاب المنفيين قد حاولوا مغازلة البلاد التي اتجهوا إليها فراحوا يكتبون بلغتها، فإن جويتسولو لم يكتب سوى بلغته الإسبانية، مؤمناً أنه لا يمكن للكاتب أن يختار لغته، بل إن اللغة هي التي تختار «المعركة التي في داخلي هي مع لغتي التي تعلمت كتابتها، وأكتب بها منذ طفولتي، وبمفرداتها أحب الأشياء أو أكرهها. اللغة تسبب لي المتعة، وأحس أنها تعتصمني، وتعيدني إليها كائني قفاز في يدها».

إن ما كتبه جويتسولو يمكنه أن ينقسم إلى مرحلتين بارزتين، (الأولى) كتابات تنتمي إلى الواقعية، وهي مرحلة ما قبل المنفى، والتي كان يعكف فيها على وصف الواقع الإسباني البائس في تلك السنوات، وما يعانيه من مشكلات ومتاعب. وكيف كان يعيش في ظروف قاسية إبان حكم فرانكو. أما (المرحلة الثانية) من أدب جويتسولو فقد ابتعد فيها الكاتب عن الواقعية لكنه لم ينزع جذوره تماماً منها، بل ظل يرتوي من هذه الواقعية بالشكل الذي تراه له.

ويمكن تعرف جويتسولو من خلال كتابه «خوان بلا أرض» الذي يعد أبرز أعماله على الإطلاق، إذ تنتمي هذه الرواية إلى الحالات الجوانية التي اختارها

الكاتب للتعبير عن ذاته في أدب بالغ الخصوصية، فإذا كان الكاتب قد تناول جزءاً من حياته في روايته «صراع مع الفردوس» من خلال مشاهد من طفولة لحرب ضارية تتكلم فيها الرصاصات بين أبناء الوطن الواحد نفسه فيما يسمى بالحرب الأهلية، فإن الكاتب هنا يستكمل سيرته من خلال مرحلة أخرى، فقد حكم على هذا الخوان الذي غدا بلا أرض بالمنفى داخل الخلود، كأنه أوليس الذي عليه أن يعود إلى داره بعد سنوات الغربة. إنه هناك بلا أرض. «المنفى يصنع منك كائناً مختلفاً، ليس فيه شيء محدد يعرفه الناس عنك، فليست قوانينهم هي قوانينك، وليست تعبيرا لهم مفهومه لديك، ولا أحد يمكنه الاقتراب منك».

مابقي.. هناك ثلاثة أشخاص يدعون

ويقول الكاتب إنه ارتدى قناعاً مختلفاً حين ذهب إلى المغرب كي يحس أنه غير بعيد عن وطنه «للآلام الأشد وجعاً، وارتجافات الجسم الأبوي، والظلم والشيخوخة والقذارة يمكن أن تصيبك فتحس كأنك في دوامة. تنساب منك إفرازاتك دون إرادة، وعليك أن ترتضي بوحدة في كبرياء» وقد رأى الكاتب الآخرين يأتون إلى الأماكن التي يعيش فيها كسائحين سعداء يتبادلون الضحكات، أما هو فكان يحس بأن كل هذه المدن الواسعة الجميلة ليست سوى إطار ضيق من الصعب الخروج منه «ليست مصادفة أن الكتاب الذين أعجبت بهم ماتوا في المنفى، أو ظلوا منفيين في بلادهم. سيظل الأدب أدباً في أي بلد مابقي هناك ثلاثة أشخاص يدعون».

ولم تكن رحلة خوان جويتسولو فقط إلى الأماكن، بل أيضاً إلى ثقافات متعددة. وهكذا يأتي المنفى بالفضائل مثلما يجلب الألم والحزن: «والصحراء تدعوك إليها، واسعة وممتدة بلا حدود، وكأنها رغباتك التي تغوص في جغرافيتها الكثيفة، وتحسس صدرها برأسك النحاسي، ولعل أهم الثقافات التي تأثر بها جويتسولو هي الثقافة الإسلامية «جذبنا أمومة لإسلامنا ووجدنا فيها الملجأ».

وحول هذه التجربة تحدث إلى حسن الشامي في جريدة الحياة - أول آب/اغسطس 1989م - «أعتقد أن رحلاتي داخل العالم العربي والثقافة الإسلامية، تم عن حاجة تكاملية، وهي شبيهة بحاجة غالبية الكتاب والمثقفين العرب الذين جاؤوا واستقروا في الغرب....» ويكمل قائلاً: «أعتقد بوجود فارق أساسي بين الكاتب الإسباني والكاتب الفرنسي فيما يتعلق بالإسلام، لدى الإسباني شعوره المزدوج تجاه الإسلام، الذي يمثل له في آن واحد إطاراً حميمياً ونائباً، لقد بذلت جهدي،

ووضعت نفسي طوعاً في وضعية التناقض الخصب التي يعيشها بداهة الكتاب المستقبلون من العرب والأتراك والباكستانيون الذين ولدوا وترعرعوا في فرنسا أو إنجلترا أو ألمانيا».

أنواع المستشرقين الثلاثة

وحول هذه التجربة قدم الكاتب روايته «مقبرة» كتب حروفها العربية MAKBARA باللاتينية دون ترجمة - عام 1981م حول رجل شرقي وامرأة غربية مشكلتهما عدم التوافق مع المجتمع. ويقول الكاتب إن الوجه الحقيقي للعرب لم يعرفه العالم بعد، فهم يقرؤون بالعربي صورة النخيل المزروع في الصحراء والكسكسي المنتشر في المطاعم وعند أطراف الأزقة، ولكن (الديكور) الحقيقي يختلف. فالقصر العربي الذي يضيء الأماكن الواسعة هو أكثر ما يميز هذا العالم الرحب. وقد احتك بطل الرواية بالسائحين وعرف رغباتهم وأفكارهم، لكنهم لم يعرفوه، إنه يبحث دوماً عن مجتمع يفهمه جيداً. وينتهي به الأمر وحبيته إلى الرحيل نحو الريف كي يقلل من إحساسه بالتيه. ويقول سفيريو صارودي في مجلة «لونغويل أو بسرفاتوار - 8 أيار/مايو 1982م - «إنه رجل من طراز أوليس، يقوم بعمل غريب فوق نص أصبحت الكلمة فيه حلقة مكتملة، تحوط بها نقاط عديدة، في رياح تهب بلا نهاية».

وقد حمل الكاتب على المستشرقين الاستعماريين في كتابه «في الاستشراق الإسباني» وهو واحد من كتب عديدة ترجمها كاظم جهاد إلى اللغة العربية للكاتب، ومنها أيضاً «على وتيرة النوارس» وكتاب الاستشراق عنوانه الأصلي «مدونات عربية»، يرى فيه الكاتب أن هناك ثلاث فئات من المستشرقين الإسبان: النوع الأول يكره العرب، ويمكن عدّه موظفاً للاستعمار الأوروبي، أما النوع الثاني فيعترف بعظمة اللغة العربية، غير أنه يراها لغة ليست وراثة شعوب أو قضايا. أو بمعنى آخر فهي لغة ميتة. أما الفريق الثالث - ويعد نفسه منهم - فهو يهتم بالقضايا العربية وحقوق الشعوب المضطهدة.

ويقول كاظم جهاد - راجع مجلة اليوم السابع 27 نيسان/أبريل 1987م - «يشكل تعاطف خوان جويتسولو مع الثقافة العربية الإسلامية، واختيار السكنى في مدينة عربية (مراكش) اختياراً أساسياً في حياته وعمله، وليس مجرد لقاء أملتته المصادفة لدراسة هذا الاختيار، ونتائجه في العمل.. كتاب يقطع من أساليب الكتابة السائدة، وشبكات المعنى المهيمنة، وأكثر، على أن جويتسولو في انحيازه للإنسان العربي،



جدلية الفكر

سعد البواردي

لنمط حياته، وتصوره للحياة، لا يصدر عن أية (أيدولوجية)، ولا يلتزم جانب مذهبية سياسية أو سواها، إن الأمر يتعلق بالنسبة له باختيار، هو في الوقت نفسه وجودي وجمالي، بحث عن الثمار الخصبة لـ «الغيرية».

من المهم حماية الإسلام من الحداثة

وكتاب «الاستشراق الإسباني» مجموعة من المحاضرات التي ألقاها الكاتب في مناسبات متعددة، يحاول فيها كشف الجوانب السيئة للنوع الأول من المستشرقين الذين يوظفون كراهيتهم لصالح الاستعمار الغربي، ويرد على ادعائهم مستثلاً عن فحوى نظريات الاستشراق التقليدية التي ينظر بها بعضهم، خاصة ماركس وأنجلز، إلى العالم الذي سُمي فيما بعد بالعالم الثالث، ومن هذه المحاضرات دراسته عن صورة المسلم في الأدب الإسباني الحديث والقديم، سواء الصورة السلبية منها أم الصورة الإيجابية. وهو يقوم بتأصيل الدوافع التي وراء تشويه الصورة أو تقديمها بشكلها البراق. كما أن هناك دراسة عن «الشعبوية والتعصب. صناعة صورة» يقول فيها: «إننا في العصر الحديث لا تزال النهضة البطيئة التي حققتها وتحققها الشعوب الإسلامية في ميادين السياسة والاقتصاد تدفع البعض إلى استخدام اللافات (الكليشيات) المستهلكة نفسها أو إلى القيام بحذق ودهاء أكبر، برديد «جوقة» من التحذيرات المشوية بالخبين. فإذا كانت الصحافة الغربية ما تزال ترجع الصورة الختمية، صورة المد الإسلامي، فإن المستشرقين يؤكدون ضرورة حماية خصوصية الإسلام من مخاطر توغل الناس في الحداثة».

وفي حديثه الذي طبعته وكالة «أورينت برس» في 27 تموز/يوليو 1994م، يقول الكاتب إن «شجرة الأدب الإسباني لها جذور كثيرة من بينها جذور عربية، بالنسبة لي، وفي مرحلة ما من مساري الأدبي، وجدت نفسي بحاجة للاقترب من الأدب العربي، ومن البنايع العربية، وذلك بهدف اكتساب مقدرة معرفية مثلى في آلية العبقريّة الأدبية».

تلك كانت محاولة لتعرف كاتب مبدع، ولا تغيء أهميته من أنه مبدع متميز، وباحث دقيق فقط، بل لأنه أيضاً وظف هذا الإبداع، «وكشائياته بشكل عام، من أجل أفكاره، وإيمانه بأن الحضارة العربية قد أمدت الغرب بتراث إنساني صيغها به، وأن هذه الحضارة ممتدة مهما شاء المنكرون».

مجرد تصور لو أن الفكر كانت له مواصفات الإنسان استراحة.. أو إغفاءة لكان الحكم عليه بالموت تحصيل حاصل..

إن مجرد الإدراك بأن الفكر ضمير يتنفس من خلال أدواته الفاعلة.. «القلم»، «الكلمات» لأنه خلجات متفاعلة مع أحاسيس الحياة يعبر عنها بالصوت المسموع والمقروء.. لا مكان للصمت في صومته.. ولا مكان للتفرد في جدليته.. ولا مكان للمكابرة في إشكاليته حين تكون إن مجرد الإدراك لهذه الحقائق يجذر في يقيننا مؤداها:

«لا فكر دون حرية رأي.. ولا حرية رأي دون نقد.. ولا نقد دون منهجية علمية تخضع في تناولها للأثر الفكري كل معطيات الغربة، والتمحيص، والكشف الأمين لمضامين الكلمة وصولاً إلى جوهر الحقيقة التي لا تخضع ألبتة للمؤثرات العاطفية سلباً.. وإيجاباً.. والجدلية التي نحرص عليها يجب أن تأتي متعمقة.. مواكبة لكل الأطروحات ذات الصلة المباشرة بحياتنا.. ليس من منطلق إقليمي ضيق.. وإنما من خلال رؤية إنسانية تتعامل مع الحدث بصوت مسموع لا اهتزاز فيه.. ولا ابتزاز معه..

الفكر رسالة.. من هنا فإن تفرد الصوت الواحد من أجل صياغتها وجلالتها دون صوت آخر يجادلها للوصول إلى الأفضل يعتبر قيداً فرضياً على ملكة الفكر الذي يستبين الأمور من زوايا.. وصور مغايرة.. أو على الأقل مكتملة للصورة.. وإطارها الذي لا بد من وجوده.

وتعاملنا مع الفكر في زمن مشدود إلى قيود الخيرة والضبابية.. والاستلاب لا بد أن يأتي حتمياً وبحجم التحديات التي لا تقبل المهادنة.. بل ولا حسن النية.. وإنما سيكون أخذاً جريئاً بكل أساليب الكشف التي تعري كل عوامل الضعف.. والانكفاء.. من واقع جدلية الحوار في مستقبل الضمير الغائب.. أو المغيّب الذي لم تعد تهزه الأحداث المطبقة من حوله والتي تستهدفه تراثاً وتاريخاً من خلال معاول التشويه.. والاستهانة.. والاستغلال..

إن مقدرات الفكر بقدر اتساع تناولها وأطروحاتها من خلال أرضية خصبة تسمح بنقاء الرؤية، تساعد دون شك على كشف السبل الموصلة إلى الأهداف المنشودة دون ضبابية تحد من حركة السير..

ولن نتمكن من تجاوز عقابيل الحركة بسلاح الصمت القاتل.. ولا بسلاح التفرد الفاشل.. وإنما بصوت يقظ يحاوره صوت يقظ.. يطرح من خلال حواراته وجدليته كل إشكاليات التردّي التي وصل إليها صمت الأقلام.. أو عجزها على الأقل في تناول أهم القضايا التي لها حياتها ومستقبلها.. وتاريخها..

الفكر ليس ترفاً نزيه به صفحات الكتب.. إنه مخزون حياتي إبداعي يتفجر.. ويتشكل به وجدان الملتقي في صياغة لا بد أن تكون على قدر طموحات المستقبل.. وعلى قدر حرية التناول والتداول..

وبين ما نحلم به.. ونخشاه تنداعى الصور بين صمت ضاق به الحس.. وصوت مازال وئيداً في عالم صاحب بالأصوات لا يعترف بالصمت..

كَلِمَاتُ الْمُعَافَاتِ

العلية

فِي التَّارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ

إعداد:

عبد الحميد حساني حسن



وتلبسه المرأة، وذكر قول الشاعر:

بِرَاقَةِ الْجِيدِ صَمَوْتُ الْخَلْخَلِ.

وذكر

صاحب

محيط المحيط:

أنه حلية من

فضة كسوار كبير تلبسها نساء العرب في أرجلهن.

الدَّمْلُجُ: هي حلي تلبس في العضد، وذكر

ابن منظور قول الشاعر:

والبيض في أعضادها الدَّمْلُجُ.

وذكر صاحب محيط المحيط أنه حلي يلبس

في المعصم، وذكر قول عنتره:

وتحتي منها معصم فيه دملج.

وجاء في فقه اللغة للثعالبي أن الدملج للعضد.



الجبيرة: هي حلي للساعد، وذكر صاحب لسان العرب أن الجبيرة هي الأسورة من الذهب والفضة وذكر قول الشاعر (الأعشى):
فَارَتْكَ كَفًّا فِي الْخِصَا

بِ وَمِعْصَمًا مِثْلَ الْجِبَارَةِ
وجمعها: الجبائر.

الخَاتَمُ: ذكر الثعالبي أنه حلي للإصبع، وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبس الخاتم من الذهب، وكذلك ما جاء في متن ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب.

الْخَدَمَةُ: ذكر صاحب لسان العرب أنها الخلخال، وهو من ذلك، لأنه ربما كان من سيور يُرَكَّبُ فيها الذهب والفضة، وقد تسمى الساق خَدَمَةً حملاً على الخلخال لكونها موضعه. وذكر الثعالبي أن الخدمة للرجل، وجاء في الصباح أن الخدمة: سير يُشَدُّ في رُغْغ البعير، وبه سمي الخلخال خَدَمَةً لأنه ربما كان من سيور يُرَكَّبُ فيه الذهب والفضة. والجمع: خَدَمَ وخِدَام

الْخَرِصُ: (بضم الخاء وكسرهما)، هي الحلقة من الذهب والفضة من حلي الأذن، أو حلقة القُرْطُ أو الحلقة الصغيرة من الحلي، وفي الحديث ما جاء عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وأما امرأة جعلت في أذنها خرصاً من ذهب جعل الله عز وجل في أذنها يوم القيامة خرصاً من نار». قال صاحب اللسان: قيل: كان هذا قبل النسخ، فإنه قد ثبت إباحة الذهب للنساء.

الْخَلْخَلُ وَالْخَلْخَالُ: وجمعه الخلائل. ذكر الثعالبي في فقه اللغة أن الخلخال للرجل، وذكر ابن منظور أن الخلخال من الحلي



الرَّعْثَةُ

والرَّعْثَةُ:

ذكر الثعالبي أن الرعثة

للأذن، وذكر صاحب محيط المحيط والقاموس

المحيط أن الرعثة هي: القُرْطُ. وجاء في لسان

العرب أن الرعثة: ما عُلق بالأذن من قُرْط ونحوه،

وذكر قول الشاعر:

وكلُّ خليلٍ عليه الرَّعَا

ثُ وَالْجِلَابَاتُ، كَذُوبٌ مَلَقُ

وقد سُمِّيَ بشار بن برد بالرَّعْثِ، وذلك

لرعات كانت له في صغره في أذنيه، وفي الحديث

قالت أم زينب بنت نُبَيْط: كنت أنا وأختاي في

حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان

يُحَلِّينَا رِعَاتًا مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُو.



السَّخَابُ:

ذكر صاحب لسان العرب أن

السَّخَابُ: قلادة تُتَّخَذُ من قرنفل، وسُلْكُ،

وَمَحَلِّبٍ، ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء، وقيل

أيضاً إن السَّخَابَ عند العرب: كل قلادة كانت

ذات جوهر أو لم تكن، وقال بمثل ذلك صاحب

الصباح، وذكر صاحب محيط المحيط المعنى

نفسه وأضاف بأن السَّخَابَ تلبسها صبيان العرب

وذكر قول المتنبي:

عفا عنهم وأطلقهم صغاراً

وفي أعتاق أكثرهم سِخابٌ

وفي الحديث ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم العيد فصلى ركعتين لم يُصَلِّ قبلُ ولا بعدُ ثم أتى النساء فأمرهنَّ بالصدقة، فجعلت المرأة تصدِّقُ بخُرْصِها وسِخابِها. وجمع السِخاب: سُنْبُ

السَّوَارُ: ذكر صاحب محيط المحيط أن السَّوَارَ هو القَلْبُ وهو حلية كالطوق تلبسه المرأة في زندها، وكذلك قال صاحب ترتيب محيط المحيط، وذكر الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية أن السَّوَارَ للمعصم، أما لسان العرب والصحاح فقالا: إن السَّوَارَ والسَّوَارَ: القَلْبُ: سِوَارُ المرأة والجمع أسُورَةٌ. وأساور... والكثير سَوْرٌ وسُورٌ، والإسوار كالسَّوَارِ والجمع أساوره... وفي القرآن الكريم: يُحَلِّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبِ الكهف: 31، الحج: 23، فاطر: 33.



الشَّنْفُ: هو ما يلبس في أعلى الأذن، والقُرْطُ: ما يلبس في أسفلها، وقيل الشَّنْفُ والقُرْطُ سواء، وقد قال الشاعر:

وبياض وجهك لم تحل أسرارُه

مثل الوذيلة، أو كشف الأنضر
وذكر صاحب محيط المحيط أن الشنف: هو ما علّق في أعلى الأذن، أما ما علّق في أسفلها فقُرْطُ، وقال الجوهري في الصحاح: إنه القُرْطُ الأعلى، وذكر الثعالبي أن الشنف والقُرْطُ والرَّعْشَةُ للأذن. وجمع الشَّنْفُ: أشناف وشنوف.



الْفَتْخَةُ وَالْفَتْخَةُ: خاتم يكون في اليد والرجل بفص وغير فص، وقيل هي الخاتم أي كان،

وقيل هي حلقة تلبس في الإصبع كالحاتم، وقيل هي حلقة من فضة لا فص فيها، والجمع: فَتْخٌ (بفتح أوله وكسرهما) وفَتْخٌ وفَتْخَات. وذكر صاحب محيط المحيط أن الفتحة: خاتم كبير يكون في أصابع اليد والرجل أو حلقة من فضة كالحاتم لا فص فيها، فإذا كان فيها فص فهو الخاتم. وذكر الثعالبي أن الفتحة لإصابع الرجل تلبسها نساء العرب.

وفي الحديث عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابنة هبيرة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يدها خواتيم من ذهب يقال لها الفتخ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرع يدها بعُصِيَّة. وجاء أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدت العيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتى النساء فأمرهنَّ بالصدقة فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ الفتخ والخواتيم في ثوب بلال.



القُرْطُ: القرط نوع من حلّي الأذن يعلّق في شحمة الأذن (انظر: الشنف)، وكذلك ذكر الثعالبي في فقه اللغة، وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «... ما يمنع إحداكن أن تصنع قرطين من فضة ثم تصفرهما بالزعفران».

القِلَادَةُ: ذكر ابن منظور أن القِلادة: ما جعل في العنق يكون للإنسان والفرس والكلب والبَئْدَةُ التي تُهْدَى ونحوها. وجاء في محيط المحيط أن القِلادة: ما جعل في العنق من الحلّي، وكذلك ذكر الثعالبي أنها حلي للعنق.

القَلْبُ: ذكر ابن منظور أن القَلْبَ من الأسورة وهي سوار المرأة، وذكر صاحب محيط المحيط أن القَلْبَ سوار المرأة غير ملوي، أو ما كان مفتولاً من طاق واحد لا من طاقين، وذكر الثعالبي أنها حلي للمعصم. وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي صلى الله

عليه وسلم يوم عيد فصلى ركعتين لم يُصَلِّ قبلُ ولا بعدُ ثم مال على النساء ومعه بلال فوعظهن وأمرهنَّ أن يتصدقن فجعلت المرأة تلقي القَلْبَ والخُرْصَ.



المِخْنَقَةُ: جاء في الصحاح وفي لسان العرب أن المِخْنَقَةَ من القِلادة، وذكر الثعالبي أنها حلي للعنق.

الرَّسَلَةُ: هي قلادة تقع على الصدر، وقيل القِلادة فيها الخُرْصُ وغيرها.

المَسَكَةُ: جاء في القاموس المحيط أن المَسَكَ: الأسورة والخلاخيل من القرون والعاج، وذكر مثل ذلك صاحب لسان العرب والجوهري في صحاحه. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عليها مَسَكَتَيْنِ من فضة، وفي اللسان: من ذهب، فقال لها ألا أخبرك بما هو أحسن من هذا لو نزعْتَ هذا وجعلت مَسَكَتَيْنِ من وَرَقٍ ثم صَفَرْتَهُمَا بزعفران.

الْوَقْفُ: ذكر ابن منظور أن وقفَ المرأة يدها وعيناها وما لا يد لها من إظهاره، ويقال للمرأة إنها حسنة الموقِفِ أي الوجه والقدم، وذكر مثل ذلك صاحب محيط المحيط، وذكر صاحب ترتيب القاموس المحيط والصحاح أن الوقف: سوار من عاج. وذكر الثعالبي أن الوقف للمعصم.

المراجع والمصادر

- ترتيب القاموس المحيط، الطاهر أحمد الزاوي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، الرياض، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الجزء الثاني.
- سنن الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، المكتب الإسلامي.
- سنن النسائي بشرح السيوطي، بيروت، دار الفكر، الجزء الثامن.
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، طبعه القاهرة.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، إستانبول (تركيا)، المكتبة الإسلامية.
- الفتح الرباني، أحمد عبد الرحمن البنا، القاهرة، دار الشهاب، الجزء السابع عشر.
- فقه اللغة وسر العربية، الثعالبي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، بيروت، دار الجيل.
- لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر.

هوا جس في أعماق شاعر

شعر:

جاك صبري شماس

نطقت وثغري فيه تغلي مراحلي
وحيناً سكوت المرء فكرٌ وحكمةٌ
ولا عجب أن يلجم الخطبُ شاعراً
كرهت محاباةً، فقلت مصارحاً
وأطنبت في إطرء من لا أخافه
وكشّفت عن نفسي فكان تكالبٌ
طموحٌ إلى الشعر الخلق قاذبي
وكنت بما أكرهت نفسي كفاقدٍ
وبيني وبين الشعر ودٌ وألفةٌ
قذفت صفاء القول غير مخاتلي
فما الحرُّ إلا من يحاور عقله
وإن كان بالزلفى يؤمل يائسٌ
على غير ما خطأ الكرام وما التقت
زجرت لساني والفؤاد يشدني
وأعرف حكماً يحسم الظن أنه

وحيناً سكوت المرء للذات قاتلٌ
يُحاسب من أمريهما ويجادل
بلى عجب أن يقهر القول قائلٌ
ولم يُجدني ردّ، فقلت: أجامل
وساجلت بالتأنيب من لا يساجل
عليّ لنيّاتي وكرّان.. تواكل
وقد يقلق النفس الطمّوح المعاجل
حساماً وقد ماجت عليه الحمامل
ونهرٌ خصالٍ أحكمت ووسائل
ولا بدّ بادٍ ذاك ذاك الخصال
وليس الذي يغريه من يتحامل
وبالحكمة المثلى يُخيبُ أمل
عليه جموعٌ جمّة، وقبائل
وكم لآمني في دوحة الشعر جاهل
لكلّ امرئٍ في كلّ شيءٍ عواذل

صَدَقْتُ الْهَوَى

شعر:

يس قطب الفيل

عذراً.. هو الحب.. مافي الحب إحراجُ
صِدَقْتُ الهوى.. في زمان البعد يحملنا
كنا.. على الشوق.. إن طاف الحنين بنا
فقد خطواً لكرم ينتشي فرحاً
كنا.. وكان لقائنا رغم ندرته
إذا ادلهـمت دروب الوصل في رئة
ثرنا.. وثار نقباء الحب في دمننا
واليوم عدنا.. وأشواق الهوى رغبت
من ذا يعين، وقد كَلَّت رواحلنا
ليت الوعود ظلال نستظل بها
لكنه الأمل المورود.. يوقظنا
إن الذي بات في حضن الهوى نغما
حسبُ الهوى.. أن نعيش الحب في زمن

فيه التقينا مدى، للحب يحتاجُ
إلى غد، فيه للمسجون إفراج
واستمرات قهرنا في الريح أمواج
بالأوفياء.. وهم في الروض أفواج
دنيا، لها في الهوى فكرٌ ومنهاج
وإن تهيراً في الوجدان ديباج
حتى يعود.. إلى عرش كبا - تاج
وليس في يدنا تبـرُّ ولا عـاج
ورحلة الوهم للمحزون إزعاجُ
وليتهـا من غدٍ للوصل معراج
وقد هوت للهوى - في الأرض - أبراج
هيهات يُسعدُه - من ذاك - إخراج
ما عاد فيه - بأرض الحب - حلاج

ثألم.. ولكن!

د. طه وادي

وصل

مبكراً كعادته. أول من يدخل «مصلحة المساحة»، وآخر من يغادرها، منذ نحو عشرين عاماً أو يزيد. لا يستطيع أن يتأخر إلا من أجل الشديد القوي. بينما كان يصعد السلم - في بطة وتكاسل - لاحظ أن في بئر السلم كمية من الكراسي والمكاتب المكسرة، تكفي لتربية مئة فأر. اقترب من حجرة مكتبه - مكتب شؤون العاملين -، رأى «عم ربيع» فراش المكتب منهمكاً في عملية النظافة الشكلية. حياه بيده اليمنى التي تحمل جريدة الصباح، فرد عليه - وهو يحاول أن يجفف الماء من على أرض الطريقة - بفرحة طفل: صباح الخير يا أستاذ علي.. نهارك أبيض بالصلاة على النبي.

تعرف قدماه الطريق. خلف المكتب وضع جسده المرهق فوق كرسي خشبي، ربطه بقطعة من خيط الدوبارة. صارت بينه وبين الكرسي ألفة ومودة. من الصعب أن يفرط فيه.. أو يجعل غيره، ينال شرف الجلوس عليه. هو والكرسي يعيشان حالة «محللك سر». أخذ يرتب الملفات، حتى لا تتبعثر الأوراق.. أو تضيع. أوراق شؤون العاملين لها أهمية خاصة. هذا «عصر الأوراق». الأوراق تحرك مصير البشر.. الميلاد.. ورقة، التعليم.. ورقة، الزواج.. ورقة، الوظيفة.. ورقة، جواز السفر.. ورقة، حسن السير والسلوك.. ورقة، حتى الموت لا يتم إلا بورقة. ورق.. ورق.. ياعصر المعلومات!!

أيقظه عم ربيع من شطحاته، وهو يجفف كفيه في صدر بدلته الصفراء: مثل كل يوم يا أستاذ علي؟

أوما له برأسه، وهو يعطيه الجنيه الأخير. سخر من نفسه.. ومن عم ربيع.. ومن حالته البائسة: نعم مثل كل يوم.. سندويتش فول.. وآخر طعمية.. ولا تنس الطرشي.

كيف تتغير الدنيا.. وهو منذ نحو عشرين سنة - هي مقدار عمره الوظيفي السعيد - يأكل يومياً: «واحد فول.. وواحد طعمية..؟» إلى

أي حد، تركت هذه المأكولات الشعبية أثرها في مكوناته البيولوجية والفكرية؟! بلع ريقه حين تذكر منظر الطعمية تُقلى في الزيت الحار.. وقدرة الفول فوق النار تخرج منها نكهة رائعة. ابتسم في داخله: صحيح.. من لم يمت بالسيف، مات بالفول!!

في انتظار مجيء الزملاء.. وعودة عم ربيع.. أخذ يتأمل المكاتب خالية من أصحابها. أخذ يتذكر كل واحد من خلال مكتبه الحزين. تجلس بالقرب منه الأنسة العانس حنان رمضان. وصلت إلى مشارف الخمسين. وهي أول من يعلم رخص سعرها في سوق الحرير. نسيت أنوثتها وعنوستها. تعاملت مع الجميع بقلب مفتوح، كأنما هي أخت.. أو أخ لهم. أكثر من هذا إنها تتعامل بروح أم: تعطي.. ولا تأخذ، تجيب.. ولا تسأل. بجوارها يجلس الأستاذ عوض عرفة.. وهو أيضاً رجل متعاون.. متفاهم.. طيب، لكن طيبة نفسه عكرتها كومة من الأطفال، لا يدري.. كيف ولدتهم زوجته، غير أن الذي يدريه.. ويدركه كل من يراه، أنه قد انهض حيله من أجل تحقيق الحد الإنساني الأدنى لنصف دسته من الأرناب. في المكتب الثالث مدام سميرة سليمان.. سيدة متوسطة العمر والجمال والذكاء. قليلة الكلام.. نادرة الحركة.. شعارها غير المعلن: «يانحلة لاتقرصيني، ولأريد منك عسلاً»!!

المكتب الأخير.. المكتب الوثير.. الفخم الضخم، الذي يختلف شكلاً وحجماً.. مكتب الأستاذ حامد العنتيلي - رئيس مكتبتنا - خرب الله بيته. حامد هذا ليس الأقدم.. أو الأفضل في كل الزملاء، لكنه الأكثر نفاقاً والأشد مكرراً. نُقل إلى إدارتنا من ديوان المحافظة.. لكن «البعض» يقول إنه نقل من وزارة التموين بسبب كثرة الشكاوى في حقه. جسمه الضخم وكرشه المنتفخ، يؤكدان بعض ما يقال. يبدو أنه جاء لينتقم. أشعل نيران الفتنة في كل اتجاه. عنده قدرة غريبة على الجدل والنقاش. مغرم بالتعبيرات الإنشائية والبغبة اللفظية. له مع كل موظف في الإدارة كلها موقف.. أو موقف مضاد. يستطيع أن يُعقّد أي أمر سهل، وأن يدين كل برىء. البشر - في عينيه السوداوين - لا يفعلون شيئاً من أجل الله. من العجيب أنه يحقر معظم زملائه.. وينافق - بشدة - كل رؤسائه. شعاره «إذا أنت لم تنفع فُضّر». بالطبع هو لا ينفع إلا نفسه.. وضرره موجه إلى كل الجهات، لذلك أسماه بعض من نالهم أذاه «حامد السّماوي». العجيب أيضاً أنه كلما اشتد إيداؤه للبشر، امتد نمو جسده، كأنما يطول بالعرض. إذا أبصرته عن بُعد قريب، وهو يجر ساقه اليسرى - التي بها عرج خفيف - حسبته قرية منتفخة، تندرج على الأرض. لم يكتف بأن انتزع منه رئاسة المكتب.. لكنه فيما يبدو أراد أن يؤكد لسيادة مدير



ميراث البقية

د. حمد زيد الزيد

خبر قصير جداً سمعته من إحدى وكالات الأنباء مفاده أن ثروة الحزب الشيوعي السوفيتي بعد سقوط الاتحاد وُزعت على الفقراء، وكانت عبارة عن ملايين من الروبلات الخبئة في حساباته السرية!

وهذا الخبر يذكرني بحالة الغني البخيل الذي يقتر على أسرته فيمتنون موته وهو حي! فإذا مات كان فرحهم عظيماً، وفرحهم بعد الشدة كبيراً! فتغير أحوالهم بين يوم وليلة من العوز إلى الثراء، ومن العسر إلى اليسر، ويشفون من «الأنيميا» وداء الحرمان، وتشرق وجوههم بنور النعمة!

وهناك شخص حكيم لم يكن غنياً، وقد رأى أن أحسن ما يصنعه لكي يبره عياله في حياته أن يحتال عليهم بحيلة بارعة، فخبا مجموعة من الحجارة في صندوق ثمين وأغلقه بإحكام، ولما جمعهم قال لهم إن ثروته كلها في هذا الصندوق، وإنه سيعطي مفتاحه عند وفاته لمن يكون أبهرهم به، وبالفعل تسابقوا إلى البر به ورعايته، فمات ذكياً مرتاحاً، وأورثهم الخسارة والندم!

لعل الشيوعية بوصفها أيديولوجية ونظام دولة تقترب في مفهومها من فلسفة هاتين الحكايتين؛ فقد نادى بالمساواة بين الناس ولكن في الفقر! وبتت لهم قصوراً في الهواء ولكن بلا قواعداً! وصدعت رؤوسهم بالغوغائية الإعلامية والخطابات والتنظيمات الحزبية وسلطة الكادحين (البروليتاريات)، وجعلت شعوبها فئران مختبرات. ولأنها نظام ينادي بالسلام العالمي فقد برعت فقط في إنتاج أسلحة القتل والدمار، وكانت مصانعها حربية وساستها أثرياء، وأعضاء الحزب قطعاً سماناً، وشعوبها قطعاناً جائعة!

وهكذا عاشت وعاشت معها أم كثيرة وهم النظرية (الجميل) أكثر من سبعين عاماً من الكذب والافتراء والخسران المبين!

أما الضحايا الذين ماتوا بالملايين، وأما الثروات التي أهدرت بالبلالين، وأما الآمال العريضة، والأحلام الوردية، وأطنان الورق التي حُبرَت في التسييح بالأمجاد الكاذبة، والوعود المعسولة؛ فكان ذلك كله كان خارج الزمن وفي غفلة من التاريخ.. وقبض ريح!

والحزن حقاً، أن الذين أجمروا لم يُحاسبوا، وأن الطغاة ماتوا أبطالاً، وأن تاريخ بلدان كثيرة كان سراباً وخداعاً وكذباً واحتيالاً قرابة ثلاثة أرباع القرن.

وتبقى الشعوب المسكين كالأيتام الذين لا يستطيعون الانتقام؛ بل يتسولون ويوارون حسراتهم، ويجفون دموعهم.

ولو كانت ثروة الحزب الشيوعي السوفيتي مثل ثروة البخيل الثري لهان الأمر ولو بالنسبة للجيل الحالي، وفي ذلك بعض العزاء، ولكن المأساة أن التركة الملوثة بكل الآلام الإنسانية لا تُشبع من جوع ولا تكفي لإطعام مدينة واحدة مدة سبعين يوماً؛ ناهيك عن إطعام بلد يسكنه الملايين وقد حوله جلاوزته إلى حظيرة حيوانية كبرى حقبة تربو على السبعين عاماً!

المصلحة أنه جدير بالرئاسة، ويعرف كل ما يفعله الموظفون في مكتبه. منذ أسبوع صنع له مشكلة مركبة، وشكاه إلى سيادة المدير العام بحجة تعطيل العمل، وأنه يُحرضُ الموظفين على طلب علاوة استثنائية. أكثر من هذا.. اتهمه بأنه يلمح تلميحات ذات مغزى غير أخلاقي للزميلة الفاضلة الأستاذة حنان رمضان. ورغم أن التحقيق لم يثبت شيئاً من كل هذه الافتراءات.. لكن الدخان إذا طار في الهواء، فلا بد أن يخلف رائحة خبيثة!!

العجيب أن الأستاذة حنان كانت أجراً في التصدي للإشاعة من الأستاذ علي نفسه. قالت لعدو البشر في وجهه: سامحك الله.. حسبت لك عقلاً.. فلا أنا.. ولا الأستاذ علي، يصح علينا هذا الكلام. ألا تستحي يارجل.. ألا تخاف الله!؟

رد متبجحاً - وهو واقف خلف المكتب، يحاول أن يُدخل الزرار بالقوة في عروة الجاكتة، التي ضاقت عليه -: يا أستاذة.. يا فاضلة - تعتمد أن يقولها بهدوء شديد - نحن نعمل في مصلحة حكومية محترمة.. الدولة وظفتنا هنا لنحافظ على الحقوق والمبادئ.. في عصر العلم والإيمان.

يا واطي.. يا.. هل يعرف أمثالك الحقوق والمبادئ.. أو العلم والإيمان؟! صدق من قال: لاتعلموا أولاد السفلة، وإذا علمتموهم فلا تولوهم القضاء!!

هذا الشخص الكريه، لم أحاول البتة أن أتعامل معه بخير أو شر. أنا في حالي، لكنه.. إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. هذا الكائن الخرافي بطل العصر الانفلاتي.. في الزمن الآتي، يحرص على مظهره الخارجي، لكنه شاهد أكثر من مرة ملابسه الداخلية - التي تظهر أحياناً بسبب انبعاث كرشه - ممزقة.. ومتسخة. لا يظن أن هناك أحداً في المكتب، قد نجا من حقه الأوسود. ظن في البداية أن البعد عنه غنيمة.. لكن الأستاذ علي عبدالرحمن أدرك الآن فقط أن من يتغدى بغيرك - إذا لم توقف شره - سوف يتعشى بك. أصبح يدرك أنه لا بد أن يواجهه.. ويوقفه عند حده. مشكلته - كما تراءت له - أنه رجل طيب، لا يعرف قلبه طريق الكره، ولا يدرك عقله سبيل الشر، لكن لا بد.. من لم يتذأب تأكله الذئاب. الدنيا تغيرت والقيم تبدلت.. صار عاليها واطيها.. والواطي هو الأعلى. مستحيل.. سيظل في الدنيا خير، إذا حاربنا من أجله، لأننا نعيب الزمان.. والعيب فينا. أحسن - برغم نقاء الضمير وطيبة القلب - أنه يتألم، وأنه يجب أن يتعلم - من جديد - كيف يعامل البشر. قال لنفسه - وهو يتأمل عم ربيع قادماً من بعيد، يحمل ما يحمله كل يوم -: يا قلمي الحزين.. تألم، لكن حاول.. حاول أن تتعلم فن الكره..

الحركة الثقافية في شهر

أكاديمية الملك فهد في بون تقيم
مهرجاناً ثقافياً في ختام عامها
الدراسي

توثيق مقتنيات فنية عالمية في
مصر قيمتها 45 مليار دولار

ندوة عالمية في سورية لتنمية
نون الخزف في الحرف اليدوية
الإسلامية

عشرون ألف كتاب نادر في معرض
الكتاب القديم بباريس

مؤتمر في لندن عن: الصحافة في
مواجهة عصر الإعلام الإلكتروني

الدنمارك تقيم ندوة عالمية عن
«الإسلام في عالم متغير»

الأمير ماجد يسلم جوائز «ملون السعودية»

رعى صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبدالعزيز، أمير منطقة مكة المكرمة، حفل توزيع جوائز الدورة الثالثة لمسابقة «ملون السعودية» التي نظمتها الخطوط الجوية العربية السعودية في النصف الثاني من شهر محرم الماضي.

نال الجائزة الأولى حمزة عبدالله النميري (سوداني) عن لوحته «السيارة الصفراء»، تلاه جمال سعد الدين مخيمر (مصري) عن لوحته «البراميل»، ثم يوسف أحمد جاها (سعودي) عن لوحته «من الطبيعة». كما حصل 37 مشاركاً على ميداليات تذكارية وشهادات تقديرية وتذاكر سفر.

يذكر أن المسابقة شارك فيها 388 فناناً ينتمون إلى 17 جنسية قدموا ما يزيد على ثمانئة عمل فني.

رحلة تاريخ جازان

يقوم مندوبون من وزارة التعليم العالي برصد المصادر التاريخية والأثرية والثقافية بمنطقة جازان وجمعها وتسجيلها. ترمي العملية إلى رصد تاريخ هذه المنطقة التي تزخر بتراثها العلمي والأدبي والثقافي.

ندوة حقوق الإنسان

نظم مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي ندوة «حقوق الإنسان» في مقر المنظمة بجدة بمشاركة علماء ومفكرين من أنحاء العالم الإسلامي.

ناقشت الندوة على امتداد ثلاثة أيام أربعة محاور أساسية هي: الجانب التاريخي، حصر ودراسة حقوق الإنسان، النظرة التحليلية لحقوق الإنسان وتطورها،

التطلعات المعاصرة والمستقبلية لحقوق الإنسان. وعرض في الجلسة الختامية إعلان القاهرة حول حقوق الإنسان في الإسلام. وفيما أكد المشاركون أن الإسلام كفل حقوق الإنسان وأوصى بها، أدانوا محاولات بعض المغرضين استغلال مبادئ حقوق الإنسان للتهجم على الشعوب والدول.

معجم عن أطباء وطبيات المملكة

قررت إحدى دور النشر إصدار معجم للأطباء والطبيبات السعوديين العاملين في قطاع الدولة ومؤسسات القطاع الخاص. يرمي المعجم إلى رصد الكوادر الطبية الوطنية، وإبراز أحد جوانب التنمية البشرية في المملكة.

وفاة الشيخ السليم

توفي - مؤخراً - الشيخ عبدالله بن إبراهيم السليم أحد رواد التعليم في المملكة، الذي كان أول مدير من أهل بريدة لمدرستها، وأول مدير للمدرسة النظامية في الرياض، وقد وافاه الأجل عن عمر ناهز 85 عاماً.

والراحل من مواليد بريدة عام 1332هـ، وتلقى العلم على أيدي علماء بريدة من آل سليم، وحفظ القرآن صغيراً، وتولى الإمامة خلفاً لوالده وهو في السادسة عشرة من عمره، وحصل على إجازة التدريس عام 1349هـ، وعمل بالتدريس، وتولى إدارة عدة مدارس حتى انتهى به المطاف مديراً لمعهد المعلمين في بريدة إلى أن أحيل إلى التقاعد عام 1397هـ.

مسابقة في التأليف المسرحي

أعلنت لجنة المسرح بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون عن فتح باب تلقي المشاركات لمسابقة الكتابة المسرحية للعام الحالي.

يشترط في النصوص المشاركة ألا يكون

البابطين، صدر عن دار القاسم للنشر في الرياض.

التحكيم في ضوء الشريعة الإسلامية، تأليف عزة رشاد قطورة، صدر عن الغرفة التجارية الصناعية في جدة.

الإمارات

مسابقة راشد للدراسات الإنسانية

أعلن مركز راشد لعلاج ورعاية الأطفال المعاقين في دبي عن فتح باب تلقي المشاركات في مسابقة راشد للدراسات الإنسانية في دورتها الثانية لعام 1996م.

والمسابقة مفتوحة للشباب العربي، وقد تم تقسيمها إلى ثلاثة محاور: الأول عن التشريعات والقوانين ودورها في تأكيد حقوق المعاقين الصحية والنفسية والتربوية والعمل، والتيسير في المباني العامة، وعلاقة التشريعات والقوانين بالخدمات المقدمة للمعاقين، وعرض لما هو متوافر من قوانين في الدول العربية. ويدور المحور الثاني حول التدخل المبكر ومفهومه ومستوياته ودوره في الحد أو التخفيف من حدود الإعاقة، وعرض لأهم التجارب العالمية والعربية في هذا المجال. فيما يتناول المحور الثالث أثر الإعاقة في الفرد والمجتمع وتأثير الطفل المعاق على الأسرة من النواحي المختلفة والأساليب المتبعة في التعامل مع المعاق داخل الأسرة بغية تخفيف حدة الإعاقة.

وتحدد يوم 22 جمادى الأولى (5 أكتوبر 1996م) موعداً نهائياً لاستقبال المشاركات في المسابقة التي تبلغ قيمة جوائزها 45 ألف درهم.

معرض الشارقة للكتاب

تستعد إمارة الشارقة حالياً لتنظيم معرضها الدولي للكتاب الذي تقرر إقامة

على نفقة الأمير سلطان 13 كتاباً عن آثار السعودية وتراثها



تبرع صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران، المفتش العام، بمبلغ ثلاثة ملايين ريال لإعداد وطباعة 13 كتاباً عن آثار المملكة في 13 منطقة. رمى سموه من تبرعه إلى الإسهام في إثراء المعرفة بآثار المملكة، عبر تعريف أبنائها بتراث بلادهم وآثارها من عمارة وفنون ونقوش وكتابات إسلامية.

سعد أبو حيمد، وصدرت عن مطابع الشبل بالرياض.

التفاوض.. فن تحقيق الممكن، تأليف سيف عبدالعزيز السيف، صدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة الإمامة الصحفية.

الكتابة للطفل بين الواقع والتطلعات، تأليف د. محمود شاكر سعيد، صدر عن دار المعراج الدولية.

شرح الهداية لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي (ت: 440هـ)، تحقيق د. حازم سعيد حيدر، صدر عن مكتبة الرشد في الرياض.

إعراب الشواهد القرآنية في شرح ابن عقيل للألفية، تأليف محمد يوسف أيوب، صدر عن المكتبة الفيصلية في مكة المكرمة.

الضوء المنير على التفسير، 6 مج، تأليف شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، جمع علي بن حمد بن محمد الصالح، صدر عن مؤسسة النور للطباعة والنشر في عنيزة.

أساليب التربية الإسلامية في تربية الطفل، تأليف عبدالرحمن عبدالوهاب

قد سبق نشرها أو تقديمها مسرحياً، وأن تعالج موضوعاً إنسانياً أو اجتماعياً بلغة بسيطة عملية، وألا يقل عدد صفحاتها عن 30 صفحة فولسكاب، ويمكن المشاركة بأكثر من نص، على أن تصل المشاركات إلى المركز الرئيسي للجمعية (ص.ب 3659 الرياض 11481) في موعد غايته نهاية شهر ربيع الأول الجاري.

معرض للكتاب العلمي

تنظم جامعة الملك فيصل معرضاً للكتاب العلمي بفرع الجامعة في الدمام خلال المدة من 25 جمادى الأولى إلى 6 جمادى الآخرة 1417هـ.

تشرف على المعرض عمادة شؤون المكتبات بالدمام، ويحتوي على قسم خاص للكتب الدينية والأدبية وكتب الأطفال.

كتب جديدة

عبدالعزیز الرفاعي: صور ومواقف، ج1، من المهد إلى اللحد، تأليف أحمد سالم باعطب، الناشر عبدالمقصود خوجة بجدة.

قصائد وقصص، مختارات لمجموعة من الأدباء والشعراء العالميين، ترجمها أحمد بن

خلال المدة من 20 إلى 24 جمادى الآخرة المقبل.

يشارك في المعرض - إلى جانب دور النشر الإماراتية والعربية - عدد من دور النشر العالمية.

معرض

لطوايع البريد التذكارية

أقيم في الشارقة - مؤخراً - معرض لطوايع البريد التذكارية تحت عنوان «قراءة تاريخ الوطن في الطوايع البريدية» عُرضت فيه الطوايع التذكارية التي صدرت في الإمارات منذ عام 1972م وإلى اليوم.

نظمت المعرض الهيئة العامة لطوايع البريد بالإمارات، وتضمن مرسماً حراً لأطفال نادي الفتيات بالشارقة، لاختيار أجمل رسم ليوضع ضمن إصدارات الهيئة من الطوايع، كما أقيمت محاضرة عن البريد وتطوره.

كتب جديدة

الثورة الإيرانية والتغيير السياسي في العالم العربي، تأليف كارين فيست، صدر بالإنجليزية عن مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في أبو ظبي.

قطر

وفاة الشاعر

عبدالرحمن المعاودة

توفي - مؤخراً - رائد الشعر القطري عبدالرحمن بن قاسم المعاودة الذي وافاه الأجل في لندن عن عمر ناهز 85 عاماً. ويعود المعاودة من رواد التجربة الشعرية في بلاده، فضلاً عن أنه أحد الفرسان الأوائل في مجال التعليم الذين أسهموا في تخريج أجيال من المثقفين القطريين.

الكويت

دورة جائزة البابطين

في سورية بعد الإمارات

تستضيف دولة الإمارات العربية المتحدة الدورة الجديدة لجائزة عبدالعزيز سعود البابطين والتي تحمل اسم الشاعر الكويتي الراحل أحمد مشاري العدوانى خلال شهر جمادى الأولى المقبل. وتقرر أن تعقد الدورة التالية للجائزة عام 1998م في سورية، وتحمل هذه الدورة اسم الشاعر بشارة الخوري (الأخطل الصغير).

وفاة عبدالعزيز حسين

توفي الأديب ورجل الدولة الكويتي عبدالعزيز حسين، الذي وافاه الأجل عن عمر ناهز 76 عاماً.

ويعود الراحل واحداً من رموز حركة التنوير الفكري في الكويت، وكاتباً موسوعياً نبواً عن جدارة موقعاً مميزاً على خارطة الثقافة في بلاده والوطن العربي، إضافة إلى بصماته الواضحة على مسيرة التعليم في الكويت. ولد الراحل عام 1920م، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية في الكويت، ابتعث عام 1939م ضمن أول بعثة تعليمية كويتية إلى القاهرة، والتحق بكلية اللغة العربية في الأزهر، وفيها تخرج عام 1943م، ثم نال شهادة التخصص عام 1945م، ودبلوم معهد التربية العالي بجامعة القاهرة في العام نفسه، وعمل عام 1946م مشرفاً على البعثات في القاهرة ومديراً لبيت الكويت فيها، وأصدر مجلة «البعثة» الشهرية لتعبر عن المثقفين الكويتيين.

وتدرج الراحل في المناصب الحكومية حتى صار وزيراً للدولة لشؤون مجلس الوزراء عام 1963م، ومستشاراً لأمير البلاد منذ عام 1985م حتى وفاته.

محاضرات وندوات

«الدور السعودي في التنمية الدولية»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي المنطقة الشرقية الأديب، د. إبراهيم بن عبدالله المطرف.

«المسرح السعودي: محلياً وخارجياً»، عنوان ندوة نظمها فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالدمام، شارك فيها كل من الدكتورين: معجب الزهراني وكمال عيد.

«حماية البيئة ضرورة من ضرورات الحياة»، عنوان ندوة نظمها مركز التعاون الأوروبي العربي بالإسكندرية، شارك فيها مهتمون ومنخصصون بشؤون البيئة من عرب وأجانب.

«كيفية مخاطبة عقول الشباب»، عنوان ندوة أقيمت في مركز شباب منشية التحرير بعين شمس في القاهرة، شارك فيها عدد من النواب والفنانين.

«أطفال وحوادث»، عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي الفرنسي بالقاهرة، د. آن تورنر.

«الإعلام والفنون الشعبية»، عنوان ندوة نظمها المجلس الأعلى للثقافة في القاهرة، شارك فيها: أمين بسيوني، وفاروق شوشه، وعائشة البحراوي، وعبدالفار عودة.

أقيمت في مجمع ساوث بانك للفنون في لندن أمسية شعرية للشاعر المكسيكي أوكتايفو باث.

«التراث والفن التشكيلي: الأصالة والمعاصرة»، عنوان أمسية تشكيلية نظمها فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في الدمام، تحدث فيها: أحمد عبد رب النبي، وعلى الصفار، ومحمد العباسي، ويوسف شقري.

«آثار الصحبة والاجتماعية للعدوان الإسرائيلي»، عنوان محاضرة، ألقاها في نقابة الصحافة اللبنانية بدعوة من الديوان الثقافي، أمين مصطفى.

«مصادر فارسية في الدراسات التاريخية الإسلامية»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي، د. عبدالوهاب أبو سليمان.

«شعر الفخر بين الشريف الرضي والأبيوردي»، عنوان محاضرة ألقاها في كلية المعلمين بأبها، د. محمود إسماعيل عمار.

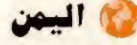
الملتقى مجموعة من الندوات واللقاءات ذات الصلة بالفن التشكيلي وقضاياه، كما تم على هامشه لقاء مفتوح مع المفكر الجزائري محمد أركون.



توصية بتدريس الثقافة الإسلامية بالجامعات

أوصى المؤتمر الخامس للمجلس التنفيذي لرابطة الجامعات الإسلامية في ختام اجتماعاته بالقاهرة - مؤخراً - بتدريس مادة الثقافة الإسلامية في الجامعات العربية والإسلامية. وشرح التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي وسبل مجابتهها. وقرر المجلس إقامة منتدى لشباب الجامعات الإسلامية خلال المدة من 16 إلى 24 ربيع الآخر المقبل (31 أغسطس - 8 سبتمبر 1996م).

العثمان، صدر عن مركز البحوث والدراسات الكويتية ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي.



ترميم مسجد من القرن السادس الهجري

انتهى فريق يمني - فرنسي مشترك من إعادة ترميم وصيانة مسجد العباس في منطقة خولان جنوب شرقي صنعاء.

ويعد المسجد من المساجد الأثرية، إذ يعود تاريخه إلى القرن السادس الهجري، وبالتحديد إلى عام 519هـ؛ حيث أمر بينائه السلطان موسى بن محمد، وعُرف باسم مسجد العباس، نسبة إلى أحد العباد الصالحين، ويبدو أن هذه التسمية تمت في وقت لاحق للإنشاء.

الملتقى الأول للفنون التشكيلية

شارك 72 فناناً وفنانة من اليمن و 4 فنانين عرب في الملتقى الأول للفنون التشكيلية اليمنية الذي نظّمته - مؤخراً - وزارة الثقافة والسياحة. وإلى جانب المعرض التشكيلي، تضمن

وإلى جانب وضعه لأسس التعليم الحديث في الكويت، فقد أسهم أيضاً في إنشاء المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي، وعُيّن عضواً في المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو العالمية، وترأس مجلس أمناء معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية بجامعة فرانكفورت، وعُيّن عضواً في مجلس إدارة الصندوق الدولي لتعزيز الثقافة، وله عدد من المؤلفات التربوية والتعليمية لعل أبرزها مؤلفه «المجتمع العربي في الكويت».

كتب جديدة

أزمة المياه في المنطقة العربية: الحقائق والبدائل الممكنة، تأليف د. سامر مخيمر.

الصينيون المعاصرون: التقدم نحو المستقبل انطلاقاً من الماضي، ج1، تأليف ووين، ترجمه إلى العربية د. عبدالعزيز حمدي، وراجعه د. لي تشين تشونغ.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

اختار في مجاري البحار؛ دليل الملاحه التقليدية في الكويت، تأليف عيسى عبدالله

«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في حياة المسلمين»، عنوان محاضرة ألقاها في جامع خدام الحرمين الشريفين بمدينة بريدة، الشيخ عبدالرحمن عبدالله الفريان. نَظَّم نادي المنطقة الشرقية الأدبي أسبوعية قصصية شارك فيها القاصون: محمد الصويغ، وفالح الصغير، وفهد المصباح.

«أورام الثدي»، موضوع محاضرة ألقته في جمعية فتاة الخليج النسائية في الخبر، د. مها سيد عبدالهادي.

«المستشرق الألماني فريدريك روكيرت.. أعماله وحياته وتراجمه»، موضوع محاضرة ألقته في المعهد الثقافي الألماني بالرباط، د. أنا ماري شميل.

«نقد الشعر بين البلاغة عند العرب ومناهج اليونان والفرنجية في الغرب»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي، د. محمد الحبيب بلخوجة.

«الإرهاب واقتصاديات الآثار»، عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي الأثري بالرمال، عماد مقلد.

«رحلة المجتمع البحريني من مرحلة صيد اللؤلؤ إلى عصر البترول وكيماويات»، موضوع

محاضرة ألقاها في المركز الإعلامي السعودي في لندن، يوسف الشيراوي. «سورية في عصور البرونز»، عنوان محاضرة ألقاها ضمن فعاليات معرض الآثار السوري الأوروبي المشترك في دمشق، د. عدنان البني. «الاقتصاد السوداني»، موضوع محاضرة ألقاها في دار الضيافة السودانية بالرياض، د. بشير عمر.

«العلاقات الإسلامية المسيحية، والمسلمون في أمريكا ومشكلاتهم»، موضوع محاضرة ألقته في مركز صالح كامل بجامعة الأزهر، د. إيفون حداد. «الحلي والعالمي في الثقافة»، موضوع محاضرة ألقاها في مقر اتحاد كتاب الإمارات وأدائها بالشارقة، د. حسن مدني.

«مختارات الشاعر عبدالرحمن الأبنودي»، موضوع ندوة أقيمت في جمعية محبي الفنون الجميلة بالقاهرة، شارك فيها د. عبدالمنعم تليمة، وعبدالحاميد حواس.

«التاريخ الاجتماعي للسومريين»، عنوان محاضرة ألقته في ديوان الكوفة بلندن، هاريت كروفورد.

مؤتمر للغة العربية

تُعدّ كلية دار العلوم بجامعة القاهرة لتنظيم مؤتمر كبير حول اللغة العربية وكيفية النهوض بها، ونشر الفصحى بين الناطقين بها، ومعوقات انتشارها، وأساليب تدريسها، وموضوعات أخرى.

يتوقع أن يعقد المؤتمر خلال شهر جمادى الأولى المقبل بمشاركة أكاديميين من مختلف الجامعات العربية ومستشرقين ومهتمين بقضايا اللغة العربية.

متحفان

الطب والتراث الطبي

افتتح - مؤخراً - في حديقة الغابة بحي مصر الجديدة في القاهرة متحف فريد من نوعه للأطفال مخصص للتاريخ الطبي.

يحكي المتحف عبر معروضاته التاريخ الطبي في مصر منذ العصور القديمة إلى العصر الحديث، وألحق به مركز للاكتشاف حيث يتاح للأطفال فيه القيام بفك نماذج لهياكل الإنسان والحيوان والطير وإعادة تركيبها. ويرمي المتحف إلى تمكين الطفل من توظيف حواسه وملكاته في التفكير والتأمل والسعي وراء المعلومة.

من ناحية ثانية يعد حالياً لتحويل قصر السكاكيني شرقي القاهرة إلى متحف للتراث الطبي.

ويتناول المتحف تاريخ الطب في مصر وتطوره منذ العصر الفرعوني إلى العصر الحديث، حيث يحكي هذا التطور عبر ما يضمه من قطع أثرية ونماذج مقلدة للأدوات الطبية، وصور لوثائق ومخطوطات قديمة تتحدث عن الطب والعمليات الجراحية وطرائق العلاج المختلفة، إضافة إلى معرض عن الأطباء العرب القدامى الذين اضطلعوا بدور بارز في هذا المجال.

توثيق مقتنيات فنية

قيمتها 45 مليار دولار

انتهت وزارة الثقافة المصرية من توثيق مقتنيات فنية تشكيلية تقدر قيمتها بأكثر من 45 مليار دولار موجودة في متاحف مصر ومخازنها.

تضم هذه المقتنيات - التي بلغ عددها نحو عشرة آلاف - أعمالاً لكبار الفنانين العالمين مثل فان جوخ وريوار وبيكاسو وغيرهم، وتضمن التوثيق ذكر البعد التاريخي للوحة أو العمل الفني، والتقنيات المستخدمة في العمل، والمدرسة التي ينتمي إليها الفنان، وتاريخ مولده، واسم اللوحة، وتاريخ رسمها وحجمها، ومكان حفظ العمل، وغير ذلك من البيانات.

جوائز بينالي القاهرة للخزف

شارك 330 فناناً تشكلياً يمثلون 47 دولة في الدورة الثالثة لبينالي القاهرة الدولي لفن الخزف الذي أقيم في مجمع الفنون بالزمالك خلال شهر محرم الماضي.

وفازت التشكيلية المصرية ميرفت حسن السويدي بالجائزة الكبرى للبينالي، فيما نال الجوائز الأولى كل من: أحمد السيد علي (مصر)، وكوفالي فيتش إيجور (أوكرانيا)، وآري بروفلد (النرويج)، وفيس كريستينا (النمسا)، وجلبر توجوتيا (كوبا). وحصل على جوائز لجنة التحكيم كل من: عبد المنعم محمد، وتهاني العادلي، وفتحية صبحي معتوق (مصر)، ولييتا سانت أندريا (إيطاليا)، وسيل شندلر (سويسرا).

بحث التجارب الدولية

في مجال التعليم عن بعد

نظمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) اجتماعاً استمر ثلاثة أيام لخبراء متخصصين بإنتاج الوسائل التعليمية، والتعليم عن بعد من عشر دول

عربية هي: مصر، والسعودية، والإمارات، والأردن، والعراق، وفلسطين، والسودان، وتونس، وليبيا، والمغرب.

ناقش المؤتمر عدة محاور، من بينها التجارب الدولية في مجال التعليم عن بعد، والتصور العام لمشروع عربي في هذا المجال.

ندوة عن كتاب الطفل

ناقشت لجنة الكتاب والنشر بالمجلس الأعلى للثقافة - خلال ندوة نظمتها بعنوان «كتاب الطفل» - المشكلات التي تعترض نشر الكتب الموجهة إلى الطفل العربي، ومواصفات كتاب الطفل.

تناولت المناقشات التي شارك فيها عدد من الأكاديميين وكتاب الأطفال والمهتمين بثقافة الطفل: الكتاب المدرسي، والكتاب الثقافي، ومكتبة الطفل، وعلاقة كتاب الطفل بالإعلام.

كتب جديدة

أوراق من الأدب والنقد، تأليف إبراهيم سعفان، صدر ضمن سلسلة «المكتبة الثقافية» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أسرار مخطوطات البحر الميت ومجلدات نجع حمادي، تأليف أحمد عثمان.

المشي فوق سطح الماء، ديوان جديد للشاعر حسن عبدالله القرشي.

صدر الكتابان السابقان عن دار الشروق ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، تأليف د. عبد الجليل عيسى، صدر عن مؤسسة «أخبار اليوم».

أنواع الرحلة في الإسلام وآدابها، تأليف عبد الحكيم عبداللطيف الصعدي.

1000 حدث إسلامي، موسوعة أعدها عبد الحكيم عفيفي.

صدر الكتابان السابقان عن الدار العربية للكتاب.

وتطوير المهارات التقليدية بغرض حمايتها من الاندثار.

«بالمِرصاد» تواجه قرصنة الإبداع
ينتظر أن تصدر قريباً نشرة دورية لحماية حقوق الملكية الفكرية تحمل اسم «بالمِرصاد».

وقال نائب رئيس الاتحاد العام للناشرين العرب محمد عدنان سالم أن القصد من هذه الدورية رصد أي اعتداء على حقوق الملكية الفكرية وحماية الناشرين والمؤلفين من القرصنة، الذين يسطون على الكتب، ويطبعونها من دون إذن أصحاب الحق.

تكريم جان الكسان
أقام اتحاد الكتاب العرب بدمشق حفلاً تكريمياً للأديب الصحافي جان الكسان بمناسبة صدور كتابه الخمسين.

شارك في الحفل مجموعة من الكتاب والأدباء، منهم الناقد د. سمر روجي الفيصل، ود. عبدالله أبو هيف، وكوليت خوري، وقمر كيلاني، وآخرون.
يذكر أن الكسان أحد كُتّاب «الفيصل» المنتظمين في الكتابة إليها منذ إنشائها.

كتب جديدة
الأمثال الشعبية مرآة العصور في محافظة حماة، تأليف محمد سعيد الخضير، صدر عن دار البشائر في دمشق.
تاريخ ثمود، تأليف ألبير فان دين براندن، ترجمه للعربية نجيب غزاوي، وصدر عن دار الأبدية للنشر.

الحياة الروحية في بابل، تأليف المستشرق الروسي كلشكوف، ترجمه إلى

موعدها مستقبلاً عبر الأمانة العامة للمنتدى.

حفل تأييني لأكرم زعير
أقامت مؤسسة عبد الحميد شومان الثقافية حفلاً تأيينيّاً للمفكر والكاتب الراحل أكرم زعير.

شارك في الحفل - بدعوة من راعي المؤسسة عبد الحميد شومان - عدد من الشخصيات والمفكرين والكتاب والأدباء من مختلف الأقطار العربية.

كتب جديدة
الأوراق الفيدرالية: أمة جديدة ترسم معالم الحرية، تأليف جيمس ماديسون، وألكسندر هاملتون، وجان جي، ترجمه إلى العربية عمران أبو حجلة، وراجعه د. عادل ظاهر، وصدر عن دار الفارس للنشر والتوزيع.

حياة متخيلة، رواية ديفيد معلوف، ترجمها إلى العربية سيدي يوسف، وصدرت عن دار المدى في عمان.

سورية

ندوة لتنمية فنون الزخرفة الإسلامية
تستضيف دمشق أول ندوة دولية حول آفاق تنمية فنون الزخرفة في حرف العالم الإسلامي اليدوية خلال المدة من 25 شعبان إلى 2 رمضان المبارك 1417 هـ (4 - 11 يناير 1997م).

ينظم الندوة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في إستانبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالتعاون مع وزارة الثقافة السورية ومنظمة اليونسكو العالمية، ويشارك في أعمالها خبراء في هذا الفن، وعلماء متخصصون.

تناقش الندوة الوسائل المستعملة في فنون زخرفة الحرف اليدوية وسبل تطويرها،

من سומר إلى التوراة، تأليف فاضل عبدالواحد علي، صدر عن دار سينا للنشر.

مانديلا وجنوب إفريقيا بين الماضي والحاضر، تأليف وليد محمود عبدالناصر، صدر عن دار المستقبل العربي.

طفولة الكلمات، تأليف يوسف أبو رية، صدر ضمن سلسلة «كتاب قطر الندى» للأطفال عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

الأردن

مهرجان جرش في عامه الخامس عشر
سوف تُضاء شعلة المهرجان الخامس عشر للثقافة والفنون في مدينة جرش الأثرية في الثاني من شهر ربيع الأول الجاري.

يشارك في المهرجان هذا العام 43 شاعراً وشاعرة و13 فناناً تشكيليّاً و60 فرقة فلكلورية وموسيقية عربية وعالمية. وتعدّ على هامشه ندوات ومحاضرات وأمسيات فكرية وإبداعية ونقدية من أبرزها ندوة عن «آفاق تطور القصيدة العربية الحديثة».

يذكر أن المهرجان انطلق للمرة الأولى عام 1980م، ولم يتوقف إلا مرة واحدة عام 1992م بسبب الاجتياح العسكري الإسرائيلي للبنان.

منتدى الفكر العربي
يكثف نشاطاته الفكرية

قرر منتدى الفكر العربي في ختام الاجتماع العاشر للهيئة العامة تكثيف نشاطاته الفكرية خلال المرحلة المقبلة، وعقد المزيد من الندوات واللقاءات الفكرية على صعيد العالم العربي.

وأكد المنتدى ضرورة عقد حوارات عربية - عربية وخاصة فيما يتعلق بموضوع السلام، إضافة إلى ندوة عن القدس يتحدد

العربية عدنان عاكف حمودي، وصدر عن دار المدى للثقافة والنشر.

عند التلال بين الزهور، رواية لماري شو، صدرت عن دار الحوار في اللاذقية.

التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، تأليف أبي الهلال العسكري، تحقيق عزة حسن، صدر عن دار طلاس.

أبحاث في الجزيرة العربية الجنوبية قبل الإسلام، تأليف مجموعة من الباحثين الأجانب، صدر عن دار الأبجدية.

لبنان

معرض فوتوغرافي لـ «عناقيد الغضب»

أقامت وكالة الصحافة الفرنسية معرضاً فوتوغرافياً في الصالة الزجاجية لوزارة السياحة في بيروت بعنوان «جنوب لبنان: عناقيد الغضب».

تنوعت الصور واللقطات التي أخذت من مجزرتي قانا والنبطية، مُجسّدة بشاعة الجريمة عبر مشاهد للقتلى والجرحى والمأساة

المخفورة على ملامح المهجرين، بحيث مثل المعرض سرداً فوتوغرافياً حياً لوقائع العدوان الإسرائيلي.

وفاجأت الوكالة الزوار بمشاركة مصورين إسرائيليين بلقطاتهم عبر صور أخذوها للعدوان.

ناووسان من العصر الروماني

عُثر في بعلبك على ناووسين يعودان إلى العصر الروماني يحتوي أحدهما على خمسين ورقة مشغولة من الذهب، وقناعاً جنازياً ذهبياً، وعقدًا جنازياً ذهبياً كان الرومان يقلدونه لموتاهم، وقطعاً من الزجاج والفخار من بينها أوان لجمع الدموع (بكايات)، فيما وجد الناووس الثاني فارغا. وقد تقرر نقل الناووسين إلى المتحف الوطني في بيروت.

مجلة «البيئة والتنمية»

صدر في بيروت - مؤخرًا - العدد الأول من مجلة «البيئة والتنمية» المختصة بالشؤون البيئية والتنمية. تصدر المجلة كل شهرين عن «المنشورات التقنية»، ويتألف مجلسها الاستشاري من

الدكاترة: مصطفى كمال طلبة (مصر)، وعبد المحسن السديري (السعودية)، وجورج طعمة (لبنان)، وتشارلز إيغر (سويسرا)، ويرأس تحريرها نجيب صعب.

كتب جديدة

صورة المرأة، تأليف علي أفرفار، صدر عن دار الطليعة في بيروت.

نقف ملطخين بصحراء، تأليف حمد الفقيه، صدر عن دار الجديد.

سنة الأوتوماتيك، رواية لحسن داوود، صدرت عن دار النهار.

ديوان عروة بن حزام، تحقيق أنطون محسن القوال، صدر عن دار الجيل.

صحافة طرابلس والشمال في مئة عام 1893-1993م، تأليف مجموعة من خبراء المجلس الثقافي للبنان الشمالي، صدر عن دار نشر جروس برس في طرابلس.

نيتشة مفتتاً، تأليف بيير بودو، ترجمه إلى العربية أسامه الحاج، وصدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع في بيروت.

مقالات فارس فارس: كتابات ساخرة،

أسماء رأفت الشيخ.

«منهج ابن رجب الحنبلي في الدعوة إلى الله»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها عبدالله عثمان آدم إدريس.

«معتزك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، دراسة نقدية مقارنة»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها محمد بن عقيل موسى.

«الحياة الاجتماعية في متصرفية عسير من 1289-1337هـ»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب للبنات في الرياض، تقدمت بها بصيرة بنت إبراهيم عبدالرحمن الداود.

«رحلة المرأة اليومية للعمل في جدة.. دراسة جغرافية على النساء العاملات في القطاع التعليمي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدمت بها ليلى بنت صالح محمد زعزوع.

«جهود العلماء والولاة للحفاظ على السنة في العصر السلجوقي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، تقدم بها خالد محمد عليان الصاعدي.

رسائل جامعية

«من أسرار النظم القرآني في آيات الصبر»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات بالرياض (الأقسام الأدبية)، تقدمت بها فاطمة محمد الراجحي. «تحرير وإخراج العناوين الصحفية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها عبدالجواد سعيد.

«جار الله الزمخشري أدبياً وشاعراً»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، تقدمت بها ماجدة صحي سيد بدوي. «تأثير الفشل الكلوي على السمع والأتزان»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الطب بجامعة الزقازيق المصرية، تقدم بها د. هاني الشامي. «تحديث مدينة القاهرة من عام 1805-1882م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الأزهر، تقدمت بها ثناء عميرة.

«دور البرامج الأخبارية في تنمية الوعي السياسي.. دراسة تطبيقية على إذاعة البرنامج العام»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة الزقازيق، تقدمت بها

بعنوان «المطرزات المغربية.. حرير وذهب»، من المقرر أن يستمر حتى السادس عشر من شهر جمادى الأولى المقبل (29 سبتمبر 1996م).

وأعلن رئيس المعهد كميل كابانا أن من بين الأحداث الثقافية التي سيشهدها المعهد في خريف العام الميلادي الحالي معرض بعنوان «في ظل ابن سينا»، وعروض سينمائية من أعمال المخرج المصري يوسف شاهين، ومعرض صور فوتوغرافية عن «المغرب العربي من الداخل».

كما يقام في شهر فبراير 1997م معرض ضخم بعنوان «السودان بلد النيلين»، يليه معرض عن فلسطين، وثالث عن اليمن.

معرض للكتب النادرة

اختتم في باريس - مؤخرًا - معرض الكتاب القديم الذي شارك فيه 60 عارضًا قدموا ما يزيد على 20 ألف كتاب من

«أدب عبدالعزيز الرفاعي.. دراسة موضوعية وفنية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها إبراهيم محمد المستوي.

«القيمة الغذائية وغط الاستهلاك الغذائي لبعض الأغذية السريعة المقدمة في مدينة الرياض»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الزراعة بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها إبراهيم بن محمد أبا الحسن.

«شرح المغنى في أصول الفقه، للشيخ منصور القاياتي، من باب الإجماع إلى آخر الكتاب، تحقيقًا ودراسة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها سامي عبدالعزيز المبارك.

«تفسير تفهيم القرآن ومنهج المودودي فيه»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم بها محمد مطيع الإسلام علي أحمد.

«الكافي في شرح الوافي للنسفي، تحقيق من أول كتاب الحوالة إلى نهاية الكتاب»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها فيصل بن عبدالعزيز اليومف.

بوشوشة بن جمعة.

صدر الكتابان السابقان عن منشورات

سعيدان في سوسة.

المغرب

كتب جديدة

المجالس العلمية السلطانية في عهد الدولة العلوية الشريفة، جزآن، تأليف آسية الهاشمي البلغيثي، صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

كتاب اللغات الأتراكية بالحرف العربي، تأليف د. سعيد هبة الله كامليف، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو).

فرنسا

نشاطات جديدة

لمعهد العالم العربي

استهل معهد العالم العربي في باريس برامجه لعام 1996-1997م بافتتاح معرض

تأليف غسان كنفاني، صدر عن دار الآداب ومؤسسة غسان كنفاني الثقافية.

معجم العلماء والشعراء الصقليين، أعدّه ورثبه د. إحسان عباس، وصدر عن دار الغرب الإسلامي.

القبائل والعشائر العربية في خوزستان، تأليف يوسف عزيزي بني طرف، صدر عن دار الكنوز الأدبية.

تونس

كتب جديدة

القص، التخيل، السخرية في رسالة الغفران، تأليف فرج بن رمضان، صدر عن دار البيروني بالتعاون مع كلية الآداب والعلوم الإنسانية في صفاقس.

الموت على شكل وردة، ديوان للشاعر حسن مشري، صدر عن دار نقوش عربية في تونس.

مفاتيح الألسنية، تأليف جورج موانان، ترجمه إلى العربية الطيب البكوش.

مباحث في رواية المغرب العربي، تأليف

«رباعية الراج [رباعية بول سكوت عن الهند في السنوات الأخيرة من الاحتلال البريطاني]»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدمت بها إيناس الإبراشي.

«المقال النصالي في الصحف المصرية من 1945-1952م.. دراسة لغوية أسلوبية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها إيمان السعيد جلال.

«الإعلام التربوي في رحاب القرآن الكريم»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الرقازيق، تقدمت بها أمل نبيل بدر.

«البيئة الصعيدية وأثرها على الشعر»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بقنا في مصر، تقدم بها ثابت محمود هاشم.

«نصارى الشام في ظل الحكم الإسلامي منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، تقدم بها عبدالله بن حسين بن عبد الملك الشريف.

«تيار الوعي في روايات الطيب صالح.. دراسة في الأدب المقارن»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الألسن بجامعة عين شمس، تقدمت بها فائزة محمد سعد.

الكتب النادرة والقيمة.

الملفت للنظر في المعرض أن أحدث كتاب فيه يعود تاريخه إلى منتصف القرن الحالي، فيما يعود تاريخ معظم الكتب إلى القرن التاسع عشر الميلادي.

يذكر أن المعرض ينظم سنوياً منذ عام 1988م، بمشاركة فرنسية - أوروبية.

اكتشاف أسطول أثري

اكتشف على الضفة الغربية لنهر اللوار بقايا أسطول أثري يضم أربعين زورقاً مصنوعاً من جذوع شجر البلوط.

وعُثر في الزوارق على بعض المعدات والأدوات والقطع النادرة التي يعود تاريخها إلى العصر البرونزي.

أحدث الكتب

صعود التفاهات، تأليف كارنيلس كاستوريادس، صدر عن دار نشر سول.

دعوات إلى التسلط، تأليف غسان ساملي، صدر عن دار نشر فايار.

ذاكرة الزمن الحاضر، تأليف تيري مونبريال، صدر عن دار نشر فلاماريون.

ديناميكية الوساطة، تأليف جان فرانسوا سيكس، صدر عن دار نشر ديسكلية دي بروير.

في صورة الإنسان (عن الحاسب الآلي والإنسان) تأليف فيليب بريتون، صدر عن دار نشر سوي.

بريطانيا

مؤتمر المجلات ووسائل

الإعلام الجديدة

استضافت العاصمة البريطانية لندن أعمال مؤتمر «المجلات ووسائل الإعلام الجديدة 1996م» في الثامن عشر من شهر المحرم الماضي.

الفصل العدد 237 ص 118

ناقش المؤتمر موقع مؤسسات النشر في ظل الواقع الجديد المتمثل في تنامي مد الكتاب والإعلام الإلكتروني، وتطور سوق المعلومات الإلكترونية الجديدة، وتجارب الصحافة الدولية في إيصال خدماتها إلى القراء على خطوط شبكة المعلومات الدولية (إنترنت)؛ وكان السؤال الأهم الذي واجه المؤتمرين: هل تستطيع الصحافة مواجهة عصر الإعلام الإلكتروني؟!

اكتشاف صفحة من مخطوط

كتبه جورج واشنطن

اكتشفت صفحة من مخطوط نادر كتبه جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية في منزل ريفي بمقاطعة سافول. والمخطوط عبارة عن خطبة مكونة من 64 صفحة كتبها واشنطن ليلقيها في أول احتفال بتوليته الرئاسة، إلا أنه لم يلق هذه الخطبة طولها، وفُقدت معظم صفحاتها، حيث لا يوجد منها في الولايات المتحدة سوى 26 صفحة فقط.

هيلين دغور تفوز بجائزة برايز

مُنحت الروائية هيلين دغور جائزة أوراغ برايز الأدبية عن روايتها «سحر الشتاء». يذكر أن هذه الجائزة - التي تمنحها شركة تليفونات بريطانية - مخصصة للنساء فقط، وقد تعرضت للنقد وهجوم شديدين بسبب ذلك، بوصفها ترسخ تفرقة عنصرية بين الجنسين.

أحدث الكتب

هذا أنا، ديوان للشاعر كريم معتوق، صدر عن دار الموسوي للطباعة والنشر.

الذاكرة والحنين في القصة العراقية القصيرة في المنفى، تأليف د. عيد جاسم الساعدي، صدر عن مؤسسة الرافد للنشر.

صورة الشرق في عيون الغرب، تأليف إبراهيم حيدري، صدر عن دار الساقى.

النسوية والإسلام، تأليف د. مي يمانى، صدر عن دار إيثاكا في لندن.

إسبانيا

جامعة للطالبات العربيات

وقعت مجموعة من رجال الأعمال العرب اتفاقية مع جامعة فالنسيا بوليتكنيكا لإنشاء «جامعة البحر المتوسط للعلوم والتقنية» في إسبانيا، تدرس باللغات العربية والإنجليزية والإسبانية.

ينتظر أن تفتح الجامعة أبوابها للطالبات العرب في شهر أكتوبر المقبل، على أن يتم مستقبلاً قبول طلبة ذكور في أجنحة أخرى وفقاً لشروط معينة.

يذكر أن التخصصات الموجودة بالجامعة قد روعي في اختيارها أن تكون مطلوبة في سوق العمل مثل هندسة المشروعات، وأجهزة الحاسب الآلي، والمقاولات.

الولايات المتحدة

ميدالية جوجنهايم لمحفوظ

مُنح الروائي العربي نجيب محفوظ ميدالية متحف جوجنهايم للفنون والثقافة، وتسلمها نيابة عنه الكاتب محمد سلماوي.

وكان المتحف قد منح محفوظ الميدالية في أعقاب افتتاح معرض الفنون الإفريقية الذي أقيم في المتحف بمشاركة أكثر من خمسين معهداً ثقافياً أفرو أمريكياً. ورمى المعرض إلى زيادة معرفة الأمريكيين بثقافة إفريقيا وفنونها.

تعد ميدالية جوجنهايم واحدة من أكثر

ألمانيا

مهرجان ثقافي بأكاديمية الملك فهد

نظمت أكاديمية الملك فهد في بون - مؤخراً - مهرجاناً ثقافياً تربوياً بمناسبة اختتام عامها الدراسي بحضور السفير السعودي ورئيس مجلس أمناء الأكاديمية عباس فائق غزاوي.

كانت ضيف شرف الحفل المستشرقة الألمانية أناماري شميل، التي ألقت كلمة بليغة بهذه المناسبة التي تم خلالها توزيع الشهادات والهدايا وتكريم المتفوقين، وإلقاء قصائد وافتتاح معرض للأعمال الفنية لطلبة الأكاديمية.

حلقة عمل ألمانية عن الحداثة والإسلام

شكلت مجموعة من المستشرقين الألمان حلقة عمل تحت مسمى «الحداثة والإسلام» ترمي - كما أعلن - إلى إزالة المواقف بين الغرب والإسلام.

وقال عميد كلية العلوم في برلين د. فولف ليجينس - وهو أحد أفراد المجموعة - إن المجموعة ستعمل على إجراء البحوث على الإسلام وليس عنه، لتحقيق الغرض المعلن، عبر تنسيق الاتصال والتبادل الدولي.

وأعلنت وزارة البحوث الألمانية عن تقديم دعم للحلقة قدره 880 ألف مارك ألماني على مدى 3 سنوات، كما قدمت ولاية برلين دعماً سنوياً مقداره 170 ألف مارك، إلى جانب تبرعات أخرى قدمتها مؤسسات خاصة.

أحدث الكتب

الحمار الأخضر، مجموعة قصصية لحسونة المصباحي، ترجمتها إلى اللغة الألمانية المستشرقة رجينا قارة شولي، وصدرت عن دار إيه آي في برلين.

الدنمارك

ندوة مغلقة عن

الإسلام في عالم متغير

شارك 170 أكاديمياً ومفكراً من 16 بلداً في الشرق الأوسط وأوروبا فضلاً عن الولايات المتحدة الأمريكية في أعمال ندوة مغلقة استضافتها - مؤخراً - العاصمة الدانماركية تحت عنوان «الإسلام في عالم متغير».

قصد المؤتمر الذي نظمته المعهد الدانماركي للشؤون الخارجية ووزارة الخارجية إلى الإجابة - من بين مسائل عدة - عن سؤالين: هل يمكن لقيم الإسلام أن تتوافق مع القيم العالمية لحقوق الإنسان والديمقراطية؟! وأي آفاق للحوار والتفاهم المتبادل والتعاون يمكن أن تقوم بين العالم الإسلامي والغرب؟!.

من العرب الذين حضروا المؤتمر د. سعد الدين إبراهيم (مصر) و توجان الفيصل (الأردن).

روسيا

زيخانوف لم يكتب حقاً

ونال جائزة أدبية

منح زعيم الحزب الشيوعي جينادي زيخانوف - وسط دهشة أدبية - جائزة ميخائيل شولوخوف الأدبية، التي استحدثها اتحاد كتّاب روسيا.

أسباب الدهشة أن زيخانوف الحاصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة لم يكتب في حياته عملاً أدبياً واحداً!

والمعروف أن هذه الجائزة قد سبق أن منحت في العام الماضي إلى السفاح الصربي رادوفان كارادجيتش، المطلوب للعدالة لجرائمه في حق مسلمي البوسنة.

الجوائز قيمة في الولايات المتحدة الأمريكية.

مهرجان تكريمي

في ذكرى مئوية فيتزجيرالد

تنظم ولاية مينسوتا مهرجاناً أدبياً في الذكرى المئوية لمولد الروائي القاص سكوت فيتزجيرالد خلال شهر جمادى الأولى المقبل (سبتمبر 1996م).

ويعد فيتزجيرالد المولود في 1896/9/24 واحداً من رواد القصة القصيرة والرواية في الولايات المتحدة، وكتب أول رواياته «هذا الجانب من الجنة» عام 1920م، ومن أبرز أعماله: «الجميلة والملعون» 1920م و «رقعة الليل» 1934م و «جاتسيبي العظيم»، وقد توفي عام 1940م قبل أن يكمل آخر رواياته «آخر الملوك».

أحدث الكتب

نظرية نقد الأدب في العصر الحديث، تأليف ليزلي هايودو، صدر عن دار نشر يوبيجرستي برس.

رجل الظل، رواية لماري جوردون، صدرت عن دار نشر راندوم.

أسياد التخوم البنانية: العنف والسرد في مجتمع عربي، تأليف ميشيل جيلسنان، صدر عن دار نشر تورز في نيويورك ولندن.

البرتغال

اكتشاف بقايا سور عربي

عُثر في مدينة تافيرا بجنوب غربي البرتغال على بقايا سور عربي بُني في القرن الثاني عشر الميلادي.

وتم اكتشاف البقايا بالمصادفة، أثناء القيام بأشغال بناء مقر أحد المصارف. ووجد خبراء الآثار داخل أجزاء السور المكتشف حجر مطحنة يرجع إلى العصر الحديدي، استعمله المسلمون في بناء السور الذي قُدِّر ارتفاعه بنحو 14 متراً.

حكاية الأسنان

د. صلاح يحيوي

لا يتذكر أنه عانى من أي ألم في فمه بسبب أسنانه عندما كان حدثاً.. بل لا ينسى الشعور بالفخر والاعتزاز الذي كان يعتريه، وتورّد وجنتيه عندما كان يسمع الإطراء بجمال أسنانه.. وقد تجاوز الحد في اعتزازه بها عندما كان يستخدمها في كسر الجوز واللوز.. واستمرت الحال على ذلك حتى بلغ السابعة والعشرين من عمره، وخذلته جوزة قاسية ظالمة كسرت رقاقة من أحد أضراس العقل لديه.. عندها اعتدل في التعامل معها.. وعرف لأول مرة الطريق إلى عيادة طبيب الأسنان.. وحكم الطبيب عندئذ على ذلك الضرر بالقلع.

وتقدم به العمر حتى بلغ الخمسين، وتعرّف خلال ذلك أعداء الأسنان: النخر وانحسار اللثة و..؛ وعرف حق المعرفة الألم الذي يعانيه المصاب في أسنانه، وخاصة في منتصف الليل عندما لا يكون هناك طبيب أسنان في عيادته. وكان كل ذلك مناسبات تعرّف فيها الأسلحة الجديدة في ترسانات أطباء الأسنان الزاخرة. وعرف سرّاً، لم يعره أحد اهتماماً، مفاده أن عدداً من المتقدمين في العمر لم يختاروا التقنية المتوافرة للحفاظ على صحة أسنانهم.. وأن ثلاثة أرباع هؤلاء تقريباً ممن تجاوزوا الخامسة والستين، يعانون من مرض لشوي يدعى مرض محيط السن.. مع أن بالإمكان التحكم في هذا المرض تحكماً مطلقاً باتباع أصول صحة الأسنان قبل أن يتجاوز المرض المراحل الأولى ويغدو غير عكوس (أي غير قابل ليعود أدرجه).

وعرف أن بالإمكان أحياناً إيقاف انحسار اللثة باتباع وصية

الخبراء، وذلك بالأخذ بوقاية عتيقة الطراز تعتمد تفريش الأسنان وتمشيط ما بينها بالخيوط والمضمضة بالمطهرات بوصفها خطوة أولى لإفساح المجال لتشخيص مرض انحسار اللثة وتقليصه قبل أن يحق الخطر بالأسنان. ويحصل التشخيص بالبحث عن وجود الصّفّحات.. أي تلك البروتينات المعقدة المعروفة باسم الإنزيمات (الإنزيمات)، فإن ثبت وجودها لطبيب الأسنان فيكون التشخيص قد تم.

ثم يحدد طبيب الأسنان مدى المرض، ويعمد إلى الحد من انتشاره بإحدى الطرائق المتعددة بما في ذلك إزالة النسيج المتأثر، ووصف المضادات الحيوية.

ولا ينسى الطبيب الإصابة بجفاف الفم، وخاصة عند المتقدمين في العمر... ذلك أن جفاف الفم هو تأثير جانبي لما يزيد على 400 دواء شائع الاستعمال، بما في ذلك الأدوية التي توصف لضغط الدم المرتفع أو المنخفض.

تقول طبيبة الأسنان جيرالدين موررو G. Morro'w رئيسة الجمعية السنية الأمريكية:

«لايسل لعاب ذوي الفم الجاف لأن فمهم شحيح بإنتاجه للعاب. إن اللعاب مكافح مهم للصفّحات، ومقو للأسنان، وغيابه قد يورث مرض اللثة ونخر الأسنان.. فإن كنت تعاني من جفاف الفم فاسأل طبيبك عن اللعاب الصناعي لترطيب الفم. وقد يقترح طبيب أسنانك استعمال شطافة فموية تحوي مركب الفلور (الفلوريد) المكافح للنخر».

أما أولئك الذين يعانون من مرض اللثة فيعالجون بالليزر السني، تلك التقنية المتقدمة المهمة. وما الليزر السني إلا حزمة أشعة ضوئية مركزة تصل إلى الجيوب المصابة بين الأسنان فتفصل النسيج المريض دونما حاجة إلى جراحة أو تخدير. ويؤكد أطباء الأسنان الذين يستخدمون الليزر بأنه إجراء لا يؤدي إلى ألم، ولا يرافقه عملياً نزف دموي. زد على ذلك أن التقنية سريعة ودقيقة تحمي النسيج السليم وتسرع الشفاء.

أما إذا فقدت أسنانك فإن طقم الأسنان الصناعية الكامل أو الجزئي هو الأسلوب الاقتصادي في تعويض الأسنان الضائعة.. وقد تحسّن تصميم هذه الطقوم، وتحسنت ملاءمتها على مدى السنين.

ولكنك إن كنت ترغب في شيء أكثر دواماً، وكانت لديك السيولة المالية الكافية فعليك بالازدراع السني.



إن الازدراع السني هو إجراء تثبيت سن صناعية في الفم على نحو دائم. ويتم ذلك بالازدراع ضمن العظم، وذلك بوضع السن الصناعية مباشرة في عظم الفك جراحياً؛ أو بالازدراع تحت السمحاقى وذلك بحشر السن الصناعية جراحياً عبر اللثة لتستند إلى عظم الفك.

ويُعدُّ الازدراع السني تقنية جديدة يطلق عليها اسم «الدمج العظمي»، وهو الظاهرة التي يرتبط بها العظم الحي الطبيعي بالمادة المزدركة، وينمو في جوارها مؤدياً إلى ارتباط قوي. لكن الازدراع لا يصلح إلا لذوي الفكوك العظمية الحاملة القوية، وهو يتطلب جراحة فموية كبرى. ويستغرق إنجاز زماً قد يتجاوز تسعة أشهر، كما يتطلب ازدراع الأسنان عنايةً دقيقةً بالأسنان، ذلك أن النسيج حول الأسنان المزدركة الجديدة معرض إلى الحمج .

وتنصح الدكتور مورّو قائلة:

«إن كنت تنظر في أمر ازدراع سني فعليك بسؤال طبيب أسنانك عما إذا كان عظم فكك قوياً إلى حد كاف يستطيع معه حمل الأسنان. فإن كان كذلك فعلى الطبيب أن يحيلك إلى مختص بالازدراع ذي خلفية علمية جيدة، عليك أن تسأل عن التدريب الذي قام به ذلك المختص، والمدة التي قضاها في الازدراع السني».

أما إن كنت لم تفقد أسنانك، ولكنك ترغب في ترميمها فقد شرع أطباء الأسنان باستعمال الحواسيب في تصميم وصناعة منتجات الترميم السنية التقليدية كالتيجان مثلاً.. وقد غدا زمن إنجاز تاج سني لا يزيد على ساعة واحدة بعد أن كان يستغرق

عدة أسابيع.

وتقول الدكتورة مورّو:

«إن البراعة الآن هي في جعل التقنية الحاسوبية الجديدة في خدمة طب الأسنان العام».

أما إذا كنت لا تزال تمتلك أسنانك، ولكنك لا تحب مظهرها، فاسأل طبيبك عن:

- القَصْر (تبييض الأسنان بمحلول كيماوي مؤكسد).

- التدميك (وضع راتنجات مركبة على أسطحه الأسنان لإصلاح الرقاقات والكسور والصدوع).

- الإكساء بطبقة خارجية (باستعمال رقاقات مسبقة القولبة لتغطية الأسنان المشوهة أو المعقوفة).

وتقول الدكتورة مورّو:

«لقد بينت آفاق الأبحاث أن شطف الأسنان شطفاً رقيقاً بمركبات الفلور (الفلوريد) يُقَسِّي الأسنان على نحو فعال؛ وأن ختم الأسنان بلدين رقيق يمنع النخر عند البالغين. ولكن...! حتى تغدو هذه التقدّمات حقيقية؛ فإن الخبراء يحثّون الناس على زيارة عيادة طبيب الأسنان مرة في السنة على الأقل، ولاسيما إذا كانوا من المتقدمين في العمر».

ولينعم أولادنا النظر في بيت أبي الطبيب المتنبئ:

آلة العيش صحة وشباب

فإذا ولياً عن المرء ولي

وليعلموا أن أضرى الضواري سرعان ما تلقى حتفها عندما تفقد أنيابها .



الجزيرة

تخفية لك



تثري
مسائك

الجزيرة

تصدران يومياً عن مؤسسة الجزيرة للطباعة والنشر. ص.ب ٣٥٤ الرياض ١١٤١١ هاتف ٤٠٢٥٥٥٥ • تليكس ٤٠١٤٧٩ جزائي اس جي.



الرماني النحوي في ضوء شرح لكتاب سيبويه

بحث يتناول علماً من أعلام اللغة العربية في القرن الرابع الهجري، الذي يُعد من أحفل العصور بالنتاج الضخم في تاريخ العربية، هو: علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة 384 هـ. وقد جعل المؤلف، د. مازن المبارك، البحث في ثلاثة أبواب، ومهد له بتناول عصر الرماني من الناحيتين السياسية والفكرية، وتحدث عن علوم ذلك العصر والمدى الذي بلغته في رقيها وإزدهارها، وتناول بالتفصيل ما يتصل بالنحو، ومذاهبه وأعلامه.

تناول في الباب الأول حياة الرماني: نشأته، وشيوخه، وثقافته، وخلقه، وتلامذته، وآراء العلماء فيه، ثم عدد آثاره التي تجاوز المئة، ووصف بعضها منها. وخصص الباب الثاني لشرح الرماني على كتاب سيبويه. فتحدث عن الكتاب، ومادته وأسلوبه وشخصية صاحبه فيه، وذكر عدداً من شراحه، وأفرد فصلاً لشرح الرماني، وصف فيه نسخته المخطوطة، وصنع لها فهرساً كاملاً بين فيه أجزاء الشرح وأبوابه. وفي فصل آخر عرض منهج الرماني في الشرح، ووازن بين شرح الرماني وشرح أبي سعيد بن عبد الله السيرافي وبين أثر ثقافة الرماني في شرحه، وخاصة ما يتصل منها بالمنطق والفلسفة والاعتزال.

وخصص الباب الثالث للحديث عن النحو عند الرماني، وبيان مذهبه فيه. فتناول نظرة الرماني العامة إلى النحو، وموقفه من أصول النحو العامة؛ القياس والسماع، والإجماع، وعرض أمثلة على احتجاجاته وتعليقاته. ثم عقد المؤلف فصلاً لبيان شخصية الرماني النحوية من خلال مواقفه إزاء آراء سيبويه، وعرض، بعد ذلك، لموقف الرماني من المدرستين البصرية والكوفية، وأورد طائفة من أشهر المسائل الخلافية بين الفريقين، وعرض آراء

كل منهما إلى جانب آراء الرماني فيها، وانتهى المؤلف من هذه الموازنة إلى بيان نزاهة الرماني وتحرره من التعصب المذهبي.

صدر الكتاب في طبعة جديدة مصححة، عن دار الفكر بدمشق، ودار الفكر المعاصر ببيروت.



البوسنة والهرتك : حقائق وأرقام

كتاب يرصد المأساة التي حلت بالمسلمين في منطقة البلقان، والمراحل التي مرت بها قضية العدوان الصربي على البوسنة والهرسك. وقد ناقش المؤلف خالد الأصور موضوع كتابه من خلال تسعة فصول، وقدم للكتاب فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - .

ففي الفصل الأول عرض المؤلف الجانب التاريخي، وخلفيات الصراع، وجذور الكراهية في البلقان، وفي الفصل الثاني قدم موازنات بين الماضي والحاضر، واستنتج أن أحداثاً مستقبلية ربما تقع. وفي الفصل الثالث تحدث عن موقف الأمم المتحدة و«تقصيرها الفادح بحق المسلمين، وانعدام مصداقيتها». وتحدث في الفصل الرابع عن الموقف الغربي في البوسنة. وفي الفصل الخامس تطرق إلى حقوق الإنسان في ظل «النظام العالمي الجديد».

أما الفصل السادس فتناول فيه ما يقال عن محاكمة مجرمي الحرب من الصرب، وعدّها المؤلف محاولة لتهدئة الرأي العام الإسلامي، ووازن بينها وبين محاكمات نورمبرج السريعة للنازيين في الحرب العالمية الثانية. ويتضمن الفصل السيرة الذاتية لعدد من مجرمي الحرب من الصرب. وفي الفصل السابع عرض المؤلف موازنة بين سراييفو في الأسس واليوم، وما حل فيها من دمار. وفي الفصل الثامن تحدث عن «اغتيال ذاكرة

الأمّة» مشيراً إلى الإهانة التي لحقت بالمساجد بوصف المسجد رمز الإسلام. وختّم المؤلف تناوله بعرض قصص عن اغتصاب المسلمات، مشيراً إلى إصرار الصرب على أن تتكامل المأساة بتدميرهم الأرض والعرض ورموز العقيدة.

الكتاب صدر عن رابطة العالم الإسلامي، سلسلة دعوة الحق (166)، وهو يقع في 243 صفحة من القطع المتوسط.



ليلى العثمان : رحلة في أعمالها غير الكاملة

قراءة نقدية في أعمال الكاتبة الكويتية ليلى العثمان. تناول فيها الناقد عبد اللطيف الأرنؤوط أربع مجموعات قصصية وروايتين من أعمال الكاتبة. وبدءاً بقرر المؤلف: «أن ما يميز ليلى العثمان في نتاجها القصصي والروائي تركيزها على فكرة التغريب، وأن تغريبها مقيد ومرتببط بإطار اجتماعي معين هو بيئتها الكويتية الخاصة، بل يبتتها العربية الشرقية».

ويحدد الأرنؤوط الرؤية المركزية التي من خلالها عالجت الكاتبة أعمالها: «المرأة والقطعة» رواية مركزها مسألة الحرية الإنسانية، و«وسمية تخرج من البحر»، رواية أسرية رومانسية نفسية، جمعت فيها الكاتبة بين الحلم والأسطورة، والزمان المتخيل والواقعي، وألفت بين الوهم والحقيقة، وبين الشعور واللاشعور، و«فتحية تختار موتها»، مجموعة قصصية تناقش جدلية العلاقة بين الرجل والمرأة، و«في الليل تأتي العيون»، مجموعة قصصية تتناول صورة الإنسان «المتأففة» وعلاقته بالوجود.

أما «الرحيل» فمجموعة قصصية عبرت فيها الكاتبة عن الغنيان أمام سقوط الإنسان. و«الحواجز السوداء» مجموعة قصصية تعكس واقعية التجربة، وحرارة المعاناة في تناول الاجتياح العراقي لدولة الكويت وتداعياته.

الكتاب قدم له الدكتور بديع حقي، وصدر عن دار أشبيلية للدراسات والنشر والتوزيع في دمشق، وهو يقع في 111 صفحة من القطع الصغير.



عودة النورس

مجموعة شعرية لسامح درويش، تضم ثلاثاً وثلاثين قصيدة متنوعة الموضوع والصور والمعالجة. وهي المجموعة الثالثة للشاعر الطيب بعد ديوانيه «مسافات العشق»، و«الطريق إليك». قدم للمجموعة حسين مهران المشرف على قصور الثقافة في مصر، واصفاً إياها بـ «الثراء، والتنوع، وروحانية الأفق الإنساني» وهو يشير إلى: «أن المجموعة تلتمس فيها مفردات الكون والحياة لتلتحم بمساحات الواقع والتاريخ والإنسان»

قصائد المجموعة بعضها يرد على بعضها الآخر، ففي قصيدة بعنوان «إشراق» يصور الشاعر حالة من انشراح التأزم:

تثور حولي الرياح وتهزم
ويقذفني للضيق صوت مدمم
إلى أن يقول:

فأرفع عيني في رجاء إلى السما
وأدعوك ياربي قلبي مفعم
فيغمري نور الهداية والتقى

وتشرق في أفقي شمس وأنجم
وفي قصيدة «أغنية أمل» يتشبت الشاعر بالتفاؤل الذي استمدّه من ذلك النور:

سأجرى مع بقايا الدمع للأمال أنهارا
وأخرج من صخور الحزن للأفراح أزهارا
وأصنع من خيال اليأس رغم اليأس أوتاراً
لأعزف لانتصار النور أخاناً وأشعاراً

الكتاب هو الإصدار 141 في سلسلة «أصوات أدبية» التي تنشرها الهيئة العامة لقصور الثقافة في مصر، والمجموعة تقع في 88 صفحة من القطع الصغير.

أجوبة مسابقة العدد 234

١- جوائز المسابقة :

جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ - ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريال، ١٥٠ ريال)

ب - خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج - عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د - خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢- شروط المسابقة :

أ - الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية - وليس نسخة مصورة - للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - وعنوان المراسلة.

ب - ترسل الإجابات على العنوان التالي:

مسابقة - مجلة الفصيل،

ص.ب. (٢) الرياض (١١٤١١)

المملكة العربية السعودية

(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

ج - أية إجابات تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

تنبيه: نرجو من الإخوة المشاركين عدم لصق القسيمة على ورقة الإجابات أو قص أجزاء منها، وإنما يكفي وضعها مع ورقة الإجابات داخل المظروف.

ج ١ : نزلت آيات تحريم الخمر على النحو التالي:

أول منازل في تحريم الخمر قول الله تعالى: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما. البقرة: 219.

ثم نزل قول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا. النساء: 43.

أما آخر منازل في تحريم الخمر فقول الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون. المائدة: 90، 91.

ج 2 : من الأحاديث التي حثت على تقليل المهور في الزواج:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة».

وعنها رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُمن المرأة خفة مهرها ويُسر نكاحها وحسن خلقها. وشؤمها غلاء مهرها وعُسْر نكاحها وسوء خلقها».

ج 3 : من العلماء الذين ألفوا في الملل والنحل: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني المولود سنة 479 هـ والمتوفى سنة 548 هـ، ألف كتاب: «الملل والنحل».

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي، المولود سنة 384 هـ والمتوفى سنة 456 هـ، ألف: «الفصل في الملل والأهواء والنحل».

ج 4 : هو أبو القاسم المعتمد على الله محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي (431 - 488 هـ = 1040 - 1095 م)،

نتائج مسابقة العدد 234

2- علي معيض محمد الأسمرى، الجبيل - المملكة العربية السعودية.

3- عياض سلمان داود، كرولي - إنجلترا.

4- عبدالرازق محمد الطيب محمد، أسوان - مصر.

5- ميسرة علي محمد العبدو، إدلب - سورية.

ج - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (12 عددًا)، كل من:

1- المصطفى العبلوي عبدالقادر، خريكة - المغرب.

2- فراس محمد عبدالرحمن الهدلق، الرياض - المملكة العربية السعودية.

أ - فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، خالد محمد حشيش الشراري، الجوف - المملكة العربية السعودية.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعودياً، حسن علي محمد بني طه، كفر خل - الأردن.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعودياً، نادية محمد قشتيلو، سيدي سليمان - المغرب.

ب - وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1- هدى بلغيث، بنحمرون دوز - تونس.

أسئلة مسابقة العدد 237

السؤال الأول:

حث الشارع الحكيم المسلمين على أداء الشهادة في قوله تعالى: ولا تكتُموا الشهادة، وجعل لكل حدًّا من الحدود نصابًا معيّنًا من الشهود. اذكر نصاب الشهادة في حد الزنا، مع الاستشهاد بأية من كتاب الله الكريم.

السؤال الثاني:

شرع الإسلام النذر وحثَّ على الوفاء به، ولا سيما نذر العبادات والطاعات والقربى إلى الله عز وجل. اذكر آيتين من كتاب الله تحثان على الوفاء بالنذور.

السؤال الثالث:

حثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عند الزواج على أن يبحث الواحد منهم عمّن تكون ذات خلق ودين. اذكر حديثًا شريفًا في ذلك.

السؤال الرابع:

كانت حكاية «روميو وجوليت» مصدر إبداع لكثير من الروائيين والشعراء والموسيقيين. اذكر ثلاثة من الموسيقيين الذين ألفوا عنها.

السؤال الخامس:

حفل الأدب العالمي بتيارات ومذاهب كثيرة. ولقد مرّ الأدب الألماني بمرحلة أطلق عليها: «العاصفة والإجهاد». من أبرز أدياء هذه المرحلة عند الألمان؟

وشعره مقطوعات واضحة الألفاظ، سهلة البناء، حلوة الموسيقى، خفيفة الوقع، قليلة الصنعة. وكانت حياته وشعره مثاراً لوجي الشعراء والقصاص منذ عصره إلى اليوم.

ج 5 هو غيلان بن عقبة العدوي الملقب بذي الرمة 77-177هـ = 696-735م. شاعر ولد بالدهناء ببادية اليمامة، ومات بها أو بأصبهان أو البصرة، على خلاف بين المؤرخين. عاش بالبادية وتردد على اليمامة والبصرة والكوفة. بدأ حياته الأدبية بالرجز، ثم تحول إلى الشعر. وتغزل بميَّة وخرقاء. قيل: هما امرأة واحدة، وقيل: اثنتان. كان محباً صادقاً على عدم حب حبيبته له لدماسته وقصره الشديد. عشق البادية، فسجل مشاهدتها وظواهرها في صور حية مملوءة بالهجة والمشاعر، ينفرد بها عن بقية الشعراء، وبرع في التشبيه أكثر من غيره، ولكنه لم يحسن المدح والهجاء والفخر فانحطت منزلته عن الفحول عند نقاد عصره، ويكثر الغريب في شعره. وديوانه مطبوع.

شاعر، ولد ببجاية بالأندلس، ومات بأغمات بمراكش. كان شجاعاً حازماً ضابطاً للأمور، وكان أبوه أميراً لشبيلية، فدرّبه على الحرب والسياسة. بعثه لغزو مالقة، فافتتحها، ولكن باديس الصنهاجي انتزعها منه بعد قليل، ففرّ إلى رندة. وتولى إمارة لشبيلية، وضم إليها قرطبة ومرسية وبلنسية، بعد عدة حروب. ولما نشبت الحرب بينه وبين ألفونس السادس ملك قشتالة، اضطر المعتمد إلى الاستعانة بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين، فتغلبا على ألفونس. ولكن ابن تاشفين رغب في الأندلس لخيراتها، فاستولى علي مدنها واحدة بعد الأخرى، وانتصر علي المعتمد 484هـ، وأسره، وسجنه بأغمات. كان المعتمد شجاعاً كريماً، محباً للشعر، لا يستوزر غير شاعر، فجذب الشعراء ورعاهم. لكنه كان مسرفاً شديد الإسراف، وصور في ديوانه (مطبوع) حياته المترفة أولاً، والبائسة بين الأحزان والمذلة والقتلى من أبنائه أخيراً، وماخاض من الحروب.

- 10- حامد المغربي، حمص - سورية.
- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:
- 1- الزهراء بكراوي، بوسعادة - الجزائر.
- 2- فرج محمد السيد عبدالغفار محمد، كفر الدوار - مصر.
- 3- عبدالقادر قسم السيد محمد صالح، ام درمان - السودان.
- 4- صالح عجاج الجميلي، دير الزور - سورية.
- 5- سلطان علي محمد المالكي، الطائف - المملكة العربية السعودية.

- 3- محمد الحمري بن يخلف، وهران - الجزائر.
- 4- عبدالناصر محمود عبدالحميد العقيلي، وادي السير - الأردن.
- 5- محمد بشري حسن، أم درمان - السودان.
- 6- علا عبدالرؤوف أحمد المكاوي، المحلة الكبرى - مصر.
- 7- توفيق لافي علي النواصرة، الكرك - الأردن.
- 8- معتصم محمد فايز معمو، الرياض - المملكة العربية السعودية.
- 9- الساسي بن محمد الضيفاوي، المنستير - تونس.

أما أول عربية أطفال فقد ابتكرها
الأمريكي شارل بورتون عام 1848م في
نيويورك.

الكتاب.. والصدق

قال الفيلسوف أوليفر جون سميث:
عندما أقرأ كتاباً للمرة الأولى أشعر كأنني
اكتسبت صديقاً جديداً، وعندما أقرأ كتاباً
سبق لي أن قرأته أشعر كأنني التقيت صديقاً
قديماً.

تعريفات

أغنى سلاح: الكلمة، وأمنع حصن:
الصبر، وأشد سم فتكاً: الحقد، وأعظم
كنز: الفضيلة، وأغنى أمل: القائم على
الإيمان الحق.

من عجائب الخلق

تؤكد تجارب العلماء أن الإنسان

الحاجات، وواصف تُعرف به الأشياء،
وواظ يُنهي به عن القبيح، ومُعز تُسكن
به الأحران، وملاطف تُذهب به الضغينة،
ومؤنق يلهي الأسماع.

أحسن من البستان

دخل عروة بن الزبير يوماً بستاناً
لعبد الملك بن مروان، فقال عروة: ما أحسن
هذا البستان. فرد عبد الملك: أنت والله
أحسن منه، فإنه يؤتي أكله مرة كل عام،
وأنت تؤتي أكلك كل يوم.

أول بئر بتروول

وأول عربية أطفال

أول بئر بتروول في العالم، تلك التي
حفرها العالم الأمريكي أدوين دويك في
ولاية بنسلفانيا في منتصف القرن التاسع
عشر الميلادي.

ويأتيك بالأمثال

نأوص الجرة ثم سالمها

يُضرب لمن خالف ثم اضطر إلى
الوفاق. والجرة: خشبة يُصَاد بها الوحش،
أي اضطر ثم سكن، ونأوص من التويص
وهي الحركة، يقال: «ما به تويص» أي قوة
وحرّك، والجرة: حباله، وإذا نشب الظبي
فيها نوصها ساعة واضطرب، فإذا غلبته
استقر فيها كأنه سالمها.

هكذا كانوا

يروى أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله
عنه قال يوماً لضرار الصدائي: يا ضرار صف
علياً. فقال ضرار: اعفني يا أمير المؤمنين. قال
معاوية: بل لتصفه.

فقال ضرار: كان والله بعيد المدى،
شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً،
يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من
نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها،
ويستأنس بالليل وظلمته، كان - والله - غزير
الدمعة، طويل الفكرة، وكان فينا كأحدنا،
يحيينا إذا سألناه، ونحن مع تقيبه إيانا وقربه
منا لا نكاد نكلمه لهيبته، يُعظم أهل الدين،
ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله،
ولا ييأس الضعيف من عدله.

فبكي معاوية حتى اخضلت لحيته وقال:
رحم الله أبا الحسن فقد كان كذلك وأكثر.

للسان عشر خصال

قيل إن في اللسان عشر خصال: فهو
أداة يظهرها البيان، وشاهد يخبر عن
الضمير، وحاكم يُفصل به القضاء، وناطق
يُردّ به الجواب، وشافع تُقضى به



راع مع قطيعه وسط طبيعة أبها الرائعة

استراحة العدد

يستعمل 44 عضلة حين يتكلم، و 139 عضلة عندما يغضب، وعضلتين فقط عندما يتسسم، وتسترخى 357 عضلة في جسد الإنسان حين ينام.

رضي بالأولى

يروى أن ثرياً دعا أشعب يوماً لعشاء فاخر عنده، فقال أشعب: أخاف أن يجيء ثقل فيفسد علينا العشاء. فقال الثري: لا.. لن يكون معنا ثالث.

وفيما كان الاثنان مُكَبِّين على الطعام طرق أحدهم الباب. فقال أشعب: ها نحن قد صرنا إلى ما نكره. فقال الثري: لا تخف إنه صديق وفيه عشر خصال، إن كرهت واحدة منها لم أذن له بالدخول! فقال أشعب: هات. قال الرجل: أولها أنه لا يأكل ولا يشرب، فقاطعه أشعب قائلاً: كفى لقد رضيت بأولها، والتسع الباقية لك.

مساوئ الإفراط

قيل: الإفراط في الحذر يتحول إلى جبن، والإفراط في الإقدام يتحول إلى تهور، والإفراط في الإسراف يتحول إلى فقر، والإفراط في الاسترخاء يتحول إلى كسل، والإفراط في التأني يتحول إلى بلادة.

من عادات الشعوب

من العادات التي تصاحب مولد الطفل في نيجيريا إعطاؤه لدى ولادته نقطة من الماء، وأخرى من الزيت، وثالثة من العسل، ثم ذرة من الملح. وتسويغهم لذلك أن الماء ضروري للحياة، والزيت مقوّ، والعسل يجلب السعادة لحياة المولود، وتبقى القيمة العظمى للملح؛ لأنه يعد من المواد الثمينة في قلب القارة السمراء.

حكمة

أفضل وسيلة للتخلص من الواجبات أن نؤديها.

يومان

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خذ من الدنيا ماأتاك، وتولّ عما تولى عنك، فإن لم تفعل فأجمل في الطلب، واعلم أن الدهر يومان: يوم لك، ويوم عليك.

أربعة وأربعة

قيل: أربعة لا يزول معها ملك: حفظ الدين، واستكفاء الأمين، وتقديم الحزم، وإمضاء العزم. وأربعة لا يثبت معها ملك: غش الوزير، وسوء التدبير، وسوء النية، وظلم الرعية.

علاج لكل الأمراض

سئل حكيم عن علاج لكل الأمراض فقال: خذ عروق الفقر، وزنجيل الصبر، واخلطهما بسفوف الذكر ورقائق الفكر، ودقّه في مهراس التوبة والخضوع، واجعله في قدرٍ التذلل والخشوع، وأوقد تحته نار التوكل، وحركه بملقعة الاستغفار، ثم ضعه في أنية المحبة، وبرده بمروحة المودة، واجعل معه حقيقة الإيمان، وامزجه بخوف الرحمن، وإياك أيها العليل أن تقرب في أيام دوائك شيئاً من الآثام، فإنها تجدد عليك مارجوت براءه من الأسقام، وشد على وسطك حزام الصدق والوفاء، وإياك أن تدخل بيتاً إلا من باب التوبة والصفاء، فإذا داومت على هذا الدواء صفا قلبك وزالت عنك الأورام.

حيلة

كان رجل من النصارى يختلف إلى الضحّاك بن مزاحم، فقال له يوماً: لو أسلمت. فأجابته الرجل: يمنعني من ذلك حبي للخمر، فقال الضحّاك: فأسلم

واشربها! فأسلم الرجل، فقال له الضحّاك: إنك قد أسلمت؛ فإن شربت الخمر حددناك، وإن رجعت مرتداً قتلناك! فحسن إسلام الرجل.

بايرون والإسلام

كان الشاعر الإنجليزي الشهير بايرون من أشد المعجبين بالعقيدة الإسلامية مع أنه كان ملحداً. ومن أقواله في هذا الصدد قوله: لو قُدِّر لي أن أؤمن لا اعتنقت الإسلام، إن أكثر المشاهد إجلالاً منظر مسلم ينزع نفسه من خضم الحياة ومسؤولياتها الملحة حين يؤذن المؤذن، ليقف في خشوع يتعبد بين يدي ربه، وكأنه نسي العالم من حوله.

قالوا:

- الأمومة فردوس الوجود، يرغب فيه مؤمن ومهذب، ويرغب عنه جاحد ومعذب.

محمود تيمور

الثروة بلا عمل.. تدمر الإنسان.

غاندي

- عجيب.. حتى القبر المغطى بالذهب

يتزاحم حوله الدود!

ويليام شكسبير

- لكل إنسان ثلاثة طباع: طبعه الحقيقي،

والطبع الذي يظهر به أمام الناس، والطبع

الذي يعتقده في نفسه.

ألفونس كار

- السعادة تكمن في الحكمة، ولا يوجد

سعيد في العالم إلا العاقل.

أرسطو

- لقد دخلنا العالم بلا شيء، وواضح أننا

نخرج منه بلا شيء أيضاً.

سانت بول



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم بتأشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

أخوة الإسلام

عبدالله هادي العلفي

التعليق:

مقطوعة «إخوة الإسلام»
لعبدالله هادي جاءت في بحر
الرمل وقافية المتدارك وروي مختلف بين الدال
والميم، وعدتها ثمانية أبيات.

والأبيات جيدة خيوطها الحماسة ولحمتها
الحث والتشجيع. ومما زادها عمقاً في هذا
المضمار مجيئها في بحر الرمل الذي يلائم هذه
الأغراض. وقد جاءت الأبيات في مقطعين
انتهى كل واحد منهما بروي يختلف عن
الآخر. فالأبيات الأربعة الأولى جاءت في روي
الدال والأربعة الأخيرة في روي الميم.

ولكن الموضوع واحد والوزن واحد. وقد
كان خيال صاحبها حسياً ومعانيه متماسكة
وصوره متعددة ومحتشدة، تتعاقب على المعاني
تعاقباً متصلاً يسندها نفس الشاعر الممتد
العميق.

وقد لامت الوزن ولكنها خرجت على
القافية باختلاف حرفي الروي فيها. حيث نهج
فيها صاحبها نهج الموشحات الأندلسية التي
تصاغ في وزن واحد وموضوع واحد ولكن

زاحموا في الأفق نجم الفرقـد(*)
كي ينيروا درب ليل أسود
أمة الإسلام نحو السؤدد
إننا متنا قبيل المولـد(*)
في لهيب النار صرعى نوـم(*)
صاح فيكم قوم هلاً قمتمو
شجو أموات نبوا واستسلموا
قوة الإيمان نعم المسلم(*)

يا أخا الإسلام قل لي أين من
أين من ضحوا وجادوا بالدما
أين من سارت على أشلائهم
لا تقل لي إنهم مـاتوا وقل
إخوة الإسلام قوموا ما لكم
في سرايفو سمعنا مدفعاً
انظروا الأشلاء هلا حركت
وانظروا الشيشان هل فيها سوى

متابعات

الأخ أحمد فتح، بانياس، سورية:

في قصتك «الزهرة الذابلة» تقليد لبعض الكتاب الرومانسيين الغلاة، إذ تصاعد درجة الحب والعشق بين الأحبة، وينتهي الأمر بموت الحبيبين من غير أن يكون هناك منطلق في تسلسل الأحداث. وكما تعلم، فإن أصدق أنواع التعبير ما يصدر عن معاناة صادقة، أو يعبر عن الواقع بحس أدبي يتجنب التقليد ويوافق منطق الأمور. وتوضح هذه القصة ما لديك من لغة تعبيرية واضحة تحتاج إليها في مثل هذا النوع من الأدب الذي يحتاج إلى مثابة كبيرة.

الأخ علي جعفر آل إبراهيم، القطيف:

سؤالك عن الكتب الأدبية النافعة واسع جداً، والإجابة عنه تحتاج إلى تحديد أكبر، فكتب الأدب لا تعد ولا تحصى، وقد تجد في تأليفها الطابع الموسوعي ككتابي الجاحظ: الحيوان، والبيان والتبيين، والكامل للمبرد، والقالي في كتابه: الأمالي، وابن قتيبة في كتابه: عيون الأخبار. كما تجد أخبار الأدب والأدباء ماثورة بكثرة في كتب التراجم والتاريخ وشواهد النحو كخزانة الأدب للبغداد.

وتوجد الكتب الحديثة التي تعين على تنمية الثقافة العامة، وهي كثيرة، وهناك أعلام في الأدب العربي، ولاسيما منذ مطلع القرن العشرين وإلى اليوم، لهم أعمالهم الجليلة التي تذخر بالعلم والفكر، فكتب الأدب لها علائق وثيقة بكتب النقد وكتب الأجناس الأدبية وقضيه القديم والحديث، وهناك الكتب التي جمعت الكثير من ذلك بإيجاز وتفصيل ككتابات الزيات، وبطرس البستاني الذي خصص الجزء الأخير من كتابه: «أدباء العرب» لمختارات من العصور الزاهية.

الأخ حاتم الهمدان، الرياض:

قصتنا «الرسول» و«الفرس» فيهما غموض يستعصى معه على القارئ إدراك مدلولهما، فالملهم في العمل الأدبي - أيا كان جنسه - أن يحقق التواصل مع قارئه، لذا نأمل تلقي محاولات أخرى أكثر فنًا ووضوحًا.

الأخ إبراهيم علي أبو رمان، عمان، الأردن:

قصتك «حلم لم يتحقق» لا تعدو أن تكون خواطر لم تراع الوحدة الموضوعية للقصة ولا التكتيف في الفكرة، فجاءت بعيدة من الأسلوب القصصي والفني، وعليك بالقراءة الكثيرة لأعمال كبار الكتاب لتصقل موهبة التعبير وفهم طرائق البناء القصصي.

الأخ صلاح عبدالستار الشهاوي، دمشق، طنطا، مصر:

قصصك الأربع القصيرة جداً فيها إغراق في استعمال العامية، ويحتاج مثل هذا النوع من القصص إلى تكتيف كبير للفكرة مع البعد من التقريرية، وهما ما لم يتوافر لقصصك.

الأخ عبدالله هادي العلفي، صنعاء، اليمن:

قصتك «اليمامة» لا تخلو من إبراز لجمال الطبيعة، التي خلق الله فيها كثيراً من الكائنات الجميلة؛ كالطيور والحمامات والأرهار والمياه. ولكنك لم توفق في توظيف ذلك الطائر الأسطوري الذي اتخذته رمزاً للشيطان مما شوه هذا الجمال الإلهي، وقد أفقد ذلك القصة تأثيرها وجمالها الفني.

حروف الروي تتعاقب عليها وتختلف. فيا حبذا لو جعلها في روي واحد رغم قصرها هذا. كما أخذ عليه هذه الأخطاء التي وقعت في النحو والإملاء والقافية. فكان عليه أن يقول: يا أخا الإسلام بدلاً من قوله: يا أخي الإسلام؛ لأن المتنادي المضاف يُنصب. ثم كذلك في قوله: «قلّي» ولا «تقلّي» ينبغي أن تُرسم: قل لي - ولا تقل لي. ونومو فليجعلها نوم.

ثم يأتي قوله: «قوة الإيمان درع المسلم» وهنا ينكسر البيت ويقع الإقواء؛ لأن المسلم مضاف إليه مجرور بالإضافة، وهو من عيوب القوافي حيث اختلفت حركة حرف الروي فجاء مجروراً وكان ينبغي أن يكون مرفوعاً كسائر الحروف في الأبيات، وتخلصاً من الإقواء أشرت إليه أن يكون: «نعم المسلم».

ولعلنا نذكر إقواء النايغة الذبياني في داليتة المشهورة التي وصفت فيها المتجرّدة زوجة النعمان بن المنذر وأقوى في بيته:

زعم البوارح أن رحلتنا غداً

وبذاك خبرنا الغداف الأسود

وعندما نبّه جعله:

وبذاك تنعاب الغداف الأسود

وقال قولته المشهورة: «دخلت يشرب وفي شعري شيء وخرجت منها وأنا أشعرُ الناس».

فمن ههنا على عبدالله أن يقرأ الأشعار، وأن يتفقه في النحو العربي، وأن يطالع كتب الإملاء لتستقيم عباراته. أمّا الوزن والقافية فلا بد أن يمتح من مواردهما العذبة كي يصبر على قطع مهامه ووهاد صياغة الشعر وركوب القوافي.

د. محمد أحمد سليمان إدريس

وتعليقات» أو في صفحة «البريد»، لأن التواصل بين المجلة وقرائها أهم معايير النجاح، وهذا ما تحرص عليه «الفصل».

الأخوين طاهر محمد أبكر، الرياض، السعودية، نوار مباركية، باتنة، الجزائر: الكتب التي صدرت عن دار الفصل الثقافية أسعارها على النحو التالي:

التعليم الابتدائي (30 ريالاً)، التقويم التربوي (35 ريالاً)، كيف تنجح في الامتحانات؟ (6ريالات)، مدخل إلى علم الاجتماع (25 ريالاً)، الفكر الاجتماعي الحديث (40 ريالاً)، ديوان الأرض والعشق (25 ريالاً)، مظاهر في شعر طاهر زمخشري (20 ريالاً)، اللغة تدريساً واكتساباً (20 ريالاً)، الشعر والموقف الانفعالي (20 ريالاً)، دليل المؤلفات الإسلامية (20 ريالاً)، كشاف الفصل العام (50 ريالاً)، الأدب المقارن بين التجريبتين الأمريكية والعربية (15ريالاً).

وترسل قيمة الكتاب المطلوب إلى المجلة بشيك بالريال السعودي أو الدولار الأمريكي، كما يمكن الاستفسار عنها هاتفياً، علماً بأن عدد رجب 1416 هـ وهو العدد رقم 229 ضم قائمة بعناوين الكتب وأسماء مؤلفيها وأسعارها، إضافة إلى قائمة الكتب الصادرة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وذلك في الكشاف المرفق مع هذا العدد.

الأخ عادل محفوظي، الدندان، تونس: لا توجد في المجلة سلة مهملات لرسائل القراء، وإنما بها أبواب مشرعة تستقبل تلك الرسائل وتنشرها وترد عليها. أما فيما يتعلق بالإعلان الذي أشرت إليه في رسالتك، فهو يخص إحدى الشركات المحلية التي ترغب في تشجيع القدرات والمواهب الفنية لدى الأطفال، وخصت بها المقيمين منهم في المملكة العربية السعودية، وليس الأطفال السعوديين فحسب، كما هو موضح في الشرط الأول، وقد يكون هذا التخصيص متعلقاً بالنواحي التنظيمية التي تسهل إجراء مثل هذه المسابقة، أو متصلاً بأسباب أخرى نجهلها، ولا شك أن هناك مسابقات محلية تجرى في كل دول العالم، من غير أن يكون في ذلك أي نوع من التمييز الذي تشير إليه.

للأفراد، و 200 ريال سعودي للمؤسسات، ويمكن إرسال القيمة بالدولار الأمريكي إلى قسم الاشتراكات بالمجلة.

ونفيد الأخوة الذين طلبوا بعض أعداد المجلة، أنها سوف تصل إليهم قريباً، مع تقديرنا للقراء الأعزاء لما يبدونه من حسن ظن بالمجلة.

الأخ علام شعبان، بو مرداسا، الجزائر: تم تجميع أعداد مجلة الفصل في 60 مجلداً يضم كل منها ثلاثة أعداد، أي إن المجلدات تشمل 180 عدداً من أعداد المجلة، وقيمة المجموعة كاملة ثلاثة آلاف ريال.

أما قيمة الاشتراك في المجلة وطريقته فموضحتان في رد سابق، ونعتذر من عدم وجود ركن للتعارف في المجلة؛ لأن مثل هذا الركن يضر أكثر مما ينفع، ونعتقد أن تعارف القراء والكتاب من خلال تبادل الأفكار والآراء أجدى وأنفع من مطالعة الصور والهويات الخاصة. وأخيراً نفيدك أنه سوف يصل إليك العدد الذي طلبته، ونطمئنك بأن المجلة ستتواجد قريباً في الأسواق الجزائرية.

الأخوين حبيب جميل الحلفاوي، حي الروضة، ناصر السخيري، قصرهال، تونس:

العدد (232) الذي طلبتماه، وضم ملف «القدس» نفدت نسخه تماماً من المكتبات داخل المملكة العربية السعودية وخارجها، ومع ذلك، فسوف نحاول أن نعث إليكما بنسخة منه من مكتبة المجلة، ونعتذر لكثيرين من القراء الذين طلبوا هذا العدد حين نعجز عن إجابة طلباتهم، وشكراً لكل من علق على هذا الملف، مُطرباً أو معقياً أو مستدركاً أو مضيقاً إلى ما جاء فيه، في باب «مناقشات وتعليقات»، ونأمل أن يكون فيها إثراء للموضوع وفائدة للقارئ.

الأخ توفيق لافي علي النواصرة، الكرك، غور الحديثة، الأردن:

سوف تصل إليك بعض الأعداد السابقة للعدد 218، ونحن نرحب بأي تعقيب لك وللإخوة القراء على ما ينشر، سواء كان ذلك في باب «مناقشات

الأخ الشاعر حمدي إبراهيم عيسى، قنا، مصر: يسرنا كثيراً أن نلقى مشاركاتك الشعرية، ولكن هناك فنون يجب أن تمر من خلالها كل الأعمال التي تنشر في المجلة، واقتناعك الشخصي بجودة ما تكتب لا يعني أنه مناسب للنشر في المجلة، لأن لكل مطبوعة ضوابط للنشر تلتزمها، والاعتذار من عدم النشر حين لا تتناسب المادة المرسله مع هذه الضوابط لا يمثل «ديساجه روتينية» - كما تقول - بقدر ما هو احترام للجهد الذي بذله الكاتب في إعداد مادته بغض النظر عن كونها تصلح للنشر أم لا ذلك أن هناك مطبوعات في عالمنا العربي - وبعضها مشهور - لا تعير الكاتب اهتماماً، ولا تبلغه بمدى صلاحية مادته للنشر من عدمه، علماً بأن ما يناسب مطبوعة قد لا يناسب أخرى، لذلك لزم التنبيه إلى ذلك عند الاعتذار. فمعدرة إذا لم تنشر «قصيدتكم»، مع أنها قد تصلح للنشر في أي مطبوعة أخرى.

الأخت وداد إبراهيم أبازيد، درعا، سورية: جميل منك أن تحرصي على متابعة الإذاعات، وإنصاف القائمين عليها بإجراء لقاءات مع المتميزين منهم، ومن جانبنا، لا نملك إلا أن نشجعك، ولكن نفيدك أن المجلة في سياستها المتعلقة بالحوارات التي تجرى من قبل المتعاونين تحرص على الاطلاع على الأسئلة التي توجه إلى الشخص المحاور، مع أهمية معرفة المعلومات الضرورية عنه، وذلك حتى يمكنها أن تقتصر بعض الأسئلة التي قد تشري الحوار، وكذلك، لضمان حسن اختيار الشخصية المناسبة لهذا الباب.

الإخوة جمال العقون، بو سعادة، ولاية المسيلة، منير حمريش، سطيف، طرية رابع، تيارت، بوكار محمد بن أحمد، عوماري أحمد بن محمد، ولاية أدرار، مصباح بن مسعود، ولاية الوادي، الجزائر، محمد علي محمد حمدي، بريم، اليمن:

المجلة نعتذر من عدم تقديم اشتراكات مجانية كما هو موضح في زاوية «إيضاحات»، لأن هذا يخرج عن إمكانياتها لكثرة ما يرد إليها من طلبات، أما قيمة الاشتراك السنوي، فهي 150 ريالاً سعودياً

عناوين

الأخ نور الدين محمد،
المدينة المنورة:
السميط، الأمين العام للجنة مسلمي
إفريقية هو:
سبق لنا نشر عنوان مؤسسة
الملك فيصل الخيرية، ونكرر نشره
هنا إجابة عن استفسارات كثير من
الإخوة القراء أمثالك؛ وهو:

ص.ب 352 الرياض
11411
الأخ محمد علي أحمد،
الإسكندرية، مصر:
عنوان مجلة «الصبيان»
هاتف: 966 - 1- 4652255
السودانية:

وزارة التربية والتعليم،
دار النشر التربوي
ص.ب 258، الخرطوم،
السودان
الأخ محمد بن التهامي
الزيتوني، القيروان، تونس:
عنوان الدكتور عبد الرحمن

أيضاً

تعذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات
للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعتقاده لها بها.
المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه
ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها
عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.
يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يرسلونها وذلك لكثرة
الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات
الخاصة لذلك.
الرسائل ذات العلاقة بمرکز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من
خدماته، يرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة
العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المختصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تبشير،
ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم
الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

بين القارئ والقارئ

أرغب في الحصول على كتاب «قصة حياة» من تأليف فضيلة الشيخ
محمد الغزالي، و«عذاب القبر»، إضافة إلى أي كتب عن قصص الأنبياء
وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومستعد لمبادلتها بأعداد من مجلات:
«الفيصل» و«العربي» و«الكويت» و«النهار للصدقة المصرية» و«الوعي
الإسلامي».

زكريا معين حسن محمد
قفط، قنا
ص ب 83736، جمهورية مصر العربية.

أرغب في الاستزادة من معين الثقافة العربية، لذا أود من قراء الفيصل
إهدائي من الكتب والمجلات ما يحقق رغبتي هذه، شاكراً لهم، مع وعد بأن
أحاول مكافأة من يستجيب منهم بما يتناسب على مستوى الخدمة المسداة.

مدرق نارو بوبكر
عين أعيد 25130
ص.ب 09، قسطينة، الجزائر.

أنا طالب علم أرغب في دعم موهبتي وزيادة تحصيلي العلمي، وأفقد إلى
الكتب التي تعينني على تحقيق مرامي، فأمل من الإخوة قراء «الفيصل»
تزويدي بكتب مناسبة.

أحمد بن لباد
16 شارع فراج علي صبرة
13310 تلمسان، الجزائر.

أود الحصول على ما ينمي موهبتي في فن الخط العربي، ولدي رغبة في
معرفة أشهر الخطاطين في العالم، فهل تتحقق هذه الرغبة؟

علي بنعياش بن الحاج إبراهيم
521 الزنقة 50
حي البريد، ح. ي. م.
الرباط، المغرب.

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء
أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو
نفدت أعدادها.



منفتاح الثاني ليس فرعون موسى

تحت الأصول القانونية العامة التي ذكرتها تحليلاً وتحريماً، ولو كان التفصيل ضرورياً لوجب ذكر مئات الآلاف من أصناف الكائنات الحية، وحكمها تحليلاً وتحريماً. والتوثيق الذي تطالب به صدى لتأثير المنازعات على الترقية في جميع الجامعات، فيجب أن يكون الكتاب أو البحث «مؤثقاً» حتى يجوز تحكيمه. ومجلة الفيصل، على تفردا بالجدية وخدمة الثقافة، مجلة عربية إسلامية عامة غير مُحكَّمة، إلا إن رأى بعض الأساتذة من كُتَّابها أن يوثق مقالته حتى يقدمها لتحكيم هو في حاجة إليه مستقبلاً.

وأهمس في أذنك أخيراً أن الأستاذ ظاظا - أمد الله في عمره - هو ابن عمي، واسمه محمد، واسمي أنا حسن، وتخصصي هو اللغات السامية والفكر اليهودي، وكنت أتصدر هذه الدراسات في جامعات الإسكندرية والقاهرة وعين شمس وجامعات كثيرة غيرها شرقاً وغرباً إلى أن تقاعدت. ومؤلفاتي المنشورة كثيرة بالعربية والعبرية والفرنسية والإنجليزية. والعربية منها تزيد على عشرة.

مع خالص المودة والدعاء
من الخالص:
حسن ظاظا

وكذلك يوسيفوس اليهودي الذي حارب الرومان عام 70 ميلادية، أي بعد موسى بألف وخمسمئة سنة. إذا تناسينا العنصرية اليهودية عند كُتَّابهم في التاريخ وما يشوبها من انتفاخ وانتفاش.

وشكراً لك وإعجاباً برجوعك إلى الترجمة العربية البروتستانية من عمل المستشرقين سميت وفان دايك، والكاثوليكية بمراجعة الأديب واللغوي اللبناني اليازجي، وتشجيعاً لك على المزيد أشير إلى ترجمة عربية فصيحة ترجع إلى القرن الرابع الهجري عملها في بغداد سعديا الفيومي، وهي منشورة. وأصناف الحيوانات والحشرات والهوام التي تفضلت بذكرها تدخل

هذا ردّ وجيز على ملاحظات الأخ الأستاذ إبراهيم عبدالوهاب شرف، مدير الإدارة القانونية بجامعة المنصورة، مصر، المنشورة في عدد محرم 1417 هـ من مجلة الفيصل الغراء، العدد 235 ص 148: أولاً: تحديد تاريخ خروج اليهود من مصر ليس على الإطلاق من متطلبات البحث في «المائدة اليهودية»، كما أن الكلام في تحليل الكافيار، مثلاً، لا يتطلب تحديد تاريخ أكله عند المسلمين.

ثانياً: المصادر في هذا الموضوع تبدو لي بعيدة من تناول القارئ العربي، وأبسط ما فيها هو «يد حَزَقَه» لموسى بن ميمون - بالعبرية - 14 جزءاً. ثم «شُلحان عاروخ» - بالعبرية - في أكثر من ألفين من الصفحات للباحث يوسف كارو، والكتابان مرجعان في الفقه اليهودي.

ثالثاً: أنا مقيد بمساحة - شاسعة جداً - في هذه المجلة، لكن لا تسمح مع ذلك بالتطرق إلى مناقشات طويلة في التاريخ والأخلاق، وتصوّر يهودي يكتب عن المائدة الإسلامية ويربط «المحشي» بالأخلاق. والكلام في التاريخ الإسرائيلي - خصوصاً في مجاهله البعيدة - أمر عسير، ومانيثون (بالتاء لا بالطاء) ليس وثيقة يعتمد عليها، ومنفتاح الثاني ليس بالقطع هو فرعون موسى؛ فموسى عاصر أثناء دعوته فرعونين مذكورين في سفر الخروج من دون أسماء، مات أحدهما أثناء الدعوة، وهلك الثاني بعدها، ولم يأت نص صريح في التوراة متى كان ذلك. وكلام شاروويم .. كلام،

أنقذوا القدس



الغراء ملفاً خاصاً عن القدس الشريف، بالإضافة إلى كتيب يحمل عنوان: القدس. ومن يطالع هذا الكتيب يجد ما فيه يشبع نهم وطموح من أراد معرفة المزيد عن حقيقة القدس تاريخياً

الحمد لله
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛
طلعت في العدد 232 من مجلة الفيصل

محفوظة لدى سدة كنيسة القيامة حتى اليوم، وتعد أقدم ميثاق دولي رفيع يدعو إلى احترام الشعائر الدينية وصيانة الأماكن المقدسة. وتبين الوثيقة أنه لم يكن لليهود أي وجود أو حق كان تاريخياً أو مدنياً أو سياسياً، وطلب أهل بيت المقدس المسيحيون أن لا يسمح لليهود بالسكن في إيلياء، هذا ولم يجز لليهود طوال أيام حكم الخلفاء الراشدين على الإقامة بالقدس.

ويكفي العرب والمسلمين للتمسك بعروبة القدس وإسلاميتها أنها كانت مسرى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ومعارجه إلى السماء: سبحانه الذي أسرى عبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير. الإسراء: 1.

وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى».

وبذلك أصبحت مدينة القدس جزءاً من الإسلام قبل أن تصبح جزءاً من تاريخ العرب والمسلمين وحضارتهم وثقافتهم.

وهناك نقطة مهمة، هي أن الحكمة الإلهية قضت ألا تنزل التوراة على نبي الله موسى في فلسطين؛ بل إن موسى لم يعيش فيها حتى لا تقول اليهود إن فلسطين أرض التوراة.

وثمة حقيقة أخرى، هي أن فلسطين كانت معاشاً ومقاماً لأبي الأنبياء الخنيف المسلم إبراهيم الخليل عليه السلام كما قال تعالى: ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. آل عمران: 67. وكل هذه الحقائق التاريخية والإلهية تؤكد أن لا علاقة ولا وجود لليهود بفلسطين والقدس لا من قريب ولا من بعيد.

ولكن عاديات الزمان مكّنت اليهود الغزاة من الاستيلاء على المدينة المقدسة وعلى فلسطين وأمعنوا في التخريب والتزييف والتبديل لطمس حقيقتها الإسلامية والعربية، وقد ضربوا عرض الحائط بكل القيم والأخلاق والأعراف، وقرارات المجتمع الدولي والأمم المتحدة التي تؤكد عروبة القدس وإعادتها إلى أهلها

جدرانه بحثاً عن الهيكل المزعوم، وما يسمى بحائط المبكى، وفي الحقيقة إنما هو حائط البراق الإسلامي الذي ربط فيه البراق عند المعراج، بينما أجمع المؤرخون عبر العصور أن الكنعانيين أو من تفرع منهم أو تفرعوا منه؛ كالمموريين واليوسيين هم قبائل عربية سكنت فلسطين جنوبي بلاد الشام منذ نحو 3000 عام ق.م؛ أي منذ فجر التاريخ. هذا وقد تبوأ مدينة القدس مكانة مهمة عند المسلمين في كل العصور، وقد أشير إليها في القرآن الكريم عدة مرات، وفي الحديث النبوي الشريف، وكانت قبلة المسلمين الأولى، وإليها كان يسراء النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ومنها كان عروجه إلى السماء، وخاض المسلمون الحروب الطاحنة من أجلها؛ فكانت حرب أجنادين بين الروم والمسلمين تحت قيادة عمرو بن العاص وانتصر المسلمون وهرب قائد الروم، وكان هذا زمن خليفة المسلمين الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وبعد وفاة أبي بكر وتولي الفاروق عمر بن الخطاب الخلافة (ت. 23 هـ) أرسل إلى قائد جيش المسلمين أن يحرر القدس (إيلياء)، وسمّى المسلمون المدينة بيت المقدس، أو هو الاسم الذي ورد في رسالة أمير المؤمنين عمر إلى أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنهما، والرسالة مدونة في كتب التاريخ. سار أبو عبيدة لتحرير بيت المقدس، وحاصر المدينة مدة أربعة أشهر حتى اضطرت لطلب التسليم شرط أن يتم ذلك على يد عمر بن الخطاب، فغادر رضي الله عنه المدينة المنورة إلى بيت المقدس (وهذه القصة مدونة تاريخياً)، وقد استقبله «صفرוניوس» بطريك إيلياء وكبار الأساقفة على جبل الطور، واتفقوا على شروط الصلح وأقروا الوثيقة التاريخية التي عُرفت بالمعاهدة العمرية، ونصها مدون تاريخياً. وبهذه الوثيقة أعطى أمير المؤمنين أهل المدينة الأمان لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ولا ينقص منها شيء. وجاء بالوثيقة العمرية أن لا يسكن مع أهل إيلياء أحد من اليهود. وتدل هذه الوثيقة على عظمة الإسلام وسماحته، ولا تزال هذه الوثيقة (العهد)

وحضارياً وثقافياً، وعن عروبتها وإسلاميتها. والحقيقة، فإن ما جاء في ملف القدس قد وضح لنا الكثير الكثير من الحقائق التي قد تكون غائبة عن معرفة الكثير من العرب والمسلمين بواقع القدس الشريف ومن سكنها من الأقباط والقبائل العربية منذ ما قبل الميلاد إلى يومنا هذا؛ إلا ما ابتدعه اليهود والصهيانية وأحبارهم ومؤيديهم من أخبار كاذبة وملفقة لطمس عروبة القدس وإسلاميتها، فجزى الله عنا من ساهم في إعداد هذا الملف خیر الجزاء والله من وراء القصد. وإذا ما أمعنا النظر في دراسة ملف القدس والتطورات التي حصلت للمدينة المقدسة في ظل الاحتلال، وضمت القدس الشريفة مع القطاع الغربي في مدينة واحدة عملت على طمس المعالم الإسلامية والعربية فيها، بحيث إن حكومة راين - قبل اغتياله - أعطت الإشارة لبدء احتفالات تحت شعار: القدس 3000، التي ستستمر أكثر من عام في محاولة لإظهار سيطرة اليهود على المدينة المقدسة بأكملها، مدعية أن الاحتفالات جاءت بمناسبة مرور ثلاثة آلاف عام على احتلال الملك داود مدينة القدس وإعلانها عاصمة لمملكته، مع أن الحقائق التاريخية تؤكد زيف الادعاءات الصهيونية التي تتجاهل أن القدس مدينة عربية منذ خمسة آلاف عام، وأن القدس إسلامية منذ أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إليها، وبذلك كانت القبلة الأولى للمسلمين.

وبعد الاستيلاء على المدينة قام الصهيانية بإجراءات الضم والتهويد وإلغاء صفتها الإسلامية والعربية، والواقع يثبت، وكذلك وثائق الحركة الصهيونية، أن هناك مخططات ونوايا كانت مبيتة بشأن المدينة المقدسة قبل تاريخ الخامس من حزيران/ يونيو عام 1967م، ومثبتة بأقوال مؤسس الحركة الصهيونية تيودور هرتزل منذ المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بال السويسرية عام 1897م. وقد قال معظم زعماء الصهيانية إنه لا معنى للقدس من دون الهيكل، وتوالت مؤتمرات الصهيونية ضد المدينة المقدسة ابتداءً بإحراق المسجد الأقصى ووضع المتفجرات فيه وحفر الأنفاق تحت

الشرعيين.

ونظراً لما تقدم، ولعناد إسرائيل وتحديها كل الأعراف والقرارات الدولية والعربية، وإعلانها بشكل دائم أن القدس عاصمة الدولة اليهودية إلى الأبد، والعمل بشكل دائم على طمس المعالم الإسلامية والحضارية؛ فإنه يجب على الدول العربية والإسلامية أن تدعو لعقد مؤتمر عربي إسلامي بأسرع وقت ممكن لبحث قضية القدس من جديد، ووضع قرارات صريحة وواضحة لإنقاذ القدس مما هي فيه، وتؤكد

عروبة القدس وإسلاميتها وإعادتها إلى أهلها الشرعيين، ومعاملة الدول التي تدعم إسرائيل في هذا الخصوص وتكر على العرب والمسلمين حقوقهم معاملة الدول المعادية، لا أن توضع القرارات على الرف كالقرارات السابقة الصادرة عن جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، لأن أي قرار يبقى بلا تنفيذ ما هو إلا حبر على ورق، وكأنه لم يكن.

تامر عبداللطيف إدريس
الإنشاءات، حمص، سورية.

تفحات نافحات وتعليقات نافحات



المرأة المسلمة وتحديات المجتمع المعاصر

الحمد لله

رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛ فقد قرأت حلقات موضوع «المرأة المسلمة وتحديات المجتمع المعاصر» للشيخ فيصل أنور مولوي، فجزاه الله خيراً على الكلام الطيب الذي كتبه، ولكن هناك ملاحظة بسيطة، وهي قوله - غفر الله له - في الحلقة الأخيرة، العدد 233: «في اللباس لا يجوز لها - أي المرأة - أن تظهر إلا وجهها وكفيها كما يفهم من كتاب الله عز وجل ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أقوال الفقهاء» اهـ.

ولما كان الإسلام يوجب على المسلم أن يحب لإخوانه المسلمين من الخير ما يحبه لنفسه،

وأن يكره لهم من الشر ما يكره لنفسه، وبناء على ما أوجبه الله من التعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والأمر بالمعروف - الذي أمر الله به ورسوله -، والنهي عن المنكر - الذي نهى الله عنه ورسوله - أحببت أن أذكر حجاب المرأة المسلمة الشرعي الصحيح، وذلك لأن سفور وجه المرأة وكشفه للرجال غير جائز؛ لأن الوجه يجمع كل المحاسن، وهو أكثر الأعضاء فتنة وإغراء، وكل البلاء والخطر في كشف الوجه، ولم يرد نص صحيح صريح بجواز كشفه بعد أن شرع الحجاب إلا حين الإحرام بالحج أو العمرة، بل كان النساء يغطين وجوههن وهن محرمات عند اختلاطهن بالأجانب ورؤيتهن لهن ورؤيتهن لهن، والذي جاء في القرآن والسنة حجاب الوجه لا سفوره. ومفهوم الحجاب: ستر الوجه. وكشف المحرمة

وجهاها في حالة الإحرام أمام الرجال الأجانب فتنة للناظرين ومشغلة للحاجين والمعتبرين عن عبادة الله تعالى. وإذا كان كشفه واجبا على المحرمة كما ذهب إليه بعض الفقهاء إذا أمنت الفتنة، فإن ستره أوجب؛ لأن في كشفه فتنة وأذى، وإباحة كشف الوجه للمحرمة دليل على أن الحجاب له، ولو كان لغيره لما كان لهذه الإباحة معنى. وعندما فُرض الحجاب ستر النساء وجوههن، وكشف الوجه والكفين لا حجة للقائلين به. فالحجاب ضرورة وفريضة لا مفر منها، وهو حماية للرجل والمرأة جميعاً. وكشف الوجه سبب كارثة الأخلاق وفوضى الجنس. وفُرض الحجاب على المسلمة ليكون حاجزاً بينها وبين الأجنبي إذا اضطرت إلى مغادرة بيتها، فوضَّع الإسلام لها شروطاً وأداباً لهذا الاضطراب، وفي حماية المرأة وصونها بالحجاب حماية للمجتمع كله. والحجاب أمر الله به في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وعليه عمل أمهات المؤمنين والمؤمنات في القرون المفضلة إلى عصرنا الحاضر، والمرأة كلها عورة من هامتها إلى أخمص قدميها، ويجب عليها أن تستر عن الرجال جميع بدنهما. ومن المخالفات التي ارتكبتها أكثر النساء خروجهن سفارات غير متحجبات يفتن الرجال ويفتن بهم، والسفور مخالفة لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم. والمراد بالاحتجاب أن لا ترى المرأة الرجال ولا يرونها، لأن النظر سهم مسموم من سهام إبليس، وهو لا يجوز إلا في الحالات الاضطرارية المباحة؛ كنظر الخاطب لقصد الزواج أو الشهادة أو العلاج الذي لا بد منه مع وجود محرّم لها.

الأدلة على وجوب الحجاب: حجاب المرأة وجهها وجميع بدنهما واجب، ودل على وجوبه القرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن أدلة القرآن الكريم على وجوب الحجاب قول الله تعالى: وَقُلْ للمؤمنات يفضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليبضرن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين

متلفعات بمروطهن ثم يرحن إلى بيوتهن ما يعرفهن أحد من الغلس»، وقالت: «لو رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النساء ما رأينا لمنعهن من المساجد»، ويروى عن ابن مسعود مثله.

ووجه الدلالة من هذا الحديث من وجهين: الأول: أن الحجاب والتستر كانا من عادة الصحابة الذين هم خير القرون.

الثاني: أن عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما فهما ما شهدت به النصوص الشرعية من المحذور بخروج النساء، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لو رأى ذلك منهن لمنعهن.

هذا وإن أدلة وجوب الحجاب ناقله عن الأصل، وأدلة جواز كشفه مبقية على الأصل، والناقل عن الأصل مقدم كما هو معروف عند الأصوليين، لأن مع الناقل زيادة علم وهو إثبات تغيير الحكم الأصلي.

وفي السفور مفسد عديدة، ولذلك حرّمه الإسلام، كما تقدمت الأدلة على وجوب الحجاب وفيها مقنع وكفاية لمن هداه الله ووفقه وكان مقصوده الحق.

تركي عبدالله محمد الحيا
ص.ب 15468،
صنعاء، الجمهورية اليمنية.

في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب»، وتفسير الصحابي حجة؛ بل قال بعض العلماء إنه في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «ويدين عينا واحدة»، وكشف العين الواحدة عند الحاجة والضرورة، وإذا لم يكن حاجة فلا موجب لذلك، والجلباب هو الرداء فوق الخمار بمنزلة العباءة.

4 - قول الله تعالى: وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب. الأحزاب: 53. فهذه الآية نص واضح في وجوب تحجب النساء عن الرجال وتسترهن منهن، وقد أوضح الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن التحجب أظهر لقلوب الرجال والنساء وأبعد من الفاحشة وأسبابها: ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن. الأحزاب: 53. وهذه الآية عامة لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهن من المؤمنات. قال القرطبي: «ويدخل في هذه الآية جميع النساء بالمعنى وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة: بدنها وصوتها، فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها أو داء يكون ببدنها».

5 - ومن السنة، ما ثبت في الصحيحين عن عائشة قالت: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات

غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون. النور: 31، وقد دلت هذه الآية على وجوب الحجاب من ستة أوجه، هي:

أ - أن الأمر بحفظ الفرج أمر به وبما يكون وسيلة إليه، ومن وسائله تغطية الوجه؛ لأن كشفه سبب للنظر إليه، والوسائل لها أحكام المقاصد.

ب - وإذا كانت المرأة مأمورة بأن تضرب بالخمائر على جميعها كانت مأمورة بستر وجهها لأنه من لازم ذلك، فإنه إذا وجب ستر النحر والصدر كان وجوب ستر الوجه أولى، لأنه موضع الجمال والفتنة، فإن الذين يطلبون جمال الصورة لا يسألون إلا عن الوجه، فإذا كان جميلاً لا ينظرون إلى ما سواه.

ج - وقوله: إلا ما ظهر منها، يعني ما لا بد وأن يظهر كظواهر الثياب ولذلك قال: إلا ما ظهر منها، ولم يقل ما أظهر منها.

د - ثم نهى عن إبداء الزينة إلا لمن استثناهم؛ فدل على أن الزينة الثانية غير الأولى، فالأولى هي الظاهرة لكل أحد، والثانية هي الباطنة لا يجوز إبدائها إلا لأناس مخصوصين وهم الزوج والمحارم.

هـ - وإذا كانت المرأة منهية عن الضرب بالأرجل خوفاً من افتتان الرجل بما يسمع من صوت خلخالها فكيف يكشف وجهه؟

و - وتخصيص التابعين غير أولي الإربة من الرجال، أو الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء بجواز إبداء الزينة لهم يدل على تحريم إبدائها لمن عداهم وفي مقدمتها الوجه.

2 - ومن أدلة وجوب الحجاب قوله تعالى: والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة. النور: 60. وتخصيص الحكم بهؤلاء العجائز دليل على أن الشواحب اللاتي يرجون النكاح يخالفنهن في الحكم.

3 - ومن أدلة وجوب الحجاب قوله تعالى: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن. الأحزاب: 59. قال ابن عباس: «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن

قضايا عرضية



موضوع «الأوزان المتشابهة في الشعر العربي» تحدث فيها عن تشابه بحرّي الكامل والرجز - وهو موضوع قديم ذكرته معظم كتب العروض - مفاده أن البحر الكامل ينتقل إلى الرجز بمجرد استغراق (متفاعله) = مستفعلن) جميع تغاعيل البيت، ولذلك اشترط - كما

العدد (233) من مجلة الفيصل
الغراء عدداً من القضايا العرضية المهمة،
حفزني إلى الإدلاء بهذه التعليقات
والملاحظات:

1 - ففي مقالة للدكتور جميل علوش ناقشت

اشترط غيره من قبل (1) - أن يُبقي الشاعر واحدة من تفاعيل البيت على حالها (متفاعِلن) خشية أن ينتقل البحر من الكامل إلى الرجز.

وهكذا نظرد. علوش إلى بيت - من الكامل - لخليل مطران على أنه من الرجز لاستغراق تفعيلة الرجز جميع تفاعيله، وراح يقترح طريقة لإصلاحه!

وكان آخرون قد دعوا إلى عدّ البحرين بحرًا واحدًا، أو عدّ الرجز ضربًا من ضروب الكامل (2). ولا جدوى مطلقًا من مثل هذه المحاولات أو الشروط. فإيقاع الكامل يختلف اختلافًا جذريًا عن إيقاع الرجز - كما يثبت واقع الشعر - حتى عندما يسري الإضمار (متفاعِلن) إلى جميع تفعيلات البيت. لأن إيقاع البحر لا يحدده بيت مفرد من الشعر، وإنما يحدده موقع ذلك البيت من سواه. فإذا كان البيت يُتِمُّ حُمْلَ على الأصل.

ولا شك أن الشعراء لم يقبلوا دمجًا بين البحرين، كما أنهم لم يقبلوا شرطًا كهذا الشرط. والحقيقة، أنه قلما يستغرق الإضمار جميع تفعيلات البيت الواحد، فإذا حصل، ندر أن يتجاوز الاستغراق ذلك البيت إلى الذي يليه. كما أنه قلما يرد بيت الرجز سالم التفاعيل، فإذا ورد، يندر أن تتجاوز السلامة ذلك البيت إلى الذي يليه.

ولقد أحصيت في المفضليات (487 بيتًا) من الكامل ليس فيها بيت واحد استغرق الإضمار جميع أجزائه، كما أحصيت في الأصمعيات (314 بيتًا) لم يستغرق الإضمار فيها سوى ثلاثة أبيات متفرقة أحدها لمهلل:

يا حار لا تجهل على أشياخنا
إننا ذوو السورات والأحلام

والثاني لعمرو بن الأسود:

نجاك مهر ابني حلام منهم

حتى اتقيت الموت بابني حديم

والثالث للأسعر الجعفي:

إني رأيت الخيل عزاً ظاهراً

تتجى من الغنى ويكشفن الدجى

وهي نسبة لاتصل إلى (4.4٪) من مجمل أبيات المفضليات والأصمعيات معاً.

ومن جهة أخرى، أحصيت في ديوان الراجز أبي النجم العجلي (750 شطرًا) من الرجز، كان منها (105 شطور) سالمة التفاعيل.

وفي باب الطرد عند أبي نواس (915 شطرًا) من الرجز، كان منها (89 شطرًا) سالمة التفاعيل، مع العلم أنه قلما تجاوزت السلامة الشطر إلى الذي يليه.

فإذا عاملنا الرجز معاملة القصيدة في حساب الأبيات لا الشطور كانت نسبة السلامة لا تصل إلى (2٪) عند أبي نواس، بينما هي عند العجلي (6.2٪) فقط.

2 - وأثار المقال قضية خطيرة في مسألة تشابه البحور، حين عدّ الكاتب البحر المديد مختلاً أو ثقيلاً (3) لسبب رآه بسيطاً للغاية في نظره «فهو ينقص عن البحر الخفيف مقطعاً طويلاً أو قصيراً» مدّعياً أن الأذن المرهقة (!) لا تترتاح إليه لأنها تؤنس نقصاً في وسطه (!)، مشهداً الله على إحساسه بذلك الخلل أو الثقل كلما قرأ بيتاً على البحر المديد!!

ولذلك عمد إلى بعض أبيات المديد الشهيرة، وعدّل فيها تعديلات طفيفة - كما يظن - لتحول معها الأبيات إلى الخفيف قائلًا: «ونحن هنا أمام خيارين لا ثالث لهما [!]»، فإما أن نعدّ البيت صحيحاً قبل التغيير، [ومن ثم] فلا بد أن يكون التغيير قد أفقده صحته واستقامته، أو أن يكون مختلاً قبل التغيير، فصحّحه التغيير وأزال اختلاله [وهذا ما يرجحه]، وإما أن يكون صحيحاً قبل التغيير وبعده فهذا مالا يعقل.»

وهذا كلام غريب مردود، لأننا نستطيع - ببساطة ويسر - أن نعدّل في أي وزن تعديلاً طفيفاً يحوله إلى وزن آخر من دون أن يكون أحدهما مختلاً بالضرورة.

بل هذا ما بينه الكاتب نفسه بعد سطور من كلامه ذلك، حينما قرر أن الكامل قد يفضي أحياناً إلى الطويل بزيادة حرف متحرك إلى أوله، وضرب لذلك مثلاً في اقتباس حافظ إبراهيم أبياتاً على الكامل لشوقي، ضمنها قصيدته التي هي على الطويل.

3 - ولقد عمد الكاتب إلى المديد مرة أخرى، فرأى أنه يتحول إلى السريع بإضافة متحرك أو مقطع طويل إلى أوله، أو أنه يتحول إلى الرمل بزيادة سبب في وسطه.

وأغرب ما في الأمر أن يرى المديد يتشابه مع البسيط، ناقصاً عنه - فقط - تفعيلة واحدة من أوله!! وهكذا - للسبب ذاته - تشابه عنده الرمل والوافر (المعصوب)، كما تشابه الخفيف مع المنسرح أيضاً. ولا شك أن في ذلك كله خطأً وفساداً يدرّكهما من له علم بموسيقى الشعر.

ذلك أن إيقاعات البحور العربية، تنبع من تنابع المتحرّكات والسواكن تنابعا معيّنًا، وانتظامها وفق أنساق بذاتها، تختلف من بحر لآخر بما يميز وزنًا من وزن، وقد لا يتجاوز الاختلاف بين بحر وآخر أكثر من (متحرك أو سبب أو وتد) زيادة أو نقصانًا كما قلنا آنفاً.

ومعلوم أن بحور الدائرة الواحدة لا تختلف بعضها عن بعض إلا في نقاط البداية.

فبهدف السبب الأول مثلاً، يتحول الرجز إلى الرمل، والرمل إلى الهزج، والمنسرح إلى الخفيف، والسريع إلى المديد، والمتدارك إلى المتقارب.

ولا يشك بصير بموسيقى الشعر العربي، أن تغييراً للحركة الواحدة - في غير موضعه - يؤدي بالوزن إلى الخلل، أو إلى إيقاع بحر آخر.

ملاحظات عامة

للنشر: فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبه لسياسة النشر فيها.

٤ - أن يرقف الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

٥ - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

مع تقدريتنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كتابنا الكرام أن يعضوا في حساباتهم الملاحظات التالية:

١ - أن يتم الموضوع المقدم للنشر بأجدة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ - ألا يكون الموضوع منشوراً من قبل، أو مرسلًا إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ - حين ترد المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفيلس الثقافية

مجازفة النشر

نور الدين بليل

على صعيد مؤسسات ثقافية وتربوية وتعليمية أُحِبُّ، وأذكرُ هنا بقصة أستاذ جزائري خريج جامعة أجنبية، أراد النهوض بمستوى الدراسات الإعلامية في الجزائر في ضوء ما تعلمه، لكنه - للأسف - اصطدم بمواقف رافضة اضطرته إلى التخلي عن فكرته ومغادرته الجزائر في نهاية الأمر.. وإني على يقين بأن هناك تجارب مماثلة عديدة حدثت في وطننا العربي.

كما أنني أحمل الصحافة مسؤولية بعض الجنايات على الفكر المصيب، فهي تنشر أعمالاً من دون تحفظ شديد، ومن دون تمحيص، ومن دون صرامة واضحة، بحيث لم تعد أكثرية الصحف، مقياساً أو مكيالاً للفرز بين الجيد والرديء.

وقد فتح بعضها تحت شعار «حرية التعبير» - التي لا يمكن لأحد أن يرفضها من حيث الأصل - والنقاش الحر الباب واسعاً للخوض في غمار موضوعات فكرية مهمة لمن هب ودب، فسهلت بذلك انتشار أفكار وتصورات، هي إلى الخرافة والجهل أقرب منها إلى العلم والرأي الصائب المنير.

وفي الأخير أعتقد بأن تحقيق نهضة فكرية جادة، مرهون بإعادة النظر في أنماط تفكيرنا، وفي مفهومنا لمكانة المثقف ورجل العلم في المجتمع، وفي طرائق عمل المؤسسات التعليمية والثقافية، وكذلك في إعادة تحديد المنزلة الاجتماعية للأفراد، وفي علاقة المسؤول بالمثقف.. وبصفة عامة لا بد أن يسود العمل الجماعي والمتكامل، وأن تتوافر النية لخلق الأرضية الملائمة لنهضة الفكر الجاد والفعال؛ الذي من شأنه تحديد من نحن ضمن هذا الزمان الهائل من الثقافات والأفكار؟! وكذلك يكون خير وسيلة للتصدي ودرء أخطار الغزو الثقافي والفكري الوافد.

تخوض في التاريخ، أو تعيد اجتراره، أو تحاول الاقتراب في خوف واضح من الموضوعات التي تشكل حرجاً لأطراف ذات نفوذ في المجتمع.

وفي الإطار ذاته أعتقد أن المؤسسات التعليمية في الوطن العربي تتحمل نصيباً من تبعة الوضع القائم، من خلال اعتمادها نمطاً تدريس بُني على أساس «التلقين والحفظ» وليس «البحث والتنقيب والاجتهاد»؛ فهي تُعلم النشء كيف يأكل السمكة، وكيف يركب السيارة، ولا تعلمه كيف يصطاد الأولى، أو كيف يصنع أو يصلح الثانية.

وعلى المستوى المالي والتقني - وأخص هنا بالذكر «الحالة الجزائرية» - فإن الكتاب ينتظر - في غالب الوقت - دوره في الصدور بضع سنين، ومن المخطوطات ما انتهت الجدوى من طبعها مع صدورهما، أو قبله؛ أما المقابل المالي الذي يحوزه المؤلف، فإنه لا يتجاوز - إلا في حالات نادرة - المدخول الشهري لإسكافي متجول، كما لا يستفيد الباحث أو المؤلف من أية حوافز أخرى، أو من ترويج إعلامي لأعماله.

ومن الأكيد، أن أية محاولة لإعادة النظر في هذا الواقع السيئ السمعة، وكذلك في المفاهيم والقيم والتصورات وطرق العمل التي تسود عالم الإنتاج الفكري بوطننا العربي منذ أماد بعيدة، ستصطدم بعراقيل لا حصر لها. فكم من مسعى للفرز بين الرديء والجيد،

يجتل العالم العربي المراتب الأخيرة في جدول الإنتاج الفكري والثقافي العالمي على الرغم من امتلاكه قدرات بشرية ومادية لم تحظ بها مجتمعات تنبؤاً مراكز متقدمة في هذا الميدان.

ففي عالمنا العربي ذي الحضارة العريقة، كشفت الوقائع مراراً، أن طُرُقَ موضوع آني يس من قريب أو بعيد حقائق اجتماعية وسياسية وثقافية قائمة يعد مجازفة لا تُحمد عواقبها في كثير من الحالات.

وبسبب ذلك أحجم الباحث أو المبدع أو العالم العربي - مرغمين - عن الخوض في مجال يعتقدون مسبقاً بأنه محفوف بالصعاب والمثبطات.

ومن نافلة القول إن الكثير من المساعي الرامية إلى إنتاج الفكر الجاد المتمرد على الجمود والخمول، قد أجهضت هنا وهناك لكونها ترمي إلى شد الانتباه إلى حقائق أكيدة، أو تحذر من مغبة البقاء على الحال نفسه لأزمة أخرى.

وشاركت في هذا الموضوع أيضاً، مسألة غياب السياسات الصلبة في ميدان حفظ المعلومات والمعطيات وتخزينها وتجديدها على الدوام، وكذلك تعقيدات البحوث والاتصالات والتحفظات بحجة احترام القانون حيناً، وذريعة «الأسرار» حيناً أخرى، وهي الأسباب التي حالت دون تعميق البحث وتوطيد أركانه، وجعلت معظم الكتابات